الجزء الثاني المجلد الثالث والثمانون

مجلّة مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلّة المجمع العلمي العربي سابقًا »

مجلة محكّمة فصلية

ربيع الأول ١٤٢٩هـ
نيسان (أبريل) ٢٠٠٨م

المدير المسؤول: الأستاذ الدكتور شاكر الفحام، رئيس المجمع

لجنة المجلة

الدكتور محمد إحسان النص　　الدكتور عبد الله واثق شهيد

الدكتور محمد زهير البابا　　الأستاذ جورج صدّقني

الدكتورة ليلى الصباغ　　الدكتور محمد مكي الحسني الجزائري

الدكتور محمود السيد

أمين المجلة: الأستاذ محمود الحسن

إن أغراض المجلة مستمدة من أغراض المجمع الواردة في قانونه ولائحته الداخلية، وأبرزها: المحافظة على سلامة اللغة العربية، وجعلها وافية بمطالب الآداب والعلوم والفنون، وملائمةً لحاجات الحياة المتطورة، ووضع المصطلحات العلمية والتقنية والأدبية والحضارية، ودراستها وفق منهج محدد، والسعي لتوحيدها في الأقطار العربية كافة.

خطة المجلة وشروط النشر فيها:

- تنشر المجلة البحوث والمقالات التي ترد إليها بعد أن تخضع للتقويم.
- يفضل ألا يزيد البحث أو المقالة على ثلاثين صفحة من صفحات المجلة.
- ترتيب البحوث والمقالات يخضع لاعتبارات فنية.
- ينبغي أن تكون البحوث والمقالات المرسلة إلى المجلة منضدة، ويفضل أن تشفع بقرص حاسوبي ليزري مسجلة عليه، أو مرسلة بالبريد الإلكتروني.
- البحوث والمقالات التي لا تُنشر لا تردّ إلى أصحابها.
- يرسل الكاتب الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة، مع بحثه أو مقالته، سيرته الذاتية العلمية وعنوانه.
- تُعطى الحواشي أرقامًا متسلسلة من بداية البحث حتى نهايته. وتذكر حواشي كل صفحة في أسفلها.
- توضع الكلمات العربية (أو المعربة) قبل مقابلها الأجنبي عند ورودها أول مرة، نحو: تِقانة (Technology)، حاسوب (Computer)، نفسية (Psychologic).
- من الضروري أن يعتني الكاتب بعلامات الترقيم: النقطة، الفاصلة، إلخ....

(البحوث والدراسات)

الطعام وشجونه التراثية

د. عبد الكريم اليافي(*)

الطعام من أهم الأعمال الإنسانية الضرورية كالماء والشراب. وهو ملازم لكل الأنواع الحية، ولمكانته لدى الإنسان حفلت به الكتب اللغوية والأدبية والفكرية والدينية. أمثال هذه البحوث واسعة ومستفيضة. ولكننا نعالج في بحثنا هذا الأمور التالية:

١- كليات أنواع الطعام.

٢- آداب الطعام.

٣- أطعمة الدعوات.

٤- بعض المآدب التي كانت تجري في عهد الحضارة العباسية وما يتعلق بها من تنظيم.

٥- يلحق بذلك ملاحظات وأخبار مسلية ومفيدة.

جاء في فقه اللغة للثعالبي:

طعام الضيف القِرى، طعام الدعوة المأدُبة، طعام الزائر التُّحفة، طعام الإملاك الشّندخيّة(١)، طعام العرس الوليمة، طعام الولادة الخُرس، وعند حلق

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

(1) الشندخيّة: شندخ الرجل عمل الشندخ وهو طعام يصنعه بوجه العموم من اقتنى دارًا أو قدم من سفر أو وجد ضالته. والشِّنداخ والشُّنداخ والشنداخي والشندخيّة للطعام المذكور.

رأس المولود العقيقة، طعام الختان العذيرة، طعام المأتم الوضيمة، طعام القادم من سفر النَّقِيْعة، طعام البناء الوكيرة، طعام المتعلل قبل الغداء السلفة واللُّهنة، طعام المستعجِل قبل أوان الغداء العُجالة، طعام الكرامة (أي التكريم) القَفِيّ[٢]، والزَّلّة[٣].

وقد نظمها قاضي القضاة صدر الدين بن العز الحنفي فقال:

أسامي الطعامِ اثنانِ من بعد عشْرةٍ سأسرُدُها مَقرونةً ببيانِ
وليمةُ عُرسٍ ثم خُرْس ولادةٍ عقيقة مولود وكيرة بانِ
وضيمةُ ذي موتٍ نقيعةُ قادمٍ عذيرٌ أو اعذارٌ ليومِ خِتان
ومأدبةُ الخِلاّن لا سببٌ لها حِذاق صبيٍّ يومَ خَتْمِ قُران
وعاشِرُها في النظم تحفة زائر قِرى الضيف مع نُزْلٍ له بأمان

يرافق الدين الحنيف الإنسان في جميع أحواله، ليصل به إلى الكمال في السجايا والمعاملات، حتى يغدو كالكوكب الدريّ بين الناس، وحتى يجتذب بنوره مَن حوله من البشر، ويكون أسوةً صالحة لهم ومثالاً طيبًا في السلوك والأخلاق السامية. ولهذا لا غرابة أن نجد المؤلِّفين يعقدون كتبًا متعددة في جميع مآرب الإنسان وحاجاته ومساعيه. ومن أمثلة ذلك أن الإمام أبا حامد الغزالي يعقد في كتابه الكبير «إحياء علوم الدين» فصلاً قيّمًا في آداب الطعام، إلى جانب فصول أخرى في السلوك والعادات ومرافق الحياة. يقول في مقدمة كتاب آداب الأكل:

(2) القفيّ: رجل مَقْفِيّ ومُقْفًى أي مؤثر مكرم.

(3) الزَّلّة: الصنيعة. هو اسم لما تحمله من مائدة صديقك وقريبك.

«وها نحن نرشد إلى وظائف الدين في الأكل، فرائضِها وسننها وآدابها ومروءاتها وهيئاتها في أربعة أبواب وفصل في آخرها وهي:

الباب الأول فيما لابد للآكل من مراعاته وإن انفرد بالأكل.

الباب الثاني فيما يزيد من الآداب بسبب الاجتماع على الأكل.

الباب الثالث فيما يخص تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين.

الباب الرابع فيما يخص الدعوة والضيافة وأشباهها.

أما الفصل الختامي فهو يجمع آدابًا ومناهيَ طبية وشرعية متفرقة».

ولاشك أن قارئ هذا العرض الوجيز في بحثنا سوف ينصرف إلى كتاب الإمام الغزالي ويُمْعن فيه ليتزوّد من منافعه وفوائده. ومع ذلك نؤثر أن نلخِّص ما استطعنا هذه الآداب.

ففي **الباب الأول** فيما لابد للفرد منه ثلاثة أقسام:

القسم الأول: في الآداب التي تتقدم الأكل وهي سبعة، منها أن يكون الطعام حلالاً في ذاته طيبًا في جهة مكسبه، موافقًا للسنة والورع، لم يُكتسب بسبب مكروه في الشرع.

ومنها غسل اليد، لأن اليد لا تخلو عن لوث في تعاطي الأعمال، وغسلها أقرب إلى النظافة والنزاهة، ولأن الأكل بقصد الاستعانة على الدين عبادة، فهو جدير بأن يُقدّم عليه ما يجري منه مجرى الطهارة من الصلاة. وأن يتقوى على طاعة الله ويرضى بالموجود من الرزق.

ومنها في ذلك الزمن أن يوضع الطعام على السفرة الموضوعة على الأرض، ولا شك أن الأحوال تتغير بتفاوت الأزمان والأجيال. والمراد هنا

التواضع وتذكرة النفس بالسفر، سفر الآخرة. وهنالك أمور أُحدثت بعد رسول الله ﷺ مفيدة وليس كل ما أُبدع منهيًّا عنه.

القسم الثاني: في آداب حالة الآكل: وهو أن يبدأ بالبسملة في أوله والحمد لله في آخره، ويأكل باليمنى، ويبدأ بالملح ويختم به، ويصغّر اللقمة ويجوّد مضغها. وما لم يبتلعها لم يمد اليد إلى الأخرى فإن ذلك عجلة في الأكل، وألا يذمّ مأكولاً كان، إذا أعجبه أكله وإلا تركه. وأن يأكل مما يليه ولا ينفخ في الطعام الحار، ويأكل من التمر وترًا، وإذا أكل تمرًا لا يجمع بين التمر والنوى في طبق، ولا يجمع في كفّه، وكذا ما له عجم وتفل، وألا يأكل من ذروة القصعة ولا من وسط الطعام، بل يأكل من استدارة الرغيف إذا قل الخبز. وألا يكثر الشرب في أثناء الطعام إلا إذا غصّ بلقمة أو صدق عطشه، ويشرب من الكوز مصًا لا عبًّا، ولا يشرب قائمًا ولا مضطجعًا.

القسم الثالث: ما يستحب بعد الطعام: وهو أن يمسك قبل الشبع، ويلتقط فتات الطعام، ولا يقوم عن المائدة حتى ترفع أولاً. فإن أكل طعامَ الغير فليدْع له، وليقل اللهم كثِّر خيره وبارك له فيما رزقته، واجعلنا وإياه من الشاكرين. وإن أفطر عند قوم فليقل، أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلّت عليكم الملائكة. ولابد من أن يغسل يديه.

الباب الثاني: فيما يزيد بسبب الاجتماع والمشاركة في الأكل:

وهي سبعة، الأول ألاّ يبتدئ بالطعام ومعه من يستحق التقديم لكبر سن أو زيادة فضل، إلا أن يكون هو المتبوع والمقتدى، فحينئذ ينبغي ألا يطول عليه الانتظار إذا اشرأبُّوا للأكل واجتمعوا له.

الثاني ألا يسكتوا على الطعام، ولكن يتكلمون بالمعروف ويتحدثون بحكايات الصالحين في الأطعمة وغيرها.

الثالث أن يَرفق برفيقه في القصعة، فلا يقصد أن يأكل زيادةً على ما يأكله بل ينبغي أن يقصد الإيثار.

الرابع قيل: أحسن الآكلين أكلاً من لا يُحوج صاحبه إلى أن يتفقده في الأكل، ولا ينبغي أن يدع شيئًا مما يشتهيه لأجل نظر الغير إليه، بل يجري على المعتاد.

الخامس في غسل اليد في الطست.

السادس ألا ينظر إلى أصحابه ولا يراقب أكلهم فيستحون، بل يغض بصره عنهم ويشتغل بنفسه، ولا يمسك قبل إخوانه إذا كانوا يحتشمون الأكل بعده، بل يمد اليد ويقبضها ويتناول قليلاً قليلاً إلى أن يستوفوا.

السابع ألا يفعل ما يستقذره غيره، فلا ينفض يده في القصعة، ولا يقدم إليها رأسه عند وضع اللقمة في فيه.

الباب الثالث في آداب تقديم الطعام إلى الإخوة الزائرين:

تقديم الطعام إلى الإخوان فيه فضل كثير، وكان الصحابة رضي الله عنهم يقولون: الاجتماع على الطعام من مكارم الأخلاق.

أما آداب تقديم الطعام، فبعضها في الدخول وبعضها في تقديم الطعام. أما الدخول فليس من السُّنَّة أن يقصد قومًا متربصًا لوقت طعامهم، فيدخلَ عليهم وقت الأكل، ولكن حقّ الداخل إذا لم يتربص واتفق أن صادفهم على طعام ألا يأكل ما لم يُؤذن له.

وأما آداب التقديم فترك التكلف أولاً وتقديم ما حضر، فإن لم يحضره شيء ولم يملك، فلا يستقرض لأجل ذلك فيشوش على نفسه، وإن حضره ما هو محتاج إليه لِقُوْته ولم تسمح نفسه بالتقديم فلا ينبغي أن يقدم. قال بعضهم: ما أُبالي من أتاني من إخواني فإني لا أتكلف له، إنما أقرّب ما عندي، ولو تكلفت له لكرهت مجيئه ومللته. ومن التكلف أن يقدم جميع ما عنده فيجحف بعياله ويؤذي قلوبهم.

ثم إن الزائر ينبغي ألا يقترح ولا يتحكم بشيء بعينه، فربما يشق على المزُوْرِ إحضاره، فإن خيّره أخوه بين طعامين فليختر أيسرهما عليه. وكذلك أن يُشَهِّيَ المزُوْرُ أخاه الزائر ويلتمس منه الاقتراح ثم لا يقول له هل أقدم لك طعامًا؟ بل ينبغي أن يقدم له إن وجد طعام.

والباب الرابع في آداب الضيافة.

وأخيرًا الفصل يأتي بعد الأبواب الثلاثة، فيجمع آدابًا ومناهي طبية وشرعية متفرقة.

* * *

لقد جاء في شعر أحد الصعاليك الجاهليين، وهو الشنفرى عمرو بن مالك الأزدي، هذا البيت الذي ينمُّ على كياسة في الطعام، وقلة النهم والجشع إذا اجتمع هو وصحبه أو غيرهم على طعام:

وإن مُدَّت الأيدي إلى الزادِ لم أكنْ بأعجلِهم إذ أجشعُ القومِ أعجلُ

هذا الخلق النبيل البعيد عن الشره، هو صفة من سجايا ثلة من الأعراب ضاقت بهم حياتهم، وشعروا في أنفسهم ما يتطلبه المثل العالي في السلوك دون

أن يتأثروا بذلك الضيق، بل بقوا أوفياء للسلوك الطيب في الجماعة، حيث لا تطيش الأيدي جوعى على المائدة.

لقد شعر الدين الحنيف بمزايا هذا الشعب الأبيّ المتفتح على الحياة الحرة الراقية، فاستطاع بتعاليمه السديدة أن يجعلهم في أقل من ربع قرن سادة العالم.

عقد الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي مؤلِّف كتاب «صفوة التصوف» في كتابه هذا، فصلاً في الأطعمة جاء فيه، بابُ السنَّة في الابتداء بالملح لشرفه وفضله. وأورد الحديث الشريف: «مَثَلُ أصحابي في أمتي كمثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام إلا بالملح». كذلك أورد وصية النبي ﷺ: يا عليّ، ابدأ بالملح واختم بالملح. ولكنه ينتقد الوصية لأن إسنادها إلى جعفر بن محمد الصادق مما لا تقوم به حجة. وورد أيضًا في كتاب عوارف المعارف للسهروردي في الباب الثالث والأربعين في آداب الأكل: فمن ذلك أن يبتدئ بالملح ويختم به: روي عن رسول الله ﷺ أنه قال لعلي رضي الله عنه: «يا علي ابدأ طعامك بالملح واختم بالملح، فإن الملح شفاء من سبعين داء، منها الجنون والجذام والبرص ووجع البطن ووجع الأضراس».

وكذلك ينوه الغزالي بالملح في كتابه إحياء علوم الدين، الجزء (٢) في القسم الثاني في آداب حالة الآكل:

«... ويأكل باليمنى ويبدأ بالملح ويختم به». ويستخدم الملح في تطييب الطعام وتنكيهه وفي حفظ اللحم والسمك من الفساد. ولقد كان الملح ولايزال مهمًا في حياة الإنسان فهو يحث عصارات المعدة، وهو ضروري لاستحلاب الدهون وهضمها. ثم إن حمض كلور الماء الذي يتشكل منه الملح، يُعين على

هضم اللحوم، وهو يحوي شوارد الصوديوم والكلور وأحيانًا البوتاسيوم، وهي كلها جوهرية لكل وظيفة خلوية تتعلق بضغط الدم وإشارات الأعصاب وأعمال العضلات. ويسبب نقص الملح خسارة الوزن والكسل، وقد يوصل إلى العطالة والغثيان وتشنج العضلات. هذا وإن الإنسان في البلاد الحارة يخسر بالتعرق قسمًا من الملح الذي في جسمه ولابد من تعويضه. وينصح الأطباء في الطعام عدم تناوله خشية ارتفاع الضغط الشرياني، ورَأْيُنا هو الالتزام بالآية القرآنية الكريمة ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١].

ولن يتسع مقال صغير لاستيعاب كل ما جاء من الآداب التي سبقت ما يدعى في العصر الحاضر (إتيكيت الطعام). لقد سبق العرب في اتخاذ قواعد راقية للسلوك في جميع الميادين، ومنها قضية الطعام وآداب الضيافة. فقد زخر تراثنا بأمور لطيفة ورائعة في مكارم الأخلاق كانت قدوة لغيرهم. فمثلاً كان إعلان ألوان الطعام من آداب المائدة. قال أبو الفتح كشاجم: «وخُبّرت أن بعض المتقدمين كان يذكر ما يصنع لإخوانه من الطعام في رقعة ويعرضه عليهم، فمن استطاب لونًا حبس نفسه عليه[٤]، وهذه الرقعة هي المعروفة اليوم باسم menu ويطلق عليها في اللغة الخضض وهي تعني ألوان الطعام. واستعاض عنها بعضهم باستدعاء طهاتهم وسؤالهم أمام الأضياف عمّا عندهم من الألوان، ليحبس كل منهم نفسه وشهوته على ما يختار ويُؤْثر منها.

ومن الآداب أيضًا غسل اليدين قبل الطعام وبعده كما مر آنفًا. لقد سافرت آداب السفرة والطعام مع غيرها من الآداب الاجتماعية إلى أوربة، لتدخل بعض التقدم على حياة أهليها وترفعهم درجات. قال ابن عبد ربه

(4) أدب النديم باريس ١٣٣٠ ص ٣.

الأندلسي: «ومن الأدب أن يبدأ صاحب الطعام بغسل يده قبل الطعام، ثم يقول لجلسائه، من شاء منكم فليغسل؛ فإذا غسل بعد الطعام فليقدمهم ويتأخر، أي يغسل يده بعدهم على خلاف البدء»[٥]. وسنرى فيما يأتي أن بعض الخاصة كانوا إذا انتهوا من الأكل، يغسلون أيديهم بماء الورد وينشفونها بالمناديل الحريرية، كما في موائد الوزير أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات.

مطبخا الوزير ابن الفرات في داره:

جاء في كتاب الوزراء، ويدعى هذا الكتاب أيضًا: تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، وهو لأبي الحسن الهلال بن المحسن الصابي: «كان لأبي الحسن ابن الفرات مطبخان في داره، فأما مطبخ الخاصّة الذي يطبخ فيه، فلا أحصي ما كان يدخله من الغنم والحيوان لكثرته. وأما مطبخ العّامة المرسوم بما يُقدّم إلى خلفاء الحُجّاب المقيمين في الدار، ويُغرف منه للرجّالة والبوابين وأصاغر الكُتّاب وغلمان أصحاب الدواوين، فكان يُستعمل فيه في كل يوم تسعون رأسًا من الغنم وثلاثون جديًا، ومِئتا قطعة دجاجًا سمانًا وفراريج مصدّرة، ومِئتا قطعة دُرّاجًا ومِئتا قطعة فراخًا. وهناك خبازون يخبزون الخبز السميذ[٦] ليلاً ونهارًا، وقوم يعملون الحلواء عملاً متصلاً، ودار كبيرة للشراب وفيها مازيان[٧] يحمل فيه الماء المبرّد ويطرح في الثلج كدرًا، ويسقى منه جميع من يريد الشرب، الرجّالة والفرسان والأعوان والخُزّان ومن يجري مجرى هذه الطبقة من الأتباع

(5) العقد الفريد جزء ٢ ص ٤٥٩.

(6) الخبز السميذ: ما كان من الدقيق الأبيض.

(7) المازيان: الأنبوبة ولعلها تشبه الزمزميّة.

والغلمان، ومزمّلات[٨] فيها الماء الشديد البرد. وبرسم خزانة الشرب خدم نظاف، عليهم الثياب الدُبيقية السريّة[٩]، وفي يد كل واحد منهم قدح فيه سكنجبين[١٠] أو جلاب[١١] ومِخْوَض[١٢] وكوز ماء، ومنديل من مناديل الشراب نظيف، فلا يتركون أحدًا ممن يحضر الدار من القواد والخدم السلطانيين والكتَّاب والعمال إلا عرضوا ذلك عليه. وفي جانب الدار أدراجٌ[١٣] كثيرةٌ لأصحاب الحوائج والمتظلمين، حتى لا يلتزم أحد منهم مؤونة لما يبتاعه من ذلك، وأنصاف قراطيس وأثلاث.

صورة عن أصحاب الوزير وولائمه مأخوذة عن كتاب الوزراء أيضًا:

وحدّث أبو القاسم بن زنجي قال: رسم أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات في وزارته الثانية أن يُدعى أبو الحسن موسى بن خلف، وأبو علي محمد بن علي بن مقلة، وأبو الطيّب محمد بن أحمد الكلوذاني، وأبو عبد الله محمد بن صالح، وأبو عبد الله والدي، وأبو بشر عبد الله بن الفرخان النصراني، وأبو الحسين سعيد بن إبراهيم التستري النصراني، وأبو منصور عبد الله بن جبير النصراني، وأبو عمرو سعيد بن الفرخان النصراني، في كل يوم إلى طعامه فكانوا يحضرون مجلسه في وقته ويقعدون من جانبيه وبين يديه، ويُقدّم إلى كل واحد

(8)المزمّلات: الجرار والخوابي جمع مُزمّلة.

(9) السرية: الجيدة.

(10) السكنجبين: من نوع الشراب.

(11) الجلاب: العسل أو السكر يعقد بماء الورد.

(12) المخوض: لعله أداة للغرف.

(13) الأدراج هنا جمع درج: وهو ما يُكتب فيه.

منهم طبق فيه أصناف الفاكهة الموجودة في الوقت من خير شيء، ثم يجعل في الوسط طبق كبير يشتمل على جميع الأصناف، وكل طبق فيه سكين يقطع بها صاحبه ما يحتاج إلى قطعه من سفرجل وخوخ وكمثرى، ومعه طست زجاج يرمى فيه التفل، فإذا بلغوا من ذلك حاجتهم واستوفروا(١٤) كفايتهم، شيلت الأطباق وقُدمت الطسوت والأباريق فغسلوا أيديهم، وأُحضرت المائدة مغشّاة بديبقي فوق مكبّة خيازر(١٥) ومن تحتها سفرة أدم(١٦) فاضلة عليها، وحواليها مناديل الغَمَر(١٧) من الثياب المعصور(١٨) فإذا وضعت رفعت المكبة والأغشية، وأخذ القوم في الأكل، وأبو الحسن بن الفرات يحدثهم ويباسطهم ويؤانسهم، ولا يزال على ذلك والألوان توضع وترفع أكثر من ساعتين، ثم ينهضون إلى مجلس في جانب المجلس الذي كانوا فيه، ويغسلون أيديهم والفرّاشون قيام يصبون الماء عليهم، والخدم وقوف على أيديهم المناديل الدُبيقية ورطليات(١٩) ماء الورد لمسح أيديهم وصَبِّه على وجوههم. فمن كانت له من الكتّاب حاجة قام إليه وخاطبه فيها وسأله إياها، ومن أراد إطلاعه على سِرٍّ يجب الانفراد معه فيه، فعل مثل ذلك. ثم أُخرج وظائف(٢٠) الكتّاب وغلمانهم والخُزّان ومن دونهم وسائر من جرت

(14) استوفروا: استوفوا.

(15) الخيازر: جمع خيزرانة فالمكبة مصنوعة من الخيزران.

(16) الأدم: الجلد.

(17) الغمر: الدهن. ويريد بذلك المناديل التي تستعمل ساعة الأكل ((فوط المائدة)).

(18) المعصور: المجفف ولعلها يُراد بها المضغوطة لتكون كالمكوية.

(19) الرطليات: أوان سعة كل منها رطل.

(20) الوظائف هنا المقررات من الطعام وغيره. ووظائف الثلج يوزع الثلج منها في الصيف تخفيفًا لحرارة الجو.

عادته بالوظيفة على طبقاتهم، وأتبع ذلك بتفرقة وظائف الثلج على أصحاب الدواوين والكتّاب والمقيمين في الدار.

صورة أخرى لولائم كان بعض المقتدرين يولمونها للأصدقاء:

جاء في كتاب البخلاء للجاحظ:

من ذلك كلام الجارود بن أبي سبُرة لبلال بن بُردة حين قال له: صف عبد الأعلى وإطعامه قال: يأتيه الخبّاز فيمثل بين يديه فيقول: ما عندك؟ فيقول: عندي جدي كذا وعناق[٢١] كذا وبطة كذا حتى يأتي على جميع ما عنده. قال: وما يدعوه إلى هذا؟ قال: ليقتصر كل امرئ في الأكل حتى إذا أُتي بالذي يشتهي بلغ منه حاجته. قال: ثم ماذا؟ قال: ثم يؤتى بالمائدة فيتسعون ويتضايق ويجدّون ويُعذِّر حتى إذا فتروا خوّى[٢٢] تخوية الظليم[٢٣] وأكل أكل الجائع المقرور.

هذا ومن المعروف أن لكل جماعة مصطلحاتٍ وكلماتٍ خاصة، وضربًا من البيان وكان الجاحظ يتتبع تلك الجماعات وقد قال قبيل سؤال جارود لبلال:

(21) العناق: الأنثى من أولاد المعز قبل استكمالها الحول.

(22) خوّى: التخوية خلو الجوف من الطعام.

(23) الظليم: ذكر النعام.

«وحلاوة حديثهم تدعو إلى الاستكثار منهم، وتدعو إلى إحضار غرائب شهواتهم». ومن الأمثلة التي أوردها الجاحظ قول المديني: «من تصبّح بسبع موزات وبقدح من لبن الأوارك[٢٤] تجشأ بخور الكعبة».

ومن ذلك أيضًا قول الآخر حين دخل على قوم وهم يشربون وعندهم قيان فقالوا: اقترح أيَّ صوتٍ شئت (أي في الغناء) ويبدو أنه كان جائعًا فقال: أقترح نَشِيْشَ مِقْلى.

الجارود الذي ذكره الجاحظ شخصية كبيرة من شخصيات العراق في القرن الأول وأوائل القرن الثاني، أشاد به الجاحظ نفسه فقال: الجارود ابن أبي سبرة ويكنى أبا نوفل، من أبين الناس وأحسنهم حديثًا، فكان راوية علاّمة وشاعرًا مفلقًا وكان من رجال الشيعة. ولما استنطقه الحجاج قال: ما ظننت أن بالعراق مثلَ هذا. وكان يقول: ما أسكتني والٍ قط من إذنه إلا غلبت عليه. وكان من جلساء عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر. وعبد الأعلى هذا أحد من يصفهم الجاحظ بأنه من أبين الناس وأفصحهم، حتى كان مسلمة بن عبد الملك يقول: إني لأنحّي كورَ[٢٥] العمامة عن أذنيّ لأسمع كلام عبد الأعلى.

كلام الرؤساء رؤساء الكلام:

(24) الأوارك: النوق التي رعت نبات الأراك، وهو شجر المسواك وأطيب ما رعته الماشية. ينبت في شبه جزيرة العرب وفي فلسطين. تحمل الأوارك في لبنها من ذلك الشجر نكهة تزيد في طيبه.

(25) كور: كوّر العمامة لفّها.

أبو بحر الضحّاك بن قيس بن معاوية التميمي الملقب بالأحنف (٣ق. هـ - ٦٧ هـ/ ٦١٩م – ٦٨٦م) سيد بني تميم وأحد العظماء الدهاة الفصحاء الشجعان الفاتحين، يُضرب به المثل في الحلم. وُلد في البصرة وأدرك النبي ﷺ ولم يره. وفد على عمر حين آلت إليه الخلافة في المدينة، فاستبقاه عمر فمكث عامًا وأذن له فعاد إلى البصرة. فكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري: «أما بعد فأَدْنِ الأحنف وشاوره واسمع منه إلخ...» . وشهد الفتوح في خراسان واعتزل الفتنة يوم الجمل، ثم شهد صفّين مع علي. ولما انتظم الأمر لمعاوية عاتبه فأغلظ له الأحنف في الجواب، فسئل معاوية عن صبره عليه فقال: هذا الذي إذا غضب غضب له مئة ألف لا يدرون فيما يغضب. وولّي خراسان وكان صديقًا لمصعب بن الزبير أمير العراق، فوفد عليه بالكوفة فتوفي فيها وهو عنده. أخباره كثيرة، خطبه وكلماته متفرقة. قال رجل ليحيى البرمكي أنت والله أحلم من الأحنف بن قيس فقال يحيى: ما يَقْرُبُ علينا من أعطانا فوق حقنا.

وقد استهل ابن قتيبة مؤلِّف كتاب عيون الأخبار، فصل الطعام من ذلك الكتاب الشهير بهذه الملحة: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للأحنف: أي الطعام أحب إليك؟ قال: الزبد والكمأة فقال عمر: ما هما بأحب الأطعمة إليه ولكنه يحب الخصب للمسلمين.

* * *

العصر العباسي عصر الوفرة والثراء والحضارة العجيبة الواسعة. كانت تلك الحضارة كالبحر المحيط المتلاطم الأمواج، تلتقي فيه الدراري وتجتمع فيه الأضداد. ولئن كان الوزير ابن الفرات متوسعًا في كرمه وولائمه توسعًا طوّح به أي تطويح مأساوي ذكره مؤلِّف كتاب «الوزراء»، فقد كان في تلك

الحضارة من يطري مزايا البخل وينوه بالإمساك والتقتير، مثل سهل بن هارون (؟ – ١٧٣ هـ/ ٧٨٩م) وهو أبو عمرو بن راهبون، كاتب بليغ وحكيم من واضعي القصص، يلقب بزرجمهر الإسلام، فارسي الأصل، اشتهر في البصرة واتصل بخدمة المأمون العباسي، وولاه رئاسة خزانة الحكمة ببغداد.

كان يُتهم بالشعوبية وكان الجاحظ معجبًا به قال في وصفه: «ومن الخطباء الشعراء الذين جمعوا الشعر والخطب والرسائل الطوال والقصار والكتب الكبار سهلُ بن هارون». له كتاب (ثُعْلة وعَفْرة) على نسق كليلة ودمنة ألَّفه للمأمون، وكتاب الإخوان والمسائل، وله رسالة مشهورة في البخل. وعاش في عصره تقريبًا شاعرٌ هجّاء أصله من الكوفة وأقام ببغداد وهو دعبل الخزاعي (١٤٨– ٢٤٦ هـ/ ٧٦٥– ٨٦٠م) لم يرض عن بخل سهل بن هارون الكاتب العظيم، فوصفه وصفًا تناقله الكتّاب وكان دعبل شابًّا حين وصفه. جاء هذا الوصف في الجزء الثالث من كتاب عيون الأخبار ومثله في الجزء الثاني من كتاب الحيوان، ولا نستطيع أن نمر هنا دون أن نعرض ما كتبه الجاحظ نقلاً عن دعبل بعنوان (سهل بن هارون وديكه).

قال دعبل الشاعر: أقمنا عند سهل بن هارون فلم نبرح حتى كدنا نموت من الجوع، فلما اضطررناه قال: يا غلام، ويلك غدّنا! قال: فأتينا بقصعة فيها مرق فيه لحم [فبقي مطرقًا ساعة][٢٦] ثم رفع رأسه إلى الغلام فقال: أين الرأس؟ فقال: رميت به قال: ولم رميت به؟ قال: لم أظنك تأكله! قال: ولأي شيء ظننت أني لا آكله؟ فوالله إني لأمقت من يرمي برجليه [فكيف من يرمي برأسه] ثم قال له: لو لم أكره ما صنعت إلا للطّيرة والفأل لكرهته!

(26) الزيادة من عيون الأخبار.

الرأس رئيس وفيه الحواس، ومنه يصدح الديك، ولولا صوتُه ما أريد، وفيه فرقُه الذي يُتبرّك به، وعينُه التي يضرب بها المثل يقال: «شراب كعين الديك» ودماغه عجيب لوجع الكلية، ولم أر عظمًا قط أهشّ تحت الأسنان من عظم رأسه، فهلاّ إذ ظننت أني لا آكله ظننت أن العيال لا يأكلونه؟ وإن كان بلغ من نبلك أنك لا تأكله فإن عندنا من يأكله. أو ما علمت أنه خير من طرف الجناح ومن الساق والعنق؟ انظر أين هو؟ قال: والله ما أدري أين رميت به! قال: لكني أدري أنك رميت به في بطنك والله حسيبك!

جاء في الحديث الشريف: «إن الله جميل يحب الجمال، سخي يحب السخاء، نظيف يحب النظافة» رقم الحديث ١٧٢٤ في كتاب «فيض القدير» هذا وإن النظافة تزيد في العين مهابة وفي القلب جلالة. وتنظيف الثوب والبدن مطلوب عقلاً وشرعًا وعرفًا. ثم إن نظافة الظاهر قد تُعين على نظافة الباطن. والعرب من أنظف الأمم وهم الذين شرّعوا النظافة في بلادهم ومثلوها أفضل تمثيل في ماضيهم المجيد.

ولابأس أن نتطرق إلى استعمال الملاعق لديهم. معظم الحيوان حين يأكل يأكل بفمه. ومن هبات الله للإنسان أنه جعله يأكل بيده، ثم هداه إلى استعمال أدوات الطعام ومنها الملعقة. كان لأهل همذان خاصةً حذق باتخاذ المرايا والملاعق والمجامر والطبول المذهّبة، التي فاقوا بها وباتخاذها جميع أهل الأرض[٢٧]. ولابن الخيمي المصري المتوفى سنة ٦٨٥ هـ/ ١٢٨٦م مُلغِزًا في الملعقة:

(27) كتاب البلدان لابن الفقيه ليدن ص ٢٥٣.

وممدودةٍ كَيَدِ المجْتَدِي بكفٍّ على ساعدٍ مُسْعدِ
ترى بعضَها في فمي كاللسا ن وجملتها في يدي كاليدِ

كانت الملاعق تصنع من الزجاج المجرود ومن النحاس والفضة والذهب. ولابأس أن نذكر قصة الوزير الحسن بن محمد المهلّبي، فقد كان عزوف النفس، وجد نفسه يأنف من إعادة الملعقة إلى فيه، فقد روى ياقوتٌ في كتابه إرشاد الأريب القصة التالية عنه:

«..... وكان من ظرفه في فعله ونظافته في مأكله، أنه إذا أراد أكل شيء بملعقة كالأرز واللبن وأمثاله، وقف من جانبه الأيمن غلام معه نحو ثلاثين ملعقة زجاجًا مجرودًا، وكان يستعمله كثيرًا فيأخذ منه ملعقة يأكل بها من ذلك اللون لقمة واحدة، ثم يدفعها إلى غلام آخر قام من جانب الأيسر، ثم يأخذ أخرى فيفعل بها فعل الأولى، حتى ينال الكفاية لئلا يعيد الملعقة إلى فيه ثانية»[٢٨].

وقد يقع في الوليمة ما هو مستهجن أو مضحك، وسرعان ما كان صاحب الوليمة يتلافى ذلك بكياسة واقتدار محكم، حتى إن المهلبي جعل لنفسه مائدتين: إحداهما كبيرة عامة وأخرى لطيفة خاصة كان يؤاكله عليها بعض صحبه المخلصين.

(28) معجم الأدباء لياقوت، الجزء ١٣ ص ١٠٢.

المصادر

١- إحياء علوم الدين، أبو الحامد الغزالي، مصر، المكتبة التجارية الكبرى.

٢- أدب النديم، باريس: ١٣٣٠.

٣- البخلاء، الجاحظ، تحقيق طه الحاجري، القاهرة: دار الكاتب المصري، ١٩٤٨.

٤- صفوة التصوف، (كتاب الأطعمة والأشربة) الحافظ أبو الفضل المقدسي. مصر: مطبعة دار التأليف.

٥- عيون الأخبار، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، القاهرة: المؤسسة المصرية العامة، ١٩٦٣.

٦- فص الخواتم فيما قيل في الولائم، شمس الدين محمد بن علي بن طولون الدمشقي الصالحي، تحقيق نزار أباظة، دمشق: دار الفكر.

٧- فقه اللغة، الإمام أبو منصور الثعالبي، بيروت: المطبعة الكاثوليكية.

٨- كتاب البلدان، ابن الفقيه.

٩- كتاب الطبيخ، محمد بن الحسن بن محمد الكاتب البغدادي، أعاد نشره فخري البارودي مذيل عليه بكتاب معجم المآكل الدمشقية، دار الكتاب الجديد.

١٠- كتاب كنز الفوائد في تنويع الموائد، تحقيق مانويلا مارين وديفيد وانيز، بيروت: ١٤١٣/ ١٩٩٣ النشرات الإسلامية ٤٠ شتوتغارت ألمانيا.

١١- الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، أبو الحسن الهلال بن المحسن الصابئ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي ١٩٥٨.

كلام في الشعر وماهيته

د. محمد إحسان النص(*)

لقد طُرح هذا السؤال عشرات المرّات منذ القديم: ما سبب انقسام الفن القولي، لدى جميع الأمم، إلى نثر وشعر؟ ما ماهية الشعر التي تميّزه من الكلام المعتاد ومن النثر الفني؟ إن أكثر ما نجده من الحديث عن الشعر إنما يتّصل بأثره في النفس وجماليته وصعوبة قوله ومنزلة الشاعر في مجتمعه. أما بيان ماهية الشعر فقلما يعرض لها النُقّاد والأدباء.

من المحقَّق أنه كانت للشاعر في المجتمع الجاهلي منزلة مميّزة لأنه كان المحامي عن القبيلة، يهجو أعداءها، ويفخر بمآثرها، ويمدح أشرافها ولكننا لا نجد في الشعر الجاهلي بيانًا لماهية الشعر، وإنما نجد كلامًا حول صعوبة قوله. يقول الحطيئة:

الشعر صعبٌ وطويل سُلّمُه والشعر لا يطيقه من يظلمُهْ
إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه زلّت به إلى الحضيض قدمُه
يريد أن يُعرِبَهُ فيُعجِمه[1]

وقالوا في صعوبة قول الشعر: «عمل الشعر على الحاذق به أشدّ من نقل الصخر. ويُقال إن الشعر كالبحر، أهون ما يكون على الجاهل، أهول ما يكون على العالم»[2].

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

(١) العمدة لابن رشيق ٩٦/١.

(٢) نفسه ٩٧/١.

وكان للشعر أثره القوي في نفوس الجاهليين بحيث أن بيتًا من الشعر في المديح يرفع من شأن الممدوح إلى منزلة عالية، وبيتًا في الهجاء ينحطّ به المهجوّ إلى أدنى منزلة... من أمثلة ذلك حديث الأعشى والمحلّق الكلابي. ذكروا أن الأعشى قدم مكة وتسامع الناس به، فقالت امرأة المحلّق لزوجها، وكانت امرأة عاقلة: إن الأعشى قدم، وهو رجل مفوَّه مجدود في الشعر، ما مدح أحدًا إلاّ رفعه، ولا هجا أحدًا إلاّ وَضَعه، وأنت رجل، كما علمت، فقير خامل الذكر ذو بنات، وعندنا لقحة نعيش بها، فلو سبقت الناس إليه، فدعوته إلى الضيافة، ونحرت له، واحتلت لك فيما تشتري به شرابًا يتعاطاه، لرجوت حسن العاقبة. فسبق إليه المحلّق، فأنزله ونحر له، ووجد المرأة قد خبزت خبزًا، وأخرجت نِحْيًا فيه سمن، وجاءت بوَطْبِ لبن. فلمّا أكل الأعشى وأصحابه، وكان في عصابة قيسية، قَدّم إليه الشراب، واشتوى له من كبد الناقة، وأطعمه من أطايبها. فلمّا جرى الشراب في الأعشى، وأخذت منه الكأس، سأله عن حاله وعياله، فعرف البؤس في كلامه، وذكر البنات. فقال الأعشى: كُفيتَ أمرهنّ. ووقف بعكاظ فأنشد قصيدة قال فيها:

نفى الذمَّ عن المحلّق جفنةً كجابية الشيخ العراقي تفهق
لعمري لقد لاحت عيون كثيرة إلى ضوء نار باليفاع تحرّق
تُشَبّ لمقرورين يصطليانها وبات على النار النّدى والمحلّق

إلى آخر القصيدة.

فما أتمّها إلا والناس ينسلّون إلى المحلّق يهنئونه، والأشراف من كل قبيلة يتسابقون جريًا يخطبون بناته، فلم تمسِ منهنّ واحدة إلا في عصمة

رجل أفضل من أبيها[٣].

وممن رفعه الشعر بنو أنف الناقة، في زمن عمر بن الخطاب ﷺ. كانوا يعيَّرون بهذ اللقب ويتحامون ذكره إذا سُئلوا عن نسبهم. فلما قال الحطيئة قصيدته في مدحهم ومنها قوله:

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ومَن يسوّي بأنف الناقة الذنبا

صاروا يفخرون بهذا اللقب ويتطاولون به.

وممن وضعه الشعر الربيع بن زياد العبسي، وكان نديمًا للنعمان بن المنذر، فلما هجاه لبيد بن ربيعة العامري، وهو يومئذ غلام، بالرجز الذي يقول فيه:

مهلاً أبيت اللعن لا تأكل معه

وأفحش فيه، سقطت منزلته عند النعمان.

* * *

فلما جاء الإسلام ظلت للشعر مكانته في النفوس وأثره القوي فيها، مع أن القرآن وقف من الشعراء وقفة المنكر الذامّ لهم في قوله تعالى: ﴿والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ. أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ. وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ﴾[٤]. على أنه أثنى بعد ذلك على المؤمنين منهم في قوله تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾[٥]. فالشعراء الذين ذمّهم القرآن الكريم إنما هم الشعراء الذين يتعرَّضون لهجاء الناس ويظلمونهم، وفي القرآن آية تنفي أن يكون محمد ﷺ،

(٣) العمدة ١/٣٥.

(٤) سورة الشعراء الآيات ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦.

(٥) سورة الشعراء الآية ٢٢٧.

عالمِا بالشعر وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾(٦). فالقصد من الآية أن الرسول ﷺ إنما بُعث لهداية الناس بآيات القرآن، ولم يبعثه ليقول الشعر. وروي عن النبي ﷺ، حديث يذم فيه الشعر وهو قوله: «لأَن يمتلئ جوفُ أحدكم قَيحًا فيَرِيه خير له من أن يمتلئ شعرًا»(٧).

وقد وضّح ابن رشيق المقصود منه فقال:«فإنما هو من غلب الشعر على قلبه وملك نفسه حتى شغله عن دينه وإقامة فروضه، ومنعه من ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن»(٧).

وقد روي عن الرسول، عليه الصلاة والسلام، كلام في الثناء على الشعر منه قوله:

«إن من البيان لسِحرًا، وإن من الشعر لحكمة»(٨). وأُثِرَ عنه أيضًا قوله في الثناء على الشعر:«الشعر كلام من كلام العرب جزل، تتكلم به في بواديها، وتُسَلّ به الضغائن من بينها»(٨).

ولما نزل القرآن وأُخذ المشركون ببلاغته حاروا في إطلاق نعت لمحمد، عليه الصلاة والسلام، وكان مما نعتوه به أنه شاعر، وذلك لعميق أثره في النفوس، وقد ذكر القرآن أقوالهم وردّ نعتهم لمحمد بأنه شاعر في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ﴾(٩)، فالشاعر في نظر الجاهليين ليس فقط من يقول الشعر الموزون، وإنما من يقول كلامًا بليغًا رائعًا

(٦) سورة يس، الآية ٦٩.

(٧) العمدة ١/١٨.

(٨) نفسه١/١٤.

(٩) الحاقة:٤٠– ٤١.

عميق الأثر في النفوس.

وكان الرسول ﷺ يستعين بالشعراء على مهاجاة المشركين وشعرائهم، ومن هؤلاء حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، فكان يحارب المشركين بسلاحهم، إذ كان شعراؤهم يهجون الرسول والمسلمين، ومنهم عبد الله بن الزبعرى.فظهور الإسلام لم يؤدِّ إلى انحطاط منزلة الشعر.

ورُوي عن أصحاب رسول الله ﷺ وخلفائه كلام كثير في شأن الشعر. ولعمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أقوال في الشعر منها قوله:«الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أعلم منه»(١٠). وكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري:«مُر مَن قِبلك بتعلم الشعر، فإنه يدل على معالي الأخلاق، وصواب الرأي، ومعرفة الأنساب»(١١).

وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول:«إذا قرأتم شيئًا من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب، فإن الشعر ديوان العرب»(١٢). ومن كلام معاوية في الشعر قوله:«يجب على الرجل تأديب ولده، والشعر أعلى مراتب الأدب» وقال أيضًا:«واجعلوا الشعر أكبر همكم وأكثر دأبكم».

وثمة أقوال كثيرة في بيان منزلة الشعر، ولكن ليس فيها ذكر لتعريف الشعر وبيان ماهيته. وأول كلام في تعريف الشعر نجده عند ابن سيرين وهو

(١٠) العمدة ١/١٤.

(١١) نفسه ١/١٧.

(١٢) نفسه ١/١٥.

قوله:«الشعر كلام عُقد بالقوافي»[١٣]. ولكن هذا التعريف غير واف، فهو يجعل الفارق بين الشعر والنثر ارتباط الشعر بالقافية.

لأبي العباس ثعلب أحمد بن يحيى (ت٢٩١هـ)كتابان في الشعر أحدهما (قواعد الشعر) وهو مطبوع، والثاني (معاني الشعر). ولم يكن ثعلب من نُقَّاد الشعر وإنما كان نحويًّا لغويًّا، ولذلك لم يأت في كتابه (قواعد الشعر)بتعريف للشعر وإنما ذكر قواعده، وهي عنده:الأمر والنهي والخبر والاستخبار.وتحدَّث عن المعنى وما يحسن منه،وحديثه في غاية الإيجاز[١٤].

أول أديب ناقد تحدث عن الشعر والشعراء هو الجاحظ عمرو بن بحر(ت ٢٥٥هـ) في كتابه (البيان والتبيين)، ففي حديثه عن الشعراء ذكر منهم المطبوعين على الشعر من المولدّين كبشار بن برد والسيّد الحميري[١٥]، وكذلك تحدَّث عن صفات الشعر الجيد فقال:«وأجود الشعر ما رأيتَه متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتَعلم بذلك أنه قد أُفرغ فراغًا واحدًا، وسُبك سبكًا واحدًا»[١٦]. وتحدَّث عن أوقات الشعر، فقد يستعصي قوله على الفحول منهم، وأورد قول الفرزدق: «أنا عند الناس أشعر العرب، ولربما كان نزع ضرس أيسر عليّ من أن أقول بيت شعر»[١٧]. وتحدَّث عن الشعراء الذين ينقّحون أشعارهم فقال: ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولاً

(١٣) العمدة ١/١٦.

(١٤) انظر كتاب تاريخ النقد الأدبي عند العرب للدكتور إحسان عباس (ص٨٤).

(١٥) البيان والتبيين ١/٥٠.

(١٦) نفسه ١/١٦٧.

(١٧) نفسه ١/١٣٠.

كريتًا وزمنًا طويلاً، يُردّد فيها نظره ويجيل فيها عقله، ويقلِّب فيها رأيه اتِّهامًا لعقله، وتتبعًا على نفسه، فيجعل عقله زمامًا على رأيه، ورأيه عيارًا على شعره... وكانوا يسمّون القصائد الحوليّات والمقلّدات، والمنقّحات ليصير قائلها فحلاً خنذيذًا أو شاعرًا مفلقًا[١٨]. وذكر أيضًا أنه ليس كل بليغ يستطيع قول الشعر[١٩]. وهذه إشارة هامة في بيان الفارق بين الأديب والشاعر، وعلل ذلك باختلاف طبع الرجل وطبيعته، قال:«ويكون له طبع في تأليف الرسائل والخطب والأسجاع، ولا يكون له طبع في قرض بيت شعر». وتلك أيضًا إشارة هامة إلى ماهية الشعر، فهو طبعٌ في الشاعر، وليس كل أديب وُهب هذا الطبع. على أن الجاحظ لم يضع تعريفًا للشعر يبين ماهيته ومقوّماته.

أما محمد بن سلاّم الجمحي (ت ٢٣١هـ) فقد ذهب إلى أن الشعر صناعة يعرفها أهل العلم، قال: «وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم، كسائر أصناف العلم والصناعات، منها ما تثقفه العين، ومنها ما تثقفه الأذن، ومنها ما تثقفه اليد، ومنها ما يثقفه اللسان»[٢٠]. وقال في بيان منزلة الشعر في الجاهلية: «كان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوان علمهم، ومنتهى حكمهم، به يأخذون، وإليه يصيرون»[٢١].

ومن أوائل من تحدَّثوا عن الشعر والشعراء ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ). فقد تحدَّث في كتابه (الشعر والشعراء) عن أمور كثيرة تتصل

(١٨) البيان والتبيين ٢/٩.

(١٩) نفسه ١/٢٠٨.

(٢٠) طبقات فحول الشعراء ١/٦.

(٢١) نفسه ص٢٢.

بالشعر، ولكنه لم يعرّف الشعر وإنما ذكر أن من الشعراء المتكلِّف والمطبوع[٢٢]، وتحدَّث عن دواعي الشعر وأوقاته، من ذلك قوله:«وللشعر تارات يبعد فيها قريبه، ويستصعب فيها ريِّضُه»[٢٣]. وعلّل ذلك بحصول عارض يعرض على الغريزة، من سوء غذاء أو خاطر غم.

يبدو أن أول ناقد وضع حدًّا للشعر هو الناشئ الأكبر، عبد الله بن محمد الأنباري (ت ٢٩٣هـ) . ولم يصلنا كتابه في نقد الشعر وإنما وصلتنا نُقُولٌ منه في كتاب (البصائر والذخائر) لأبي حيان التوحيدي، فهو يقول فيه: «ما أصبت أحدًا تكلَّم في نقد الشعر وتوصيفه أحسن مما أتى به الناشئ المتكلم، وإن كلامه ليزيد على كلام قدامة وغيره»[٢٤]. وقد عرّف الناشئ الشعر تعريفًا أدبيًّا فقال: «الشعر قيد الكلام، وعقال الأدب، وسور البلاغة، ومحلّ البراعة، ومجال الجَنان، وسرحه البيان، وذريعة المتوسل، ووسيلة المترسّل، وذمام العرب، وحرمة الأديب، وعصمة الهارب، وعذر الراهب، وفرصة المتمثّل، وحاكم الإعراب، وشاهد الصواب»[٢٥]. إلا أن هذا التعريف ليس حدًّا للشعر، وإنما هو وصف لمنزلته وأثره في النفوس.

وممن وضع تعريفًا للشعر ابن طباطبا محمد بن أحمد (ت ٣٢٢هـ) في كتاب (عيار الشعر)، قال: «الشعر كلام منظوم، بائن عن المنثور... ونظمه معلوم محدود، فمن صحّ طبعه وذوقه لم يحتج إلى الاستعانة على نظم الشعر

(٢٢) الشعر والشعراء ١/٧٧.

(٢٣) نفسه ١/٨٠.

(٢٤) البصائر والذخائر ٢/١١٧.

(٢٥) نفسه ٢/٥٧٣.

بالعروض التي هي ميزانه»[٢٦]، فابن طباطبا يجعل الشعر وليد الطبع والذوق. ثم يتحدث عن صناعة الشعر، فيقول:«فإذا أراد الشاعر بناء قصيدة مَخَضَ المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثرًا، وأعدّ له ما يلبسه إياه من الألفاظ التي تطابقه، والقوافي التي توافقه، والوزن الذي يسلس له القول عليه»[٢٧]. فالشعر عند ابن طبابا طبع وصنعة، وهو يجعل المعنى أصلاً لهذه الصنعة. فالشاعر يبحث أولاً عن المعنى، ثم يختار لقصيدته الألفاظ والقوافي والوزن. وله كلام في عمل الشعر وإجادته ومكانته وأثره في النفوس يقول: «الشعر تُدفع به العظائم، وتُسَلّ به السخائم، وتُخلب به العقول، وتُسحر به الألباب، لما يشتمل عليه من رقيق اللفظ، ولطيف المعنى»[٢٨].

على أن أول من وضع حدًّا منطقيًّا للشعر إنما هو الناقد أبو الفرج قدامة بن جعفر، وكان معاصرًا لابن طباطبا (ت ٣٣٧هـ). فقد عرَّف الشعر في كتابه (نقد الشعر) بقوله: «إن أول ما يُحتاج إليه في شرح هذا الأمر معرفة حدّ الشعر الجائز عما ليس بشعر، وليس يوجد في العبارة عن ذلك أبلغ ولا أوجز، مع تمام الدلالة، من أن يُقال فيه: إنه قول موزون مقفّى يدلّ على معنى»[٢٩]. فحدّ الشعر عند قدامة هو أنه كلام موزون مقفّى يدل على معنى. فالعناصر التي يقوم عليها الشعر هي الوزن والقافية والمعنى. وبهذا التعريف يدخل في الشعر كل كلام منظوم كألفيَّة ابن مالك مثلاً، وهذا التعريف

(٢٦) عيار الشعر ص٣.

(٢٧) نفسه ص٥.

(٢٨) نفسه ص١٢١، والبصائر والذخائر للتوحيدي ١١٦/٢.

(٢٩) نقد الشعر ص١٣.

المنطقي لا يلمّ بجميع عناصر الشعر.

وممن تعرَّض للشعر بعد هؤلاء العالم اللغوي أحمد بن محمد المرزوقي (ت ٤٢١هـ) في مقدمته لشرح حماسة أبي تمام، وهو أول من وضع حدًّا واضحًا لعمود الشعر، وقد لخصه بقوله: «إنهم – أي الشعراء العرب – كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، والإصابة في الوصف... والمقارنة في التشبيه، والتحام أجزاء النظم والتئامها، على تخيّر من لذيذ الوزن، ومناسبة المستعار منه للمستعار له، ومشاكلة اللفظ للمعنى، وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما. فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر»(٣٠).

وفي سياق حديثه عن النثر والشعر يُورد حدّ الشعر بقوله: «ثم تفرد عنه – أي عن النثر – بأن كان حدَّه لفظ موزون مقفّى يدل على معنى»(٣١). ومن الواضح أن حدّ الشعر عنده هو الذي وجدناه عند قدامة بن جعفر في كتابه (نقد الشعر)، فعناصر الشعر ثلاثة وهي: الوزن والقافية والمعنى. فلم يأت المرزوقي بتعريف للشعر يغاير تعريف قدامة، ولم يكن همّ المرزوقي منصرفًا إلى تعريف الشعر، وإنما كان معنيًّا ببيان عمود الشعر وبيان الفوارق بين النثر والشعر، وإيراد الأدلة على أن النثر أفضل من الشعر.

ثمة شاعر كان له تصور للشعر يخالف به تصور شعراء آخرين، ذاك هو البحتري أبو عبادة الوليد بن عبيد (ت٢٨٤هـ). فهو يرفض إقحام المنطق في

(٣٠) مقدمة المرزوقي ص ٨٨.

(٣١) نفسه ص ٨٧.

الشعر، صنيع أبي تمام مثلاً، يقول:

كلفتمونا حدود منطقكم والشعر يغني عن صدقه كذبُه
ولم يكن ذو القروح يلهج بالمذ طق مانوعه وما سببه
والشعر لمح تكفي إشارته وليس بالهذر طُوّلت خطبه

فالشعر عنده يقوم على الإيجاز والإشارة لا على التطويل والمنطق، وفي الشعر يُقبل الكذب من الشاعر، والمقصود بالكذب هنا الخيال والتصوير.

ومن النقَّاد الذين تحدثوا عن الشعر القاضي الجرجاني علي بن عبد العزيز (ت ٣٦٦هـ) في كتابه (الوساطة بين المتنبي وخصومه). وقد عرّف الشعر بقوله: «الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء. ثم تكون الدربة مادة له، وقوةً لكل واحد من أسبابه»[٣٢]. فعناصر الشعر عنده هي الطبع، والرواية، والذكاء، والدربة. فجعل الشعر علمًا من علوم العرب قوامه **الطبع**.

وفي القرن الخامس ألّف ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ) كتابه (العمدة في محاسن الشعر)، وفيه باب عنوانه (باب حدّ الشعر وبنيته) وقد عرّف الشعر بقوله: «الشعر يقوم بعد النية من أربعة أشياء وهي: اللفظ، والوزن، والمعنى، والقافية، فهذا هو حدّ الشعر[٣٣]، ثم يزيد الكلام إيضاحًا فيقول: «لأن من الكلام موزونًا مقفّى، وليس بشعر لعدم القصد والنيّة». فقد أضاف ابن رشيق

(٣٢) الوساطة ص١٥.
(٣٣) العمدة١/٩٩ .

إلى تعريف قدامة القصدَ والنيّة. وأورد بعض ما قيل في بنية الشعر ومنها قول بعضهم: «بُني الشعر على أربعة أركان وهي: المدح، والهجاء، والنسيب، والرثاء. فخلط بعض الباحثين بين ماهية الشعر وأغراضه. ثم تحدّث ابن رشيق عن بيت الشعر فقال: «البيت من الشعر كالبيت من الأبنية: قراره الطبع، وسَمْكُه الرواية، ودعائمه العلم، وبابه الدُّربة، وساكنه المعنى. ولا خير في بيت غير مسكون. وصارت الأعاريض والقوافي كالموازين والأمثلة للأبنية، أو كالأواخي والأوتاد للأخبية. فأما ما سوى ذلك من محاسن الشعر فإنما هو زينة مستأنفة، ولو لم تكن لاستُغني عنها. ثم أورد كلام القاضي الجرجاني في تعريف الشعر بقوله: الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء، ثم تكون الدربة مادة له، وقوة لكل واحد من أسبابه»[٣٤]. ثم أورد ابن رشيق أقوالاً في أركان الشعر وأغراضه. فكذلك نرى أن ابن رشيق لم يأت بجديد ذي شأن في تعريف ماهية الشعر.

ظهر في القرن السابع الهجري ناقد بلاغي نافذ النظرة هو أبو الحسن حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ)، ألَّف كتابًا في البلاغة والأدب والحكمة سماه (منهاج البلغاء وسراج الأدباء)، وكان ممن تأثروا بفلسفة أرسطو ونظرات الفلاسفة العرب. وقد وقف في كتابه بابًا للشعر عنوانه: «معرف دال على المعرفة بماهية الشعر وحقيقته» يقول فيه: «الشعر كلام موزون مقفى من شأنه

(٣٤) العمدة ص١٠١.

أن يحبب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها، ويكرّه إليها ما قصد تكريهه، لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه، بما يتضمن من حسن تخييل له، ومحاكاة مستقلة بنفسها أو متصورة بحسن هيئة تأليفه الكلام، وقوة صدقه، أو قوة شهرته، أو مجموع ذلك»[٣٥]. فحازمٌ يعرِّف الشعر تعريف قدامة بن جعفر، ولكنه يضيف إليه ما يحققه الشعر من تأثير في النفس، ويجعل عماده التخييل والمحاكاة، وهو يوضِّح هذا التعريف بالحديث عن المحاكاة والصدق والكذب في الشعر.

ومن المؤرخين القدامى الذين تحدثوا عن الشعر الفيلسوف الاجتماعي عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ). فقد أفرد في مقدمته فصلاً للشعر عنوانه (في صناعة الشعر ووجه تعلمها) وقد عرَّف فيه الشعر بقوله: «الشعر هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة والأوصاف، المفصّل بأجزاء متفقة في الوزن والرويّ، مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده، الجاري على أساليب العرب المخصوصة به»[٣٦]. ثم شرح كل عنصر من هذه العناصر، فهذه (حقيقة الشعر) عنده، فالشعر في رأيه **صناعة** لها شروط، يقول: «إن لعمل الشعر وإحكام صناعته شروطًا أولها: الحفظ من جنسه — أي من حشو شعر العرب — حتى تنشأ في النفس ملكة ينسج على

(٣٥) منهاج الأدباء ص٧١.

(٣٦) مقدمة ابن خلدون ص٥٧٣.

منوالها»[٣٧]. فملكة الشعر عنده إنما تُكتسب بحفظ أشعار العرب، وصناعة الشعر تقوم على جملة من الشروط. فقد عرّف ابن خلدون الشعر بمضمونه وعماده وصنعته ولم يعرّف ماهية الشعر.

ظهرت في العصر الحديث والمعاصر دراسات تدعو إلى التخلّي عن **الشعر الخليلي** وإلى قول الشعر وفق نظرة جديدة. ومن أوائل من دعوا إلى ذلك الشاعرة المبدعة نازك الملائكة في كتابها (قضايا الشعر المعاصر). فقد اهتدت إلى ضرب من الشعر دعته (الشعر الحر). وهو يختلف عن الشعر الخليلي في أنه يقوم على الشطر الواحد لا على الشطرين، وأنه ينظم على تفعيلات متساوية من تفعيلات الشعر الخليلي، ولا يلتزم قافية واحدة في القصيدة. وقد عُرف هذا الشعر **بشعر التفعيلة**، وتساوي التفعيلات يقع في طائفة من البحور الخليلية كالخبب والكامل والرمل والمتقارب.

وقد شاع قول الشعر على نهج التفعيلة في الأقطار العربية حقبة من الزمن. وما لبث هذا النهج أن خُولف فيما أُطلق عليه (قصيدة النثر). وقد ظهر هذا الضرب الجديد من الشعر أولاً في لبنان، في رحاب مجلة (شعر). وما لبث أن شاع في جميع الأقطار العربية.

ما تعريف الشعر عند نازك الملائكة؟ لقد تحدثت في كتابها (قضايا الشعر المعاصر) عن عناصر الشعر، وهي عندها أربعة: الموضوع، والهيكل، والتفاصيل (الأساليب)، والوزن[٣٨].

(٣٧) نفسه ص٥٧٤.

(٣٨) قضايا الشعر المعاصر ص٢٠٢.

وقد عرّف نُقاد معاصرون آخرون الشعر وماهيته، منهم نزار القباني في الكتيب الذي يحمل عنوان (ما هو الشعر)، وقد تحدَّث نزار في كتابه هذا عن كل شيء باستثناء ماهية الشعر، فقد قدَّم تعريفات وصفية عاطفية للشعر، ولم يقدِّم له تعريفًا معياريًّا، فمن أقواله مثلاً في تعريف الشعر:

«١-الشعر هو هذه اللغة ذات التوتر العالي، التي تلغي كل لغة سابقة، وتعيد صياغتها من جديد. ٢- الشعر هو الكلام المجنون الذي يختصر كل العقل، والفوضى التي تختصر كل النظام. ٣- الشعر هو ذلك الانقلاب الحضاري الناجح الذي تقوم به البشرية ضد نفسها، دون عنف ودون إراقة دماء. ٤- الشعر هو ذلك الفن الخارج على القانون ويعكس قمة العدالة...»[٣٩]. ونزار من القائلين إن المستقبل هو لقصيدة النثر[٤٠].

وممن عالج موضوع تعريف الشعر الشاعر والناقد أدونيس، فقد عرّف الشعر الحديث في كتاب (زمن الشعر) بقوله: «لعل خير ما نعرّف به الشعر الجديد هو أنه رؤيا، والرؤيا بطبيعتها قفزة خارج المفهومات السائدة. هي إذن تغيير في نظام الأشياء وفي نظام النظر إليها. هكذا يبدو الشعر الجديد، أول ما يبدو، تمرّدًا على الأشكال والطرق الشعرية القديمة»[٤١]. ويقول في موضع آخر من كتابه، جوابًا عن سؤال: «كيف تنظر إلى الشعر؟ إن كنت تقصد تحديد ماهية الشعر، فسؤالك لا يُجاب عنه، ذلك أن الجواب: كل جوابٍ يستند إلى قواعد ومقاييس، والشعر خرق مستمر

(٣٩) ما هو الشعر ص٣٣.

(٤٠) الكتاب ص١١٥.

(٤١) زمن الشعر ص٩.

للقواعد والمقاييس))[٤٢]. وأدونيس هو أيضًا من مؤيِّدي قصيدة النثر، وهو يأخذ على رافضي حركة الشعر الحديث في البلاد العربية نقص التعريف بهذا الشعر، وبسط ماهيته ومفاهيمه والزوايا التي من خلالها يرى العالم والإنسان والتعبير[٤٣].

فكذلك ترى أن النقَّاد والشعراء العرب لم يعرّفوا ماهية الشعر تعريفًا دقيقًا شاملاً وإنما أقامه بعضهم على الطبع، وهو قريب من تعريف الماهية، وأضاف بعض آخر إلى الطبع الصنعة.

* * *

فإذا انتقلنا إلى النقَّاد والباحثين من غير العرب نجد أن أقدم من تحدَّث عن الشعر هو الفيلسوف الإغريقي أرسطو في كتابه (الشعر) أو فن الشعر، فهو يعرّف الشعر بأنه **محاكاة**، وغايته **التطهير**، على أن أرسطو لم يتحدث في كتابه هذا إلا عن المأساة (تراجيدي) فقد وصلنا كتابه ناقصًا والقسم المفقود يتحدث فيه عن الملهاة (كوميدي). وحديث أرسطو لا يتناول الشعر عامة، وإنما يتناول الشعر التمثيلي المسرحي الذي كان شائعًا في بلاده يومئذ. وكان لهذا الكتاب أثره القوي في النقَّاد الغربيين وفلاسفتهم وشعرائهم، وكان له أثره في الفلاسفة العرب وخاصة في ابن رشد، وابن سينا، والفارابي.

وقد لخّص ابن رشد كتاب أرسطو بعد أن ترجم من السريانية إلى العربية، وقرر في حديثه عن الشعر أن الأقاويل الشعرية هي الأقاويل المتخيّلة، وشرح نظرية المحاكاة التي جاء بها أرسطو. أما الفارابي فلخص أفكار أرسطو في

(٤٢) زمن الشعر ص٣١٢.

(٤٣) مقدمة كتاب زمن الشعر.

رسالته «قوانين صناعة الشعراء» ولابن سينا كتاب مستمد من آراء أرسطو عنوانه (فن الشعر)، والشعر عنده هو «كلام مخيَّل مؤلَّف من أقوال موزونة متساوية، وهي مقفَاة عند العرب».

وقد تحدث عن الشعر من فلاسفة الغرب: كانت وهيغل، ومن النقَّاد والشعراء عدد كبير لا يتسع هذا البحث لعرض أنظارهم، ومنهم الكلاسِّيُّون والرومانسيون والسرياليون والرمزيون والاشتراكيون والواقعيون وغيرهم.

ولبعض أدباء الغرب تعريفات للشعر توضح وصف الشعر ولا توضح ماهيته، يقول الرسام ليوناردو دافنشي: «الشعر هو صورة يُشعَر بها ولا تُرى. ويقول ج. مور: «تعريفي للشعر الخالص أنه شيء اخترعه الشاعر خارج عن شخصيته» ويقول ووردز ورث: «الشعر هو فيض عفوي للمشاعر القوية منشؤه في الانفعال الذي نشعر به في السكينة» ويقول شلّي: «الشاعر، جالسًا في الظلام، هو عندليب يغني ليبعث ألحانًا جميلة لشعوره الذاتي بالوحدة».

* * *

بعد هذا العرض لما قيل قديمًا وحديثًا في تعريف الشعر نتساءل: هل وجدنا بينها تعريفًا شاملاً شافيًا لماهية الشعر؟ الجواب بالنفي، وكأن الشعر غير قابل للتعريف، وإنما يسعنا أن نعرّف الشعر بجمع كل مقوماته.

ثمة ذكر في بعض التعريفات لكلمة (طبع). وهذ ما نريد أن نتحدث عنه حديثًا مفصّلاً. والسؤال: لماذا لا نجد هذا (الطبع) في جميع الناس؟ والجواب: لأن الشعر **موهبة فطرية** أتيحت لفئة من الناس دون غيرها. فليس الشعر علمًا يتعلمه الناس فيصبحون شعراء. وهذه الموهبة هي جزء من كيان الشاعر،

وإحدى مورّثاته (جيناته). فمن لم تكن هذه المورثة (الجينة) مخلوقة فيه لا يمكنه أن يكون شاعرًا، فلكي يكون المرء شاعرًا ينبغي أن يُخلق شاعرًا وهذا الأمر يفسّر لنا ظواهر كثيرة، ومنها المنزلة الرفيعة التي يحتلّها الشاعر في مجتمعه، ومنها اعتقاد بعض الناس أن لكل شاعر شيطانًا يُلهمه قول الشعر، ومن الشعراء من زعم أن شيطانه يلهمه قول الشعر، بل لقد أطلق بعض الشعراء أسماء على شياطينهم. وقد تحدَّث أبو العلاء المعرّي عن شياطين الشعراء في إحدى رسائله(٤٤)، وجاء فيها قوله: «فقد علم أنه مشهور عند العرب أن لكل شاعر شيطانًا يقول الشعر على لسانه» فقد أطلق الأعشى على شيطانه اسم (مِسحَل) فقال:

دعوتُ خليلي (مسحلاً) ودعوا له جِهنّام بُعدًا للغويّ المذمَّم

وشيطان ابن دريد اسمه (أبو زاجية)(٤٥). وبالغ بعضهم فجعل شيطانه ذكرًا وشيطان غيره أنثى، فقد ذكروا أن العجّاج الراجز قدم المربد فأنشد الناس أرجوزته التي مطلعها:

قد جَبَر الدِّينَ الإلهُ فَجَبَرْ

فلما أُخبر أبو النجم بأمره قدم المربد فأنشد أرجوزته التي مطلعها:

تذكَّرَ القلبُ وجَهلاً ما ذَكَرْ

ومنها قوله:

إني وكلُّ شاعرٍ من البَشَرْ

(٤٤) انظر: رسالة الشياطين المنشورة مع رسالة الغفران بتحقيق كامل كيلاني ص٤٧٨.

(٤٥) الرسالة نفسها ص٤٨٠.

شيطانه أنثى وشيطاني ذَكَرْ

فادّعاء الشعراء أن لهم شياطين تُلهمهم قول الشعر إنما يفسّر بالموهبة الشعرية التي تولد مع الشاعر، وأبو العلاء يُشير في رسالة الشياطين إلى أن الشعراء القدامى كانوا يقولون الشعر بغريزة وطبع(٤٦).

ولهذا نرى أن كثيرًا من الأدباء برعوا في كتابة البحوث والمقالات وتأليف الكتب الأدبية ولم يكونوا شعراء. فمن أدبائنا القدامى نجد الجاحظ مثلاً يُؤلف الكتب الكثيرة ولا يقول الشعر، ومثله الأديب الفذ أبو حيَّان التوحيدي، وغيرهما كثير. ومن أدبائنا المحدثين نذكر الأديب العظيم طه حسين، كان أديبًا ومؤرِّخًا ولم يكن شاعرًا، ومثله العالم الجليل أحمد أمين. ومن اجتمعت فيهم البراعة الأدبية والموهبة الشعرية كانوا قلة، ومنهم على سبيل المثال الكاتب العظيم عباس محمود العقاد، كان أديبًا لامعًا ومؤرِّخًا وشاعرًا مجيدًا.

ولأن الشعر وليد الموهبة الفطرية نجد شعراء قالوا الشعر وهم في مقتبل حياتهم، من هؤلاء مثلاً الشاعر لبيد بن ربيعة الذي دخل وهو في سن الصبا، على النعمان بن المنذر وارتجل رجزًا في هجاء الربيع بن زياد العبسي.

والشعر على ذلك، من الفنون الجميلة، وهذه الفنون يختلف بعضها عن بعض باختلاف أدائها، فالشعر أداته الألفاظ، والموسيقا أداتها الألحان والأصوات، والرسم أداته الخطوط والألوان. وهذه الفنون كلها وليدة الموهبة، هذه الحقيقة تفسِّر لنا مثلاً نبوغ الموسيقي الألماني العظيم جان سيبستيان باخ

(٤٦) رسالة الشياطين ص٤٨١.

Bach، فقد نبغ في التأليف الموسيقي منذ حداثة سنه، ومثله الموسيقي النمسوي النابغة موزار Mozart، وصدور الشعر وسائر الفنون عن الموهبة يفسِّر لنا أمرًا آخر هو ظهور الموهبة الشعرية في أسرة كاملة، يتوارث أبناؤها الموهبة الشعر واحدًا بعد واحد. من هذه الأسر مثلاً أسرة زهير بن أبي سلمى، كان ابنه كعب شاعرًا، وكان ابن كعب عقبة شاعرًا، وابن عقبة العوّام كان شاعرًا. ومن الأسر الشعرية أيضًا أسرة جرير بن عطية الشاعر. فالموهبة الشعرية قد تكون وراثية، وكذلك الموهبة الفنية، وقد كان للموسيقي باخ ثلاثة أولاد كلهم كانوا يجيدون التأليف الموسيقي.

ولكن هل تكفي الموهبة الشعرية وحدها ليكون صاحبها شاعرًا؟ الجواب بالنفي، فإلى جانب الموهبة الشعرية ثمة أمور يُشترط توفرها في صاحب الموهبة ليكون شاعرًا.

أول هذه الشروط إتقان اللغة التي يتكلمها قوم الشاعر، فالشعر عماده الألفاظ فإذا اجتمعت اللغة والموهبة الشعرية في شخص أتيح له أن يكون شاعرًا، ولكن الموهبة واللغة لا تكفيان وحدهما لإجادة الشعر، فلابد للشاعر إذا أراد إجادة شعره من أن يقف على قواعد الشعر السائدة في عصره، كالعروض والقافية في الشعر العربي الكلاسِّي، ولابد له أيضًا من أن يحفظ كمًّا وافرًا من مأثور الشعر ليكتسب الملكة ويجلو الموهبة. فكما أن الصائغ يجلو المعدن ليظهر بريقه ولمعانه، فكذلك الشاعر إذا أراد أن يجيد قول الشعر عليه أن يحفظ كثيرًا مما قاله السابقون من الشعراء.

إن اقتران الموهبة باللغة يفسِّر لنا ظهور شعراء قالوا الشعر بالعربية مع أنهم

أعاجم. ذلك أنهم عاشوا مع العرب وأتقنوا لغتهم. ففي العصر الأموي وُجد شاعر مجيد هو نُصيب، كان لأبوين نوبيين، وكان مدَّاحًا لبني أمية، شهد له الأصمعي بجودة الشعر(٤٧). وشاعر آخر هو أبو عطاء السِّندي، وكان شاعرًا مجيدًا ولكن كانت فيه لكنة ولثغة بسبب جنسه السندي(٤٨). وشاعر ثالث هو إسماعيل بن يسار، الفارسي الأصل(٤٩).

فلما أطلّ العصر العباسي ظهر عدد وَفْرٌ من الشعراء الفرس الذين أجادوا قول الشعر العربي، ونالوا شهرة بعيدة. من مشهوريهم بشار بن برد، وأبو نُواس، وشاعر من أصل رومي هو ابن الرومي علي بن العبّاس بن جريج.

وربما تخلّت الموهبة الشعرية عن صاحبها في بعض الأحيان، فقد رُوي عن الفرزدق قوله: «قد علم الناس أني فحل الشعراء، وربما أتت عليّ الساعة لقلع ضرس من أضراسي أهون عليّ من قول بيت من الشعر»(٥٠). ورُوي نحو ذلك عن نُصيب الشاعر، فقد سُئل مرّة: أتطلب القريض فيعسر عليك؟ فقال: «إي والله، لربما فعلت، فآمر براحلتي، فيُشدّ بها رحلي، ثم أسير في الشعاب الخالية، وأقف في الرّباع المقوية، فيطربني ذلك ويفتح لي الشعر»(٥١).

نستخلص من كل ما تقدّم أن حدّ الشعر يقوم على أمرين: الموهبة ثم اللغة،

(٤٧) انظر ترجمته في الجزء الأول من الأغاني.

(٤٨) انظر ترجمته في الجزء ١٦ من كتاب الأغاني.

(٤٩) ترجمته في الجزء الرابع من كتاب الأغاني.

(٥٠) الأغاني الجزء ٢١.

(٥١) الأغاني ٣٦٧/١.

وتُضاف إليها شروط لإجادة الشعر، منها: حفظ قصائد من الشعر، ومعرفة قواعده العروضية والنحوية والصرفية. وكان الشعر الكلاسيّ في تاريخ أدبنا مقَيّدًا بأمرين هما: الوزن والقافية. وقد تخلّى عن هذين الشرطين كثرة الشعراء المعاصرين، فظهر أولاً الشعر الحر، أو شعر التفعيلة، ثم ظهرت قصيدة النثر.

وعقب ظهور قصيدة النثر كثر عدد الشعراء العرب كثرة هائلة، وذلك لعدم التزام الشعراء الوزن والقافية، فأصبح الشعر منثورًا. وأتاح هذا الأمر لمن لا يملكون الموهبة الشعرية أن يقولوا كلامًا غثًّا وهراءً لا معنى له يسمونه شعرًا، تقرؤه فلا تدرك له أي معنى، فهو خالٍ من الدلالة المعنوية ومن الصور المبتكرة.

نحن لا ننكر أن ثمة شعراء مجيدين قالوا قصيدة النثر وأجادوا فيها، ولكن عدد هؤلاء لا يتجاوز أصابع الكف، وسائر من يقولون قصيدة النثر خالون من أي موهبة شعرية، وإنما يجيدون الشَّعْبَذَة الشعرية.

والموهبة الشعرية تقوم على دعامتين: الأداء اللغوي والخيال، فالشاعر ذو الموهبة يقتنص الألفاظ التي يعبِّر بها عن أفكاره وشعوره، ويمدّه خياله المبدع بالصور والأخيلة فشعره يؤثِّر في القارئ بألفاظه وصوره، والشعر تعبير وتصوير وإيقاع، فإذا خلا الشعر من هذه الشروط كان نظمًا لا شعرًا، كألفيَّة ابن مالك مثلاً.

المدرسة الفارسية في دمشق

الدكتورة ليلى الصباغ(*)

(القسم الثاني)(1)

والأمر الثاني الذي كان الحافز لاختيار هذه المدرسة موضوعًا للدراسة، كما ذُكر في المقدمة، هو العثور ضمن وثائق المحاكم الشرعية بدمشق، على بعض الوثائق التي تفصح عن بعض أمورها. ولإدراك فحوى تلك الوثائق، لابد من الرجوع إلى نشأة تلك المدرسة ونشاطها، قبل تاريخ تلك الوثائق في أواخر القرن الحادي عشر للهجرة، والنصف الأول من القرن الثاني عشر (السابع عشر للميلاد والنصف الأول من الثامن عشر)، وإذا كانت الوثائق لا تُنبئنا عن مثل تلك المعلومات، فإن ما دوّنه النعيمي عنها، وما ذكره مؤرخو التراجم في سياق تراجمهم، يزودنا ببعض تلك المعطيات الرئيسة.

وإذا ما ابتدئ باسم المدرسة، فقد يتبادر إلى الذهن، كما يظن كثيرون، بأنها سميت بالفارسية نسبة إلى «الفُرْس»، ولسبب من الأسباب، إلا أنه من المعروف أن معظم المدارس التي أنشئت في كل من المرحلة الزنكية والأيوبية

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

(1) نشر القسم الأول في الجزء الأول من المجلد الثالث والثمانين ص ٣٥- ٦٢.

والمملوكية، قد نسبت إلى أسماء مؤسسيها أو واقفيها. ومدرستنا ((الفارسية))[2] هذه نُسبت هي الأخرى إلى مؤسسها الأمير سيف الدين فارس التيمي (ت٨١٠هـ)، وكانت ذو دارًا لنائب دمشق المملوكي تنم (ت٨٠٢هـ)[3] المعروف أيضًا باسم ((تَنْبَك)).

ويبدو أن إنشاءه لها قد حدث قبل سنة ٨٠٢هـ، وهو تاريخ مقتل أستاذه

(2) ليست المدرسة الفارسية هذه في دمشق هي التي تحمل وحدها هذا الاسم في البلاد العربية، فهناك ثلاث مدارس أخرى بهذه التسمية: اثنتان منها في القدس، بالقرب من المسجد الأقصى، وهما من وقف الأمير المملوكي ((فارس التكيّ بن الأمير قطلو ملك بن عبد الله)) نائب السلطنة بالأعمال الساحلية والجبلية ونائب غزة. وقد حافظت المدرستان على نشاطهما التعليمي حتى النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، بل وبقيت إحداهما دارًا تضم كتب المسجد الأقصى حتى مطلع القرن الثالث عشر الهجري.

انظر حول المدرستين:

١- حسن عبد اللطيف الحسني: تراجم أهل القدس في القرن الثاني عشر للهجرة. دراسة وتقديم صالح النعيمات: جزءان في مجلد واحد، عمان، ١٩٨٥/٤٥- ٤٦.

٢- محمد كرد علي: خطط الشام، ج٦/١١٧.

– المدرسة الثالثة التي تحمل اسم ((الفارسية)) أيضًا تقع في القاهرة، وأنشأها ((فارس البكّي)) المشار إليه أعلاه سنة ٧٥٦هـ/١٣٥٥م. وقد تخربت مع الزمن، وبقي منها عمود في وسطها فقط حتى ١٢٨٠هـ/١٨٦٦.

– انظر: علي باشا مبارك: الخطط التوفيقية، ج٦/٣٠ (طبعة القاهرة ١٨٧ نسخة مصورة عن بولاق ١٣٠٥هـ.

– المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، جزءان، القاهرة، ج٢/٣٦.

(3) لم يشر السخاوي في كتابه ((الضوء اللامع في أهل القرن التاسع)) (١٢جزءًا، القاهرة، ١٣٥٤هـ) في ج٦/١٦٣، وفي الترجمة رقم (٥٤٣) فيه، إلى معلومات تعرّف به، واكتفى بتعريف أستاذه ((تنبله)).

«تَنْبَك»[4]، لأن النعيمي يشير استنادًا إلى أقوال المؤرخ شهاب الدين بن حجي السعدي[5]، أن ذلك قد تم في حياة أستاذه تَنْبَك، أو أنه وقف عليها حوانيت إلى جانبها، وجعلها وقفًا على إمام وغيره، ويضيف النعيمي نقلاً عن الأسدي [6]، بأن الوقف كان أيضًا على قرّاء وأيتام وغير ذلك. إلا أن فارس

(4) هو سيف الدين تَنْبَك الحسني الظاهري، كان من كبار خاصكية السلطان الظاهر برقوق، وقد ترقى في المناصب حتى أُسندت إليه نيابة دمشق سنة ٧٩٥هـ/١٣٩٢م، وبقي فيها سبع سنوات أي حتى ٨٠٢هـ/١٣٩٩هـ. وعند وفاة أستاذه سنة ٨٠١هـ/ ١٣٨٩م أعلن «تنم» العصيان، واستولى على قلعة دمشق، وعلى حمص وطرابلس، فحاربه المماليك وانتهى أمره بالقتل في قلعة دمشق. ودفن بتربة في «ميدان الحصى» خارج دمشق.
انظر: السخاوي: الضوء اللامع ج٣/٤٤ – وابن طولون إعلام الورى بمن ولي نائبًا من الأتراك بدمشق الشام، تحقيق الأستاذ محمد أحمد دهمان – دمشق، ١٩٦٤/٥٦. – وأحمد محمد دهمان: دمشق في عهد المماليك – دمشق ١٩٦٤/١٧٨–١٨٥.

(5) هو: أحمد بن عمر بن حجّي بن موسى السعدي الدمشقي (٧٥١–٨١٦هـ)، حافظ ومؤرخ. ولد وتوفي بدمشق، ويلقب بمؤرخ الإسلام. صنف عدة كتب هامة منها: «الدارس من أخبار المدارس» احترق غالبه عند هجوم تيمورلنك على دمشق سنة ٨٠٣هـ/١٤٠١م، وألّف كتابًا في التاريخ ذكره تلميذه ابن شِقُّده، وقال أنه ابتدأه بسنة ٧٤١هـ/١٣٤٠م وختمه سنة وفاته. وقد درّس في عدد من مدارس دمشق ومنها المدرسة الفارسية سنة ٨١١هـ/١٤٠٨م.
انظر: السخاوي: المصدر نفسه ج١/٢٦٩ – ابن طولون: القلائد الجوهرية ج١/١١٢– النعيمي، المصدر نفسه، ج١/١٣٨–١٤٣.

(6) هو: أبو بكر أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشُّهبي الدمشقي: (٧٧٩–٨٥١هـ): فقيه الشام في عصره ومؤرخها، من أهل دمشق، عُرف بابن قاضي شُهْبة، لأن أبا جده أقام قاضيًا بشُهبة من قرى حوران أربعين سنة. ومن تصانيفه تاريخ كبير ابتدأ به من سنة ٢٠٠هـ/٨١٥م إلى سنة ٧٩٢هـ/١٣٩٠م. وله ذيل على تواريخ المتأخرين كالذهبي والبرزالي، ابتدأه سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠م إلى سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م، في ثماني مجلدات، واختصره وسماه: الإعلام بتاريخ الإسلام. وقد حققه الدكتور عدنان درويش في أربعة مجلدات. وله مصنفات هامة أخرى.
انظر: مقدمة المجلد الثاني المحقق من تاريخ ابن قاضي شهبة، دمشق، ١٩٩٤/١١– ٣٦ – والضوء اللامع ج١/٢١ – السيوطي: نظم العقيان في أعيان الأعيان، نيويورك ١٩٢٧/٩٤ – الزركلي: الأعلام، ج٢/٣٥.

التنمي اشترى سنة٨٠٨هـ، بإذن السلطان في مصر، قرية صحنايا[7] في الشام، ووقفها على المدرسة أيضًا، وبصفة خاصة على شيْخَيْن مدرسَيْن للعلم، على أن يُقرأ عليهما أنواع العلوم من المذاهب الأربعة، وجعل لكل شيخ في الشهر ثمانين درهمًا[8]، وللطلبة كل شهر خمسة وأربعين درهمًا، وجعل عددهم عشرة، وكذلك «المقرئ أي قراء القرآن ولكل منهم خمسة عشر درهمًا، كما خصَّ كل يتيم في كل شهر بخمسة عشر درهمًا أيضًا، وفي كل موسم وعيد، لكل واحد خمسة عشر درهمًا؛ وشرط للحرمين[9] جملة وجعل الفاضل[10] بعد ذلك لذريته. ويضيف النعيمي على لسان الأسدي بأنه قد استقر فيها فقهاء[11] ونواب

(7) قرية في غوطة دمشق الغربية، تبعد خمسة عشر كيلو مترًا عن دمشق، وتقع في منطقة سهلية ويعمل سكانها بالزراعة معتمدين على مياه نهر الأعوج، وعلى بعض الآبار الارتوازية.
- المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، ج٤/١١٧.
- أحمد وصفي زكريا: الريف السوري – محافظة دمشق، جزءان، دمشق، ١٩٥٧م، ج٢/١٧٧-١٧٩.

(8) الدرهم هو وحدة النقد الفضي في العالم الإسلامي، ولقد اختلف وزنه مع الزمن والمكان. ولكن يقدرون أنه يعادل في المتوسط ٢.٩١-٢.٥ غرامًا من الفضة.
انظر: في دائرة المعارف الإسلامية بالفرنسية الجديدة، المجلد (٢) G.C. Miles, Dirham, ص: ٣٢٨- ٣٢٩. – النعيمي: المصدر نفسه، ج١/٤٢٨.

(9) المقصود بالحرمين: الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة. وهما غنيان عن التعريف وكان من نصيبهما كما أتى في وثائق المحاكم الشرعية (٣) أفدنة في قرية صحنايا من أصل (٢٤) فدانًا وهي مجموع فدن القرية، كما كان للمدرسة الفارسية (٢١) واحد وعشرون فدانًا منها.

(10) إن المقصود من كلمة (الفاضل) هنا، أي (المتبقي) مما وقف، ويكون لذريته.

(11) لا تعني كلمة الفقيه هنا العالم بالفقه فقط، وإنما كان يُقصد منها أيضًا:المنتفع بالوقف. وكان يطلق على هؤلاء المنتفعين صفة الفقيه وصفة الخطيب أحيانًا.

القاضي، وأعيان الطلبة.

ولم يقتصر وقف المدرسة الفارسية على قرية صحنايا فقط، وإنما كان من وقفها أيضًا ربع قرية فزارة [12] من عمل الجولان، والعُشْر في قرية بالين[13] من عمل البقاع[14]،وربع سوق السلاح شركة المدرسة الأمينية[15] وبيت ابن الزلق[16]. ولا يُعرف بالضبط إذا كانت الموقوفات الأخيرة من وقف فارس التنمي أم أضيفت من غيره.

أما حول نشاط هذه المدرسة منذ نشأتها وحتى تدوين النعيمي لتاريخها في

انظر: بحث الوقف Wakf، في دائرة المعارف الإسلامية باللغة الفرنسية، الطبعة الأولى وهي من أربع مجلدات، وبحث الوقف جاء في المجلد (٤) وفي الصفحة (١١٥٧).

(12) قرية تقع على بعد (١٥) كم جنوبي القنيطرة، وشمالي شرقي الخشنية، تعرضت للاحتلال الإسرائيلي سنة ١٩٦٧ – وانظر أيضًا: المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، ج٤/٤٧٨ ووصفي زكريا: المصدر السابق، ج٢/٤٨٣.

(13) قرية من قرى سهل البقاع، لم يُعثر على موقعها بالدقة في الخريطة، وفي الكتب الجغرافية المتوفرة.

(14) البقاع هو كما هو معروف الهضبة التي يتكون منها الجزء الأوسط من المنخفض الانهدامي الشامي، بين سلسلة لبنان الغربية والشرقية.

انظر: س. هارتمان: البقاع في دائرة المعارف الإسلامية المعربة، ج٤/٣٣-٣٤.

– ياقوت الحموي: معجم البلدان: ٥ أجزاء، بيروت، ١٩٥٥، ج١/٤٧٠.

(15) قيل: إنها أول مدرسة بنيت للشافعية بدمشق، تقع جنوبي باب الزيادة من أبواب الجامع الأموي. ويقع بابها في سوق السلاح، بناها أتابك العساكر بدمشق «أمين الدولة كمشتكين» المتوفى ٥٤١هـ/١١٤٦م؛ ووقف عليها سنة ٥٤٤هـ غالب ما حولها من سوق السلاح وأوقافًا أخرى وتقع الآن في سوق الحرير، وقد اختلس الجيران بعضها.

– النعيمي، ج١/١٧٧-٢٠٥، – العلموي: المصدر نفسه/٣٣-٣٤، – كرد علي: خطط الشام، ج٦/٧٦.

(16) لا يعرف موقع هذا البيت، أما ابن مزلق فهو محمد بن علي بن أبي بكر (٧٥٤-٨٤٨هـ) كان تاجرًا كبيرًا من أثرياء دمشق. أنشأ على درب الشام إلى مصر حانات، منها بالقنيطرة، وفي جسر بنات يعقوب، وعيون التجار،وكان له مآثر مماثلة في درب الحجاز، ووقف على سكان الحرمين الشريفين.– النعيمي ج١/٢٠– ٢١.

أواخر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، فقد شرح النعيمي ذلك النشاط، على عادته في المدارس الأخرى، وبيَّن أن المدرّسَيْن اللذين كانا أول من درّسا فيها بعد نشأتها، وذلك عام ٨١١هـ، هما الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجي السعدي، الذي درّس فيها درسًا مختصرًا في تفسير أول سورة النساء [17]، والشيخ جمال الدين الطيماني[18] الذي قام بتفسير آية أخرى[19]. وحضر درسَ ابنِ حجي عزُّ الدين القاضي المالكي [20]، وبعض الفقهاء، وبقي الطيماني يدرِّس فيها حتى حضرته الوفاة، فاستقر ولده مكانه. ولكن لما كان صغيرًا، فقد استنيب عنه الشيخ تقي الدين الأسدي الشهير بابن قاضي شُهْبة[21]، وكان يجري درسه بعد عصر يوم الاثنين، ودرّس فيها «مختصر ابن

(17) هي السورة الرابع من سور القرآن الكري، والآية الأولى منها.

(18) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن ركن الدين بن طيمان المصري ثم الدمشقي (٧٧١– ٨١٥هـ). من علماء الفقه الحنابلة، إلا أنه درّس الفقه الشافعي أيضًا، ولد في مصر ودرَّس فيها، وقدم دمشق عدة مرات، ثم أقام فيها، يفتي ويصنف؛ وقد درّس بعدة مدارس بدمشق، منها الفارسية ؛ كما ولي خدمة الخانقاه السميساطية. وقد شهد له تقي الدين الأسدي بأنه يروي دروسه بفصاحة وتعقل. وقتل في الفتنة بين السلطان الناصر بن برقوق وغرمائه، وكان في السابعة والأربعين من العمر. ودفن بدمشق. انظر: السخاوي: الضوء اللامع، ج٥/٥٠ – والنعيمي ج١/٢٥٦– ٢٥٧، – والأعلام ج٤/٢٧٢.

(19) النعيمي ج١/٤٢.

(20) هو محمد بن عبد الله بن محمد العز لمالكي. كتب بخطه لكثير ك «العبر» للذهبي. وكان حسن العقيدة، وانتقل إلى الشام، وتوفي سنة ٨٦١هـ، وقد جاوز السبعين من العمر. انظر: السخاوي: الضوء اللامع، ج٨/١١٤.

(21) انظر ترجمته في هامش (٨٧) من هذا البحث.

الحاجب))[22]، حيث درس عليه العالم برهان الدين بن مُفلح[23]، وكان يشاركه في التدريس، ويتناوب معه في الموعد، العالم شمس الدين الكفيري[24]. وبعد وفاته حلّ محل ابنه بدر الدين ابن تقيّ الدين بن قاضي شُهبة(ت ٨٧٤هـ)[25]، واستمر بها شيخًا للفقهاء حتى نزل عنها للشيخ تقي الدين بن قاضي عجلون [26].

(22) هو عثمان بن عمر، فقيه مالكي، ومن كبار علماء العربية (٥٧٠- ٦٤٦هـ) ولد في مصر وسكن في دمشق وتوفي بالإسكندرية. من تآليفه المشهورة: الكافية في النحو، والشافية في الصرف، ومنتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل. انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان ج٧/٢٤٨- ٢٥٠ - والأعلام: ج٤/٣٧٤.

(23) برهان الدين بن مُفلح، وإبراهيم بن محمد بن مُفلح المقدسي الدمشقي (٨١٦- ٨٨٤هـ) من كبار علماء الحنابلة، درّس في عدد من مدارس الحنبلية بدمشق. ومن تصانيفه: شرح المقنع، وسماه: المبدع، وانتهت إليه رئاسة الحنابلة، وعمل في القضاء.
ابن طولون: القلائد الجوهرية ج١/١٦١- النعيمي ج٢/٥٩- ٦٠.

(24) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد موسى العجلوني الكفيري الأصل، الدمشقي (٧٥٧- ٨٣١هـ)، من فقهاء الشافعية، وباشر نيابة القضاء، وولي التدريس في بعض المدارس، وله بعض التصانيف. - النعيمي ج١/٣١٣- ٣١٥.

(25) هو محمد بن أبي بكر بن أحمد بن محمد الأسدي الشافعي (٧٩٨ -٨٧٤هـ)، عالم بفقه الشافعية، ومن أهل دمشق مولدًا ووفاة. وكان في زمنه فقيه الشام، له عدة مؤلفات، منها: الدر الثمين في سيرة نور الدين الشهيد، وله شرح على المنهاج في الفقه.-السخاوي ج٧/١٥٥- النعيمي ج١/٢٢٤- الأعلام، ٦/٢٨٤.

(26) هو أبو بكر بن عبد الله أبو صدق (٨٤١- ٢٨هـ/١٤٣٨ - ١٥٢٢م) فقيه انتهت إليه رئاسة الشافعية بدمشق في عصره. كان شديد الانكار على الصوفية. درس في عدة مدارس بدمشق ومنها الفارسية، وله عة مصنفات.
انظر: الغزي: نجم الدين، الكواكب السائرة، ١/١١٤ - النعيمي ج١/٢٦. - العلموي: المصدر نفسه، /٦٦، وهو الذي ذكر بأن بدر الدين الأسدي، هو الذي نزل لابن قاضي عجلون عن التدريس فيها، - الأعلام، ج٢/٤٢.

ويبدو أنه لم يقتصر عمل المدرسة الفارسية في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي على التدريس وإقراء القرآن فقط، وإنما اتخذت أيضًا مقرًا لمحكمة القاضي الحنبلي[27]، الذي انتقل إليها من المدرسة الطومانية الحنفية[28] التي احترق بعضها أثناء واقعة تيمورلنك[29].

ومن المعلومات التي وصلتنا عن تلك المدرسة أيضًا، أنه في سنة ٨٣٨هـ/ ١٤٣٤م،كان يباشر نظر أوقافها الأمير سيف الدين أبو يزيد الناصري [30]، الذي كان رأس نوبة[31] نائب الشام تَنْبك منق المشار إليه سابقًا، وذلك نيابة عن زوجته بنت الأمير فارس الدوادار واقف المدرسة.

ويشير النعيمي استنادًا إلى أخبار الأسدي، أنه كان لها بواب اسمه جمال الدين

(27) النعيمي، المصدر نفسه، ج١/٥٤٢- ٥٤٣.

(28) كانت تقع تجاه دار الحديث الأشرفية. وفي سوق العصرونية القديم. وقد غُصِبت وأنشئ فيها خمّارة تدعى خمّارة بانكو، ثم صارت سوقًا إلى جانب المصرف الموجود. وقد حاول العلامة الشيخ يوسف المغربي، والد المحدث الشيخ بدر الدين الشهير، أن يعيدها سنة ١٢٧٠هـ، فلم يفلح. انظر النعيمي ج١/٥٤٢- ٥٤٣ - الحصني: ج٣/٥٥، -كرد علي ج٦/٢.

(29) أي عندما هاجم تيمورلنك مدينة دمشق سنة ٨٠٣هـ، وأقام فيها ثمانين يومًا، وحرقت المدينة وأصيبت معظم مشاهدها ودورها ومدارسها بأضرار فادحة، انظر حول ذلك كرد علي ٢/١٦٩- ١٧٤.

(30) أبو يزيد الناصري: لم يُعثر على ترجمة له غير ما ذكر بأنه كان أمير طبلخانة، وتوفي سنة ٨٣٨هـ، وأن نائب السلطنة في دمشق صلّى عليه عند وفاته، وحضر جنازته الأمراء والحجاب. انظر: النعيمي، ج٢/٣٠١- ٣٠٢.

(31) رأس نوبة النوب: هو عادة أمير بن مقدمي الألوف في الزمن المملوكي. وكان له الأمير على جميع المماليك السلطانية وإليه المرجع في المشورة عليهم وهو السفير بينهم وبين السلطان أو نائبه ابن كنّان، حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين، تحقيق: عباس صباغ، دمشق١٩٩١م ص١١٤- ١١٥.

العدوي، وإمام هو جمال الدين بن تقي الدين[32]؛ مما يدل على أنها لازالت عاملة.

وإذا كان النعيمي والعَلَمَوي[33] قد أفادانا عن بعض نشاط المدرسة الفارسية منذ تأسيسها وحتى مطلع القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، فإن المرحلة التي تلت فقيرة في معلوماتنا عنها. وقد يعثر الباحث هنا وهناك، في كتب الحوليات، مثل كتاب مفاكهة الخلان لابن طولون؛ وفي كتب التراجم للقرن العاشر، والحادي عشر، والثاني عشر للهجرة، التي دوّنها كل من نجم الدين الغزي، والمحبي[34]، والمرادي[35]، بعض معلومات تبين أنها بقيت عاملة، وأنها استقبلت للتدريس فيها عددًا من كبار علماء دمشق آنذاك. ففي

(32) لم يعثر للاثنين على ترجمة، سوى ماذكر عن عمليهم فقط.

(33) هو عبد الباسط بن موسى العَلْموي الشافعي (٩٠٧- ٩٨١هـ). عمل في الخطابة والوعظ في جامع السويقة ساروجة، وترأس المؤذنين في جامع بني أمية، وكان له معرفة في علم الميقات وعلم النغمة والتلحين، وقد اختصر كتاب المعيد في أدب المفيد للبدر الغزي، وكتاب مختصر تنبيه الطالب وإرشاد الدارس.
انظر ترجمته في مقدمة كتابه: ص/ب، جـ.

(34) محمد الأمين المحبي (١٠٦١- ١١١١هـ) مؤرخ موسوعي المعرفة وشاعر. دمشقي المولد والوفاة له عدة مؤلفات، منها في التاريخ:خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، وفي الأدب: نفحة الريحانة، وفي اللغة: قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل. انظر تفصيلاً عنه في: – ليلى الصباغ: من أعلام الفكر العربي في العصر العثماني الأول، دمشق، ١٩٨٦م.

(35) هو محمد خليل بن علي (١١٧٣ -١٢٠٦هـ) فقيه ومؤرخ، كان مفتي الشام ونقيب أشرافها، ولد ونشأ في دمشق. أشهر مؤلفاته في تاريخ التراجم: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، وعرف البشام فيمن ولي فتوى الشام.
انظر: مقدمة كتابه: ((عرف البشام))، تحقيق: محمد مطيع الحافظ ورياض مراد، دمشق١٩٧٩م. ص (هـ – ي) – والأعلام ج٦/٢٥٢.

مفاكهة الخلان مثلاً إشارة عابرة إلى أن الأمير يونس العادلي[36]، كان ناظر المدرسة الفارسية والحافظية[37] والصابونية[38]. كما أن النجم الغزي يُبيِّن في ترجمته أباه، محمد بدر الدين الغزي [39]، بأنه درّس في «الفارسية» إلى جانب

(36) هو الأمير شرف الدين الحلبي ثم الدمشقي المشهور بالعادلي، وبابن البغدادي؛ كان من تجار سوق الصابون بحلب، وكانت بيده معلمية الصابون. ثم انتقل إلى القاهرة وعمل فيها في خدمة ناظر الخاص المعروف بابن الصابوني. وقربه إليه السلطان المملوكي طومان باي الملقب بالعادل، ومن ثم عرف بالعادلي. وقد أرسله السلطان قانصوه الغوري رسولاً إلى السلطان العثماني سليم. وبقي مقربًا إلى الدولة العثمانية بعد زوال المملوكية.واستوطن دمشق وعرف بكرمه.وتوفي سنة ١٥٣٠م.
انظر: ابن طولون: مفاكهة الخلان، ج١/٣٣٧، ٣٤٥ و ج٢/٢٨، ٢، ٣٦، ٣٩، ١٣– ورضي الدين الحنبلي: در الحبب، ج٢/٦٢٠– ٦٢٢.

(37) المدرسة الحافظية: وهي في الأصل التربة الخاتونية، التي أقامتها الخاتون أراغون الحافظية سنة (٦٤٨هـ/١٢٥٠م)، وكانت امرأة عاقلة وثرية جدًا وعمّرت طويلاً، وقد عمّرتها بدرب الصالحية، وأنشأت فيها مسجدًا، ووقفت عليها أوقافًا كثيرة.
انظر: النعيمي ج٢/٢٤٣ – وابن طولون: القلائد الجوهرية، ج١/٣١٥.

(38) هي دار للقرآن الكريم خارج دمشق، جنوبي باب الجابية وبها جامع حسن وتربة للواقف وأخيه وذريتهما، أنشأها الخواجكي أحمد الشهابي البكري الدمشقي المعروف بالصابوني. وابتدأ عمارتها سنة ٨٦٣هـ وفرغ منها سنة (٨٦٨هـ). ووقف لها عددًا من القرى في الغوطة والبقاع وغيرهما، ظلت قائمة حتى المرحلة المعاصرة. وهي مدفن السادة بني البكري، وتقع قبالة تربة باب الصغير.– النعيمي ج١/١٣– ١٤ – كرد علي ج٦/٧٠– ٧١.

(39) هو محمد بن محمد بدر الدين بن القاضي رضي الدين الغزي (٩٠٤– ٩٨٤هـ)، درس على والده وعلى كبار مشايخ عصره بدمشق والقاهرة، وتولى عددًا من الوظائف الدينية كمشيخة القرّاء بالجامع الأموي، وإمامة المقصورة. ودرّس بالعادلية، والفارسية وغيرها. وبلغت تصانيفه مئة وبضعة عشر مصنفًا في الفقه، والبيان والمعاني وغيرهما. وأفرد له ابنه نجم الدين ترجمة خاصة في كتيب، وأسماه بلغة الواجد في ترجمة شيخ الإسلام الوالد.– الغزي: الكواكب السائرة ج٣/٣–١٠ ومحمود الشيخ: مقدمة كتاب لطف السمر وقطف الثمر لنجم الدين الغزي، ج١/٢٢ – الأعلام، ج٧/٢٨.

تدريسه في عدة مدارس أخرى. وذكر الحسن البوريني[40] والنجم الغزي والمحبي، عن ترجمتهم العالم أحمد بن المنقار الحلبي[41] بأنه درّس في المدرسة الفارسية أيضًا، بل إن البوريني كان من العلماء الأدباء الذين عملوا في التدريس فيها، وكذلك أحمد بن قولاقسز[42].

وإذا كانت كتب التراجم المشار إليها آنفًا قد ذكرت أن أولئك العلماء قد درّسوا في المدرسة الفارسية، مما يثبت أنها كانت لا تزال على حيويتها وعطائها، فإن أخبار نشاط تلك المدرسة شبه مفقودة عن المرحلة الممتدة من أربعينيات القرن الحادي عشر للهجرة/ السابع عشر للميلاد وحتى آخر القرن. ولكن إذا كنا نفتقد أخبار هذه المدرسة في كتب التاريخ الموجودة بين أيدينا اليوم، فإن بعض وثائق سجلات المحاكم الشرعية بدمشق قد تسد بعض هذا

(40) هو حسن بن محمد الصفوري الأصل، الدمشقي، بدر الدين البوريني الشافعي. ولد في صفورية من أرض فلسطين سنة (٩٦٣هـ)، وتوفي في دمشق (١٠٢٤هـ). هاجر مع أبيه إلى دمشق، وأخذ عن كبار علماء عصره في كل علم إسلامي. وتصدر للتدريس ولاسيما التفسير. وعين قاضيًا بالركب الشامي ودرّس في مجموعة من المدارس، ومنها الفارسية. وأتقن اللغتين التركية والفارسية إلى جانب العربية. ومن أبرز مصنفاته في التاريخ: تراجم الأعيان من أنباء الزمان. – الغزي (نجم الدين): لطف السمر وقطف الثمر، ج١/٣٥٥– ٣٠ والمحبي: خلاصة الأثر، ج٢/٥١– ٦٢.

(41) حلبي الأصل، دمشقي المولد والنشأة، حنفي المذهب، برع في العربية وتميز على أقرانه. وقال الشعر الحسن. ودرّس بالمدرسة الفارسية إلا أنه بعد سفره إلى إسطنبول تعاطى المكيّفات، فاختل تفكيره، فأعيد إلى دمشق. وبقي على حاله تلك ثلاثين سنة وتوفي سنة (١٠٣٢هـ). – البوريني: تراجم الأعيان في أنباء الزمان. دمشق١٩٦٦، ج١/١٦٣ والمحبي، خلاصة الأثر ج١/٢٩٦ والأعلام، ج١/٢٢٥.

(42) هو أحمد بن محمد بن أحمد شهاب الدين. حلبي الأصل، دمشقي المولد، عرف بابن قولاقسز. وقلاق سيز: تعبير تركي يعني مقطوع الأذن. كان واسع الاطلاع ومن أجلّ الفقهاء، وكان مرجعًا للناس في مشكلاتهم. درّس بالمدرسة الفارسية. (٩٨٣– ١٠٣٧هـ).

النقص، لا عن المرحلة المشار إليها فحسب، وإنما عن أواخر القرن الحادي عشر للهجرة، السابع عشر للميلاد، إذ تم العثور على مجموعة وثائق تبين أوقاف تلك المدرسة مفصلة، وإيراداتها، ونفقاتها، والعاملين فيها والمستفيدين منها، وتوضح بعض المنازعات حول تلك الأوقاف، بين متوليها بصفة خاصة، والدارسين فيها، والطامعين بها.

والوثيقة الأولى من هذه الوثائق، وقد تكون أهمها، تقع في الصفحتين (١٩) و(٢٠) من السجل (١٨) من سجلات المحاكم الشرعية بدمشق؛ وقد حملت العنوان التالي باللغة التركية:دفتر محصولات وإخراجات وقف مدرسة فارسية باطن دمشق، در زمان مفخر العلماء والمدرسين الكرام حمزة أفندي تولى وقف مزبور، ومدرس مدرسة مزورة)) أي هي بيان بأوقاف المدرسة الفارسية، وما تدرّ من مال، وكيفية توزيع هذا المردود على الذين وقفت عليهم، وعلى شؤون المدرسة، وما تتطلبه من مصروفات متنوعة؛ وذلك زمن المتولي حمزة أفندي[43]. وتاريخ الوثيقة غرة ماه محرم الحرام سنة مئة وألف إلى ختام ذي الحجة الواقع خلالها فيها من غير تدخل إيراد ومصرف)). أي من

(43) من نزلاء مدينة دمشق وأحد مشاهير صوفيتها (١٠٣٨– ١١٢٠هـ). وكان جد المؤرخ المرادي صاحب كتاب ((سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر)) لأمه. فقد تزوج جد المؤرخ من ابنته عائشة، ورزق منها بوالد المرادي وأعمامه. وقد ولّي وقف الفارسية لمدة طويلة، وسكن فيها، ودرّس، وقرأ مع الطبة ((الفتوحات المكية)) لابن عربي، والعلوم العقلية والنقلية. وقد اجتمع عليه من الطلبة، الفرضي، سعدي بن عبد الرحمن الحسيني بن حمزة الدمشقي، وقاسم بن سعيد المغربي المالكي، نزيل دمشق. ودفن بباب الصغير قرب ضريح بلال الحبشي.

انظر: المرادي، سلك الدرر، ج٢/٧٥ والمرادي نفسه: مَطْمح الواجد في ترجمة الوالد الماجد. مخطوط في المتحف البريطاني تحت الرقم SCH 5501–OR 4050 ، ورقة ٣٢ب– ٣٣آ.

٢٦ تشرين الأول ١٦٨٨ حتى ١٤ تشرين الأول ١٦٨٩.

ويُلاحظ بعد مقابلة ما ورد في هذه الوثيقة مع ما أتى في كتاب النعيمي عن أوقاف تلك المدرسة، والموقوف عليهم فيها[44]، بأن هناك تطابقًا تامًّا؛ أي أن الوقف لم يطرأ عليه تغيير أو تبديل. ويمكن تصنيف ما ورد في تلك الوثيقة في الفقرات التالية التي تبين مايغلُّه كل جزء من الوقف، وكيف ينفق وارد ذلك الوقف:

أولاً – الوقف وما يدرُّه:

وقد أسمي في الوثيقة «أصل مال وقف مزبور»، وجاء أنه يبلغ (٤.٢٥) أربعمئة وأربعة عشر قرشًا ونصف القرش[45]، وتفصيله كما يلي:

٣٥٠ غرشًا	عن محصول قرية صحنايا، تابع وادي العجم[46]، فدان[47]

(44) انظر: النعيمي: ج١/٤٢٧– ٤٢٨، وانظر الصفحة (١٩) من الوثيقة المذكورة أعلاه أيضًا.

(45) الغرش أو القرش، نقد فضي أوربي في الأصل. وأكثر ما اشتهر منه الفلمنكي (الهولاندي). وكان يحمل صورة أسد، ولذا سمي بالأسدي، أو الأرسلاني أو الأَصْلاني (أرسلان وأصلان كلمتان تركيتان تعنيان بالعربية الأسد). وهناك أيضًا القرش النمسوي المسمى بالريال أو قره قروش، الذي يفوق بوزنه مقدار الثُمن عن القرش الفلمنكي. وهناك الريال الإسباني، الذي كان المصريون يسمونه أبا مدفع. وقد سكّت الدولة العثمانية في أواخر القرن الحادي عشر للهجرة/السابع عشر للميلاد قرشًا عثمانيًّا، قلَّدت به القروش الأوربية، وكان يعادل ثلثي القره قروش. وكان الريال هذا يعادل في أواخر القرن السابع عشر (١٦٠) أقجة (عثماني)، وهي العملة الفضية العثمانية الصغيرة.

(١٦٠) Bouven, Islamic Society and the West. 2 Parts &Gibb
54. –Part II, P. 53 – ١٩٥٧ – London 1951

(46) هو ماكان يسمى في التقسيم الإداري الشامي السبق بقضاء قطنا. ويحده من الشمال قضاء الزبداني، ومن الشرق قضاء دمشق، ومن الجنوب إزرع والقنيطرة، ومن الغرب راشيا

	(٢١)، در عهدة رعايا بروجه إجارة، وإيجارها في سنة (٣٥٠) ثلاثمئة وخمسون غرشًا.
٦٠ ستون غرشًا	محصول دكاكين سوق السلاح في الصف الشمالي، ومحصول دكاكين سوق الدهيناتية[48] في الصف الغربي، في سنة (٦٠) ستون غرشًا.
غرش ونصف١.٥٠	محصول حكر أطباق[49] (أي إيجار أطباق منزل في سنة (١.٥٠) غرش ونصف.
٠	محصول مزرعة فزارة[50]، تابع حوله[51] ط٦[52]: لا شيء.

وحاصبيا اللبنانين. ويقسم هذا القضاء إلى تحتاني وفوقاني. والفوقاني يشمل ناحيتي قطنا وبيت جن، ويسمى أيضًا إقليم البلاَّن، لكثرة نبات البلاّن فيه المستعمل في الكنس والوقود. والتحتاني يشمل ناحية الكسوة، وكان يضم سابقًا الزبداني، لكنه فصل عنه سنة ١٨٩٩، وربط بلواء دمشق. ولا يعرف سبب تسمية هذه المنطقة بوادي العجم.- أحمد وصفي زكريا: الريف السوري، مصدر سابق، ج٢/٣٦٧ ٣٦٨.

(47) الفدّان: مقياس مساحة، وهو سائد في مصر بصفة خاصة وفي بلاد الشام. وقد قدره القلقشندي بـ(٤٠٠) قصبة مربعة أو ما يعادل (٦٣٦٨)م^{٢}، أي أن القصبة تعادل (٣٩)م^{٢}. وقد تناقصت مساحة هذا الفدان فغدا منذ ١٨٣٠ يعادل (٤٢٠٠.٨٣٣)م^{٢} انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣/٤٤٦ – نتس، مصدر سابق/٧- ٩٨ ودائرة المعارف الإسلامية باللغة الفرنسية، الطبعة الجديدة. المجلد السابع – مادة مساحة Misaha و ص(١٤٠).

(48) سوق الدهيناتية: سوق في البزورية، وكانت فيه المدرسة الجوزية التي كانت أيضًا مقر المحكمة الكبرى بدمشق. ويقع هذا السوق جنوبي جامع بني أمية.

(49) يبدو أن المراد من الأطباق أي الطبقات أو طوابق المنازل. ولعلّه يقصد بيت ابن المزلق في الوقف.

(50) أتت في الوثيقة «لزازة»، ولعلّها تحريف أو تصحيف نطق أو كتابة، ولاسيما أن الوثيقة قد دونت بالتركية. ورسم كتابتها متشابه مع «فزارة» القرية التي ورد اسمها في الوقف في كتاب النعيمي وقد عُرّف موقعها سابقًا.

(51) لعلّ المقصود هو سهل الحولة. واسمه مشتق من البحيرة المعروفة منه بهذا الاسم.

	وأتت في الوثيقة بتعبير (باقي عطل).
٣ثلاثة غروش ٤١٤.٢٥	محصول زراعة «بالين» تابع البقاع ط٣، (٣) ثلاثة غروش. ويكون المجموع كما ورد في أعلى الوثيقة (٤١٤.٢٥) أربعمئة وأربعة عشر قرشًا ونصف القرش.

ثانيًا – جاء في الوثيقة ذاتها (الصفحة (١٩) و(٢٠) منها) تحت عنوان: «الموضوع من ذلك» أي (المصروف من ذلك) أي المصروف من إيراد الوقف مايلي؛ وقد وُزِّع على الأقسام التالية:

-1 **وظايف خدام وقف**، وقيمته (١٨٩) قرشًا

وهذه الوظائف هي:

٢٠ عشرون غرشًا ١) وظيفة «متولي»، ونصيبه في يوم: (٢٠)عشرون قرشًا، وإلى جانب هذا الرقم خطوط وأرقام لم تفهم. ولم يُؤكد أن هذ النصيب سنوي.

١٥٠ غرشًا ٢) وظيفة «مدرّس» في يوم (٥٠) قرشًا، وفي سنة (١٥٠) قرشًا.

٦ ستة غروش ٣) وظيفة خادم وبواب في سنة (٦) ستة قروش.

ويقع السهل في الزاوية الشمالية الشرقية من فلسطين. ويحده من الشرق هضبة الجولان السورية، ومن الغرب نهايات جل عامل وجنوبي لبنان، ومن الشمال جبل الشيخ. ومساحته (١٨٠)كم٢، وجزء منه تحت مستوى سطح البحر، ويمر فيه نهر الأردن ليكوّن بحيرة الحولة، التي قامت اسرائيل بتجفيفها بعد استيلائها على المنطقة. – الموسوعة الفلسطينية، ٤أجزاء، دمشق ١٩٨٤، ج٢/٢٩٠– ٢٩٤ وأحمد وصفي زكريا، المصدر نفسه، ج٢/٤٩١– ٤٩٤.

(52) ورد في الوثيقة حرف الطاء منفردًا عند الحديث عن مزرعة لزازة (فزارة) وكذلك عند الحديث عن مزرعة بالين التي أتت مصحفة فيالين. ويقصد هنا بحرف (الطاء) مختصر قيراط. فمن المعروف أن أي أرض أو عقار مهما بلغت مساحتاهما، ينظر إلى كل منهما على أنه مؤلف من (٢٤) قيراطًا. فالقراريط الستة في مزرعة (فزارة) تعادل ربع فدادين القرية المذكورة، وكذلك في مزرعة بالين (فيالين)، فإن القراريط الثلاثة تعادل ثُمن المزرعة.

٩ تسعة غروش ٤) وظيفة «جابيان وقف» في سنة () تسعة قروش. (أي جابي الوقف).
٤ أربعة غروش ٥) وظيفة «شيخ أحمد» قاري مصحف شريف في سنة (٤) أربعة غروش.
١٨٩ ويكون مجموع ماينفق على تلك الوظائف الخمس (١٨٩) مئة وتسعة وثمانون قرشًا.

-2 ٤٠أربعون غرشًا – مايُصرف على ماأسمته الوثيقة **وظائف** «**طالبان علم**»، أي (طلاب علم) وقيمته (٤٠) أربعون غرشًا، وعدد الظائف عشرة هي:

	وظيفة	وظيفة	وظيفة	وظيفة	وظيفة
٤٢٩ غرشًا	شيخ خليل طالب علم في سنة (٤) قروش	سيد أحمد طالب علم في سنة (٤) قروش	قاضي مالكي طالب علم في سنة (٤) قروش	شيخ فضلي طالب علم في سنة (٤) قروش	أحمد جلبي جقمقي طالب علم في سنة (٤) قروش
	وظيفة	وظيفة	وظيفة	وظيفة	وظيفة
	شيخ سعدوي طالب علم في سنة (٤) قروش	شيخ عبد اللطيف طالب علم في سنة (٤) قروش	أحمد جلبي ترجمان طالب علم في سنة (٤) قروش	شيخ إبراهيم طالب علم في سنة (٤) قروش	شيخ حسن طالب علم في سنة (٤) قروش

ولم يُعثر على ترجمة لأولئك الطلاب في المصدر التاريخي الشامي المعاصر آنذاك، وهو سلك الدرر للمرادي. وهؤلاء الطلبة العشر هم الذين حددهم الواقف منذ نشأة المدرسة، وكان قد خُصَّ كل واحد آنذاك بالنسبة للنقد المستخدم في تلك المرحلة الزمنية، بـ (٤٥) خمسة وأربعين درهمًا في كل شهر. ويلاحظ وجود وظيفة «قاضي مالكي» بين طلاب العلم. ويبدو أن القاضي المالكي كان يستفيد من تلك الأوقاف منذ نشأة هذه المدرسة بدليل أن الوقف خصَّ فقهاء نواب القاضي بذلك العون المادي. (النعيمي، ج١/٢٨).

ثالثًا- وظايف قاريات أجزاء غروش ٢٨ (قرّاء أجزاء من القرآن الكريم)

وظيفة	وظيفة	وظيفة	وظيفة	وظيفة
أحمد أفندي بكري زاده	إسمعيل جلبي كريمي	سيد إبراهيم حصري	شيخ أحمد	صادق جلبي
في سنة غرش (٢)	في سنة غرش (٢)	في سنة غرش (٢)	في سنة غرش (٣)	في سنة غرش (٢)
وظيفة	وظيفة	وظيفة	وظيفة	وظيفة
شيخ اكميل رملي	شيخ إبراهيم اسطواني	شيخ عبد اللطيف	شيخ مصطفى ولد الشيخ عثمان	شيخ يسين
في سنة غرش (٢)	في سنة غرش (٢)	في سنة غرش (٢)	في سنة غرش (٢)	في سنة غرش (٢)

وظيفة سيد حسين ولد سيد قدسي: شيخ القُراء. في سنة (٨ غروش)

لقد أوردت الوثيقة أسماء عشرة قراء للقرآن الكريم، لم يعثر لم على ترجمة، وأضافت إليهم اسم «شيخ القراء». وهؤلاء القراء العشرة كان الوقف منذ البدء قد نصَّ على عددهم، كما نصَّ على مُقْرِئَيْن آخَرَيْن إلى جانبهم يحضران عقب الظهر والعصر. فإذا ضم إلى أولئك العشرة ماأتى تحت اسم «قارئ مصحف شريف» الذي ورد ضمن وظائف خدام الوقف، وكذلك شيخ القراء، يكون العدد اثني عشر قارئًا وهو الذي نصّ عليه الوقف في أصل.

أما ماوُرد عن حصة «شيخ أحمد» بأنها ثلاثة غروش، فيظن أنها غلطة قلم، لأن المجموع صحيح، وهو (٢٠+٨= ٢٨ثمان وعشرون) كما ورد في حصة «قرّاء لأجزاء».

رابعًا- وقد أتى هذا **القسم الرابع** من الوثيقة حت عنوان كبير نسبيًا و«**الإخراجات**» ويقصد بها **النفقات الأخرى الضرورية للمدرسة، وقيمتها (١٥٨) مئة وثمان وخمسون غرشًا**، موزعة على الصورة الآتية:

٧٣.٥٠ القرش - أداء مال الحرمين الشريفين وهو (٧٣.٥٠) ثلاث وسبعون ونصف القرش في سنة. لقد كان للحرمين الشريفين حصة في الوقف من وارد قرية صحنايا، إذ ذكرت الوثائق أن للحرمين

	الشريفين (٣) ثلاثة فدادين من أصل (٢٤) أربعة وعشرين فدانًا هي فدادين القرية. وكانت حصة وقف الفارسية (٢١) واحدًا وعشرين فدانًا من تلك الفدادين.
٤٤ قرشًا	–نفقات النظارة: وهي مقابل ما كانت تتقاضاه الخزينة العثمانية مقابل أجر ناظر الوقف (٤٤) غرشًا.
٢.٥٠ قرشان ونصف ١٢٠قروش	– خرج تذكرة ميري. ويبدو أنه ثمن إخراج تذكرة من الميري (خزينة السلطان) بتسلم ورق حسابات الوقف (٢.٥٠) غرشان ونصف
٦.٥٠	– رسم محاسبة قاضي: يقوم القاضي سنويًا بمحاسبة المتولي، عن واردات الوقف ونفقاته، وبحضور الوالي. وترسل صورة من الحساب إلى إسطنبول.
٣.٥٠	– طينة سوق سلاح: أي تكاليف ((تطيين)) أي وضع ((طينة)) لجدران وسقف دكاكين سوق السلاح. وهي عملية ترميمية كانت تجري تقريبًا كل عام.
٣	– ترميم حانوت: ترميم الحانوت أي إصلاح ما أفسده الدهر فيه. – عَدَسَة دكاكين: ((عدسة)): تعبير عامي يقصد به تغطية أرض الدكان أو أية أرضية أخرى بطبقة من الملاط تغطي التراب، وتسوّي الأرض.
١.٥٠	– عمارة دكان حلاّ: يبدو أن عمارة دكان حلاق هي لتسهيل الحلاقة للعاملين في المدرسة.
١	– رسم معقول: لم يُعرف المقصود من هذا الرسم، ولم يعثر على مصدر لشرحه.
٣	– أجرة شاوي ماء: أي أجرة الذي يحمل الماء إلى المدرسة.

٦	– بهاء زيت: أي ثمن الزيت المخصص للقنديل، أو الإضاءة.
٢.٥٠	– حُصُر مدرسة: كان يُمدّ في أرض قاعات المدرسة حُصر بدل السجاد، وتصنع الحصر عادة من نسيج نبات «القصب» أو «الحلفا».
١	– قطن وقناديل ومكانس: وكان يستخدم القطن يصنع فتيل القناديل، أما «المكانس» فهي بالطبع للتنظيف.
١٥٨	

وبلغ مجموع تلك «الإخراجات» المتفرقة (١٥٨) مئة وثمانية وخمسين غرشًا.

والمجموع الكلي للمصرف: ١٩٨+ ٤٠ (٢٢٩)+ ٢٨+ ١٥٨= ٤١٥ – والوارد هو: ٤١٤.٥ .

واختتمت الوثيقة بما يلي: «جمع الإيراد والصرف، بعد دفع علوفة ونص سنة تاريخه لجهة «الميري»، بموجب الأمر الشريف السلطاني، فلم يتأخر لأحد من المرتزقة، ولا للمتولي في جهة الوقف شيء. حرر ذلك في خامس ذي القعدة الحرام سنة مئة وألف (٥ذي القعدة١١٠٠هـ/ ٢١آب١٦٨٩م). والمحضر بإمضاء المولى الهمام أبو بكر أفندي القاضي بدمشق الشام[53].

أما الوثائق الأخرى من وثائق المحاكم الشرعية بدمشق حول المدرسة

(53)وهذا القاضي أتى بعد وفاة قاضيها حفظي مصطفى أفندي سنة١١٠٠هـ. وبقي فيها حتى ١١٠٦هـ.
انظر حوله: محمد بن جمعة المقار في كتاب «ولاة دمشق في العهد العثماني»،مصدر سابق/٤٧.

الفارسية فمضمونها ادعاءات متنوعة تدور حول وقف المدرسة، وبعض تعيينات جديدة في مجال العمل فيها. وقد يكون من أهمها شكوى الفلاحين العاملين في حصة وقف المدرسة، من متولي الوقف، وهو كما أشير سابقًا حمزة بن بيرم الكردي. إذ أنه أخذ أثناء توليته من الزراع مبلغًا كبيرًا تجاوز كثيرًا المبلغ الخاص بالوقف. وهم في شكواهم يطلبون رد المبلغ المتجاوز، الذي أخذه المتولي منهم، ولعدة سنوات دون وجه شرعي.

وهكذا يظهر من تلك الوثائق بأنه كان هناك شك بتصرفات المتولي على الوقف، أكان في الجباية أم في الصرف، مع أن ذاك «المتولي» كان من العلماء المتصوفة!! ويظهر من تلك الوثائق أيضًا، عدم تصديق الفلاحين الحجج التي كان يتذرع بها، ولا تأكيده أنه كان يقوم بالحساب الشرعي الصحيح. فالمتولي كان في الحقيقة ينتقص من مال الوقف بطريقة أو بأخرى، ويجوز على الفلاحين لينال أكبر قسط من حاصل ذلك الوقف.

وخلاصة القول، يتبين من كل ماأتى في الوثائق، أن المدرسة الفارسية الدمشقية كانت عاملة حتى منتصف القرن الثالث عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، وأن المتولي كان طامعًا بوقفها، ولاسيما منه ماكانت تدرّه قرية صحنايا. كما أن تلك الوثائق تبين أن تولية المدرسة كانت بعد حمزة بيرم الكردي بيد الأسرة المرادية[54]، التي كانت على صلة قربى من المتولي السابق.

(54) كانت المدرسة الفارسية في النصف الثاني من القرن الثاني عشر بتولية ولدي محمد بن محمد المرادي. وهو جد المؤرخ محمد خليل المرادي. وقد ولد في القسطنطينية سنة (١٠٩٤هـ/١٦٨٣م)، عندما كان والده مراد اليزبكي البخاري فيها. وتلقى العلوم

ولكن إذا كانت الوثائق تبيّن لنا بعض أحوال المدرسة الفارسية الدمشقية حتى الأربعينيات من القرن الثاني عشر الهجري، فإن كتب التاريخ الدمشقية بصفة خاصة، لا تقدم شيئًا عن النشاطين العلمي والتعليمي لهذه المدرسة أثناء النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري، ولو خلال القرن الثالث عشر/ التاسع عشر الميلادي؛ فهي غائبة عن المسرح التعليمي في كتب المؤرخين الدمشقيين، وحتى في مؤلفات المؤرخ المرادي، مع أن أسرته كانت هي المتولية عليها.

ولا يعرف في الحقيقة السبب الأكيد لغياب هذه المدرسة بالذات عن مجال النشاط التعليمي في دمشق في تلك المرحلة، وقبل تثبت النظام التعليمي الحديث فيها؛ إذ لم يرد ذكرها في كتب المؤرخين الدمشقيين، مع ورود أسماء عدد كبير آخر من المدارس الناشطة، فهل هو الضياع التدريجي لأوقافها، وقد رأينا الطمع بها والنزاع حولها؟؟ أو ربما لعلّ ذلك يرجع إلى

على أبيه ومشايخ عصره. وقام بعدة رحلات على عادة علماء زمنه، واستقر في دمشق، واتجه إلى العبادة والتصوف. وكان مقربًا من السلطان العثماني، وأنعم عليه بقضاء المدينة المنورة. وله عدة تصانيف ورسائل. وتوفي في دمشق سنة (١١٦٩هـ/١٧٧٥م).

انظر: المرادي: عرف البشام فيمن ولي فتوى دمشق الشام. تحقيق: محمد مطيع الحافظ ورياض عبد الحميد مراد. دمشق، (١٣٩هـ/١٩٧٩م). مقدمة الكتاب (٢) ص. ز.

– المؤلف نفسه، مطمح الواجد في ترجمة الوالد الماجد. مخطوط في المتحف البريطاني، الورقات ٣ب، ٦آ. Catalogue Or 4050. Sch5501

– وانظر أيضًا ترجمة «حمزة بيرم الكردي»، رقم (١٢٤) في هذا البحث، لتعرف درجة القرابة.

نشأة مدارس جديدة نافستها في هذا المجال التعليمي – العلمي، فاجتذبت إليها العلماء والطلبة! إذ من المعروف، أنه يطيب للنفس وللفكر الأخذ بالجديد والمتجدد، ولو كان هذا الجديد في ظاهره فقط لا في عمقه! وفي الواقع نشأ في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، في مدينة دمشق، وأثناء مرحلة حكم آل العظم فيها، عدد من المدارس. كالمدرسة الإسماعيلية[55] في سوق الخياطين، التي أسست سنة (١١٤١هـ/ ١٧٢٨م)، وكانت من إنشاء إسماعيل باشا العظم وأسعد باشا العظم. والمدرسة السليمانية التي أنشأها سنة ١١٥٠هـ سليمان باشا العظم في باب البريد[56]. والمدرسة المرادية[57] التي أقامها الجد الأول للأسرة المرادية مراد المرادي[58] جنوبي الظاهرية الجوانية سنة (١١٣٢هـ/ ١٧٢٠م). والمدرسة النقشبندية البرانية[59] في سوق صاروجا، وقد أنشأها هي الأخرى مراد المرادي في داره، وبنى إلى جانبها مسجدًا. والمدرسة العبدلية[60] التي أقامها والي الشام عبد الله باشا العظم سنة (١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م)، في سوق السلاح مجاورة

(55) كرد علي: خطط الشام، ج٦/٩٩.

(56) المصدر نفسه.

(57) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(58) هو مراد بن علي بن داود الحسيني الأزبكي البخاري (١٠٥٠– ١١٣٢هـ) ولد في سمرقند، وأصيب بالشلل، وهاجر إلى الهند، والعراق، وبلاد فارس، وإسطنبول، ومصر، والحجاز. ومنحه السلطان العثماني في بعض قرى دمشق إقطاعًا، وتوفي في الآستانة. وكانت له مؤلفات باللغات العربية والفارسية والتركية.

انظر: الزركلي: الأعلام، ج٨/٨١– ٨٢.

(59) كرد علي: خطط الشام، ج٦/٩٨.

(60) المصدر نفسه /٩٩.

للمدرسة الفارسية.

إن تلك المدارس الجديدة، لابد أن تكون قد جذبت أنظار الشيوخ العلماء، وطلبة العلم إليها، وهي المشمولة مبدئيًا برعاية الحاكم ودعمه. ويضاف إليها أن التعليم في الجامع الأموي وهو القريب من المدرسة الفارسية، لايزال له نشاطه الكبير ورواده. وبذلك هُجرت المدرسة الفارسية شيئًا فشيئًا، في الوقت الذي كانت فيه أوقافها تُسرق، وسكان المنطقة يختلسون أجزاءً منها ليحولوها إلى حوانيت. وهكذا لم يبق منها مع الزمن، سوى ذلك المصلَّى الصغير الذي أشير إليه، كما لم يبق من أوقافها الثمينة سوى الدكاكين الصغيرين الملتصقين بأحد جدرانها.

وقد يُتساءل في آخر هذا المطاف الطويل، هل استثارت هذه المتابعة لتاريخ المدرسة الفارسية من مدارس دمشق القديمة، وسيرة حياتها، ونظام العمل فيها، منذ نشأتها وحتى فقدانها نشاطها التعليمي، وبصفتها نموذجًا لتاريخ أية مدرسة من تلك المدارس الإسلامية العربية الغابرة – أعود فأكرر هل استثارت هذه المتابعة – في أذهان الباحثين التاريخيين والأثريين تفكيرًا جديًّا بإقامة مشروع علمي، لتتبع حياة مثل المدارس المماثلة، التي زُرعت في أنحاء كثيرة من عالمنا العربي والإسلامي؟ كي يضع مثلُ هذا المشروع التراثَ التعليمي الحضاري، بصفة خاصة، في دائرة النور، فيكشف أثر البث التعليمي العلمي في العطاء الفكري، والنماء الحضاري، للثقافة العربية الإسلامية وديمومتها، فيتولد في نفوس الباحثين في مثل ذلك المشروع، إذا تم بتنبيه، إصرار وتشبث بمبدأ يقول بإيمان، إن تلك المدارس، الباقي منها والمندثر، كانت عطاءً حضاريًا

متنوع الأطياف ومشعًا، ويجب ألا يموت تحت ركام أبنيتها، وفقدان تمويلها، بل يجب أن تُحيى ويذكّر به دومًا بالكلمة المنطوقة والمكتوبة وبالترميم العمراني إذا أمكن، وأن يكون له في عصرنا المعلوماتي الحاضر موقع مميز وغني على الشابكة، تسعى الأجيال الحاضرة والقادمة لو لوجه التزود منه وتنميته.

فكلما ساقتكما أي أختي وأي أخي، أقدامكما إلى الباب الجنوبي من الجامع الأموي، تذكرا أن تعرّجا على مايسمى اليوم بالمجد الفاسي في قلب سوق البزورية بدمشق، وأن تبعثا منه بتحية تقدير لمن بنى المدرسة الفارسية، وهو لم تتأصل في نفسه بعد اللغة العربية وعلوم الدين، إلا أنه آمن بالقيمة الإنسانية للعلم والتعلم والتعليم؛ وتحية مماثلة لمن عمل في هذه المدرسة وأمثالها، في الماضي الغابر، تدريسًا، وتعليمًا، وتعلمًا، هداية.

التمكين للغة العربية: آفاق وحلول

د. محمود السيد (*)

سأحاول في هذا البحث الموجز أن أقف على مفهوم اللغة ووظيفتها وأهميتها بوجه عام، وكيف تُعنى الأمم الحية بلغاتها، ثم أبيِّن سمات اللغة العربية ومكانتها والتحديات التي تواجهها على الصعيدين الخارجي والداخلي، وصولاً إلى التمكين لها، والحفاظ عليها، والارتقاء بها، والاهتمام بإتقانها على النحو الذي وجّه إليه قائد الوطن السيد الرئيس بشار الأسد.

١- اللغة مفهومًا ووظيفةً وأهميةً

اللغة مفهوم منظومي يشمل الإيماءات والإشارات والأصوات والرموز المكتوبة، وجميع صور التعبير قاطبة، من رسم ونحت ورقص وموسيقا...إلخ، إلا أن اللغة المنطوق بها تحتل المرتبة الأولى بين جميع هذه الجوانب.

وتتمثل وظيفة اللغة في التفكير والتواصل والتعبير، أو في التعرف والنداء والتعبير، وإن كان بعض الباحثين يرى أن وظيفة التعبير ما هي إلا ضرب من التواصل، وأن الوظيفة الأساسية للغة إنما هي التواصل، ذلك لأن اللغة مؤسسة اجتماعية إنسانية.

واللغة والفكر وجهان لعملة واحدة، إذ إننا لا يمكن أن نتصور لغة من غير فكر ولا فكرًا من غير لغة. ويقول الدكتور طه حسين في هذا الصدد: «نحن نشعر

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

بوجودنا وبحاجاتنا المختلفة وعواطفنا المتباينة وميولنا المتناقضة حين نفكر، ومعنى ذلك أننا لا نفهم أنفسنا إلا بالتفكير، ونحن لا نفكر في الهواء، ولا نستطيع أن نفرض الأشياء على أنفسنا إلا مصوَّرة في هذه الألفاظ التي نقدرها ونديرها في رؤوسنا، ونُظهر منها للناس ما نريد، ونحتفظ منها لأنفسنا بما نريد. فنحن نفكر باللغة، ونحن لا نغلو إذا قلنا إنها ليست أداة للتعامل والتعاون الاجتماعيين فحسب، وإنما هي أداة للتفكير والحس والشعور».

ويرى الفيلسوف الفرنسي «كوندياك» أن عملية التفكير نفسها مستحيلة بغير اللغة ورموزها، ويرى أنه لا معرفة بغير تحليل، ولا تحليل بغير رموز أي بغير ألفاظ.

ولقد أشار «ماكس مورو» إلى أنه «باللغة وباللغة وحدها يندمج الفرد في المجتمع، ويتلقى تراث الأمة الفكري والشعوري والأخلاقي والاجتماعي كله، التراثَ المنحدر من قرائح الكتاب والشعراء والمفكرين السالفين منهم والمعاصرين».

وعدّ «فيختة» الأمة الألمانية بأنها جميع الذين يتكلمون اللغة الألمانية، ذلك لأن «الذين يتكلمون بلغة واحدة يكونون كلاً موحَّدًا، ربطته الطبيعة بروابط متينة، وإن كانت غير مرئية».

ويرى «هردر» الألماني أن «لغة الآباء والأجداد مخزن لكل ما للشعب من ذخائر الفكر والتقاليد والتاريخ والفلسفة والدين، ولكن قلب الشعب ينبض في لغته، وروحه يكمن في لغة الآباء والأجداد».

وعبّر «هيدجر» الفيلسوف الألماني أيما تعبير عن أهمية اللغة عندما قال: «إن لغتي هي مسكني، هي موطني ومستقري، هي حدود عالمي الحميم ومعالمه وتضاريسه، ومن نوافذها، وبعيونها أنظر إلى بقية أرجاء الكون الفسيح».

ويضيف «حيث توجد اللغة يوجد عالم. ولما كان التاريخ لا يصير ممكنًا إلا في عالَم، اقتضى ذلك أنه حيث توجد اللغة يوجد التاريخ».

أما «ستالين» فيرى «أن اللغة هي إحدى الوقائع الاجتماعية الفاعلة والمؤثرة في سياق الوجود الاجتماعي وديمومته كلها، فهي تبقى ببقائه وتزول بزواله، وليس ثمة إمكان وجود أي لغة في خارج نطاق المجتمع».

وفي عصرنا الحالي ازدادت أهمية اللغة، وعُني بها علماء متعددون وفي اختصاصات متعددة حتى غدت مركز الدراسات الإنسانية، إذ عني بها عالم وظائف الأعضاء، والطبيب المختص بالأعصاب وأمراض الكلام، وعالم الرياضيات، والمهندس الكهربائي، والمعلوماتي، وعالم النفس، وعالم الاجتماع، والمربي، واللغوي...إلخ. وإذا كان سقراط قد قال لجليسه «تكلم حتى أراك» فإن الشعار حاليًّا في عصر الشابكة «الإنترنت» تكلَّمْ حتى يراك الآخرون عن بُعد، وترى نفسك وهي بعيدة عنك.

٢– عناية الأمم بلغاتها

تُعنى الأمم الحية بلغاتها أيما عناية، فتعمل على نشرها والاعتزاز بها والتمسك بها رمزًا لهويتها وذاتيتها، **فها هي ذي اليابان** قد استسلمت في الحرب العالمية الثانية تحت وطأة القنابل الذرية الأمريكية، ففرض الأمريكيون شروطهم المجحفة على اليابان المستسلمة، مثل تغيير الدستور وحلّ الجيش ونزع السلاح...إلخ. وقد قبِلت اليابان جميع تلك الشروط ما عدا شرطًا واحدًا لم تقبل به، وهو **التخلي عن لغتها القومية في التعليم**، فكانت اللغة اليابانية منطلق نهضتها العلمية والصناعية الجديدة.

وفي كوريا يجري التعليم في مختلف مراحله وتنوع اختصاصاته باللغة الكورية الفصيحة، وتوجد في كوريا حاليًّا ما يزيد على ١١٠ قنوات تلفزية كلها خاصة إلا قناة حكومية واحدة، و**جميعها تبث باللغة الكورية الفصيحة** السليمة طبقًا للسياسة اللغوية للدولة وتحت مراقبتها. وجميع اللافتات وأسماء المحَالِّ بالكورية فقط، والنادر منها كلافتات السفارات والفنادق الكبرى يضيف الاسم بالحروف الأجنبية الصغيرة تحت الحروف الكورية الكبيرة.

وفي فيتنام دعا القائد الفيتنامي «هوشي مينه» أبناء أمته قائلاً: «لا انتصار لنا على العدو إلا بالعودة إلى ثقافتنا القومية ولغتنا الأم».

وأضاف «حافظوا على صفاء لغتكم حفاظكم على صفاء عيونكم، حذار من أن تضعوا كلمة أجنبية في مكانٍ بإمكانكم أن تضعوا فيه كلمة فيتنامية».

ولقد **أدركت فرنسا** منذ أواخر القرن الثامن عشر أهمية اللغة القومية الفصيحة في بناء الأمة، وأنه لا حرية حقيقية من رواسب الإقطاع، ولا كيان للشخصية الفرنسية إلا بتمثل اللغة القومية.

وقدّم الراهب «غريغوار» إلى مجلس الثورة تقريرًا عن حال اللغة الفرنسية جاء فيه: إننا نستطيع أن نؤكد دون مغالاة أن نحوًا من ستة ملايين من الفرنسيين، ولا سيما في الأرياف لا يعرفون لغتهم القومية، وعددًا لا يقل عن ذلك، إذا عرفوا شيئًا منها فإنهم لا يستطيعون أن يواصلوا التحدث بها، والذين يحسنون التكلم بها بفصاحة لا يتجاوز عددهم ثلاثة ملايين، أما الذين يستطيعون كتابتها على وجه الصحة فهم أقل من ذلك بكثير. وحل المشكلة يكمن في محاربة اللهجات المحلية ونشر اللغة الفرنسية الفصيحة بين المواطنين جميعهم.

وأصدرت الجمعية الوطنية الفرنسية عام ١٩٩٤م قرارًا ينص على عدم السماح بعقد المؤتمرات العلمية المتحدثة بالإنكليزية على الأرض الفرنسية. ووضع البرلمان الفرنسي قائمة بالكلمات السود التي يحظر استعمالها في لغة الإعلام والإعلان.

ووقفت فرنسا في المنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة «اليونسكو» تدافع عن التعدد اللغوي والتنوع الثقافي.

وتجدر الإشارة إلى أن مدرِّس الرياضيات في فرنسا يحاسب طلبته على أخطائهم اللغوية كما يحاسبهم على أخطائهم في الرياضيات.

وفي إسبانيا اجتمع أعضاء البرلمان بعد انتخاب «خوسيه لويس ثاباتيرو» رئيسًا للحكومة الإسبانية في ١٤ آذار عام ٢٠٠٤م تحت قبة البرلمان، وحاول ممثلو إقليم قطلونيا استعمال اللغة المحلية، غير أنهم فوجئوا بالرفض الشديد من «مانويل مارين» رئيس البرلمان الذي منعهم من استعمال اللغة المحلية، لما تمثله من خطر من شأنه أن يهدد اللغة الإسبانية الرسمية، وقد استشهد رئيس البرلمان بالمادة الثالثة من الدستور الإسباني، التي تنص على أن اللغة الإسبانية هي اللغة الرسمية التي ينبغي لجميع أبناء الشعب استعمالها.

وفي ألمانيا عندما سُئل «بسمارك» عن أفظع الأحداث التي حدثت في القرن الثامن عشر، أجاب: إن الجاليات الألمانية في شمال أمريكا اتخذت اللغة الإنكليزية لغة رسمية لها، وكان يأمُل أن تتخذ هذه الجاليات اللغة الألمانية لا الإنكليزية، وقد أثبتت الأحداث صدق رؤيته، فقد وقفت أمريكا إلى جانب إنكلترا في الحربين العالميتين الأولى والثانية. وللغة دور في تقارب الفكر وتوحيد الرؤى.

وورد في صحيفة «دي فيلت» الألمانية على صفحتها الأولى وبالخط العريض عنوان «لا شهادة ثانوية لضعيف في اللغة الألمانية»، ويتحدث المقال عن طالبة ألمانية نجحت في مواد الشهادة الثانوية ما عدا اللغة الألمانية، فأقامت دعوى على لجنة الامتحانات، إلا أن المحكمة أصدرت حكمها برسوب الطالبة، فاستأنفت الحكم، ولكن محكمة الاستئناف اعتمدت الحكم وقررت أنه «لا شهادة ثانوية لضعيف في اللغة الألمانية».

وفي بريطانيا أصدر المجلس القومي لمعلمي اللغة الإنكليزية قرارًا يقضي بأن **على كل معلّم أن يكون معلِّمًا للغة الأم أولاً**، ذلك لأن تعليم اللغة إنما هو مسؤولية جماعية، وجميع المعلمين مهما تكن اختصاصاتهم ينبغي لهم أن يعلِّموا اللغة الأم من خلال تعليم موادهم.

ولمْ نذهب بعيدًا فها هي ذي إسرائيل أقامت كيانها على إحياء اللغة العبرية، وهي لغة ميتة منذ ألفي سنة، فاعتمدتها في جميع شؤون حياتها تعليمًا وإعلامًا وتواصلاً، حتى إن المؤتمرات الذرية والنووية تُعقد باللغة العبرية لا بالإنكليزية.

٣– اللغة العربية: سمات ومكانة

تُعد اللغة الأم هُوية المرء وهوية أمته التي ينتسب إليها في الوقت نفسه، ولغتنا العربية الفصيحة هي لغتنا الأم التي وحدت بين العرب في مواضي الحقب بطريق القرآن الكريم، وما تزال هي الرابطة الموحِّدة والموحَّدة، شأنها في ذلك شأن الأمم التي توحِّد بين أبنائها وتحنو عليهم، وتشملهم برعايتها وعنايتها حبًا وعطفًا واهتمامًا.

إنها وسيلتنا للتعبير عن مشاعرنا وعواطفنا وأفكارنا، ووسيلتنا لقضاء حاجاتنا، وتحقيق متطلباتنا في التواصل مع أفراد مجتمعنا، ووسيلتنا للتحكم في بيئتنا لأنها أداة التفكير وثمرته.

إنها رمز لكياننا وثقافتنا والقلعة الحصينة للذود عن هويتنا وذاتيَّتنا الثقافية ووحدتنا القومية.

وهي لغة قرآننا الكريم وذاكرة أمتنا ومستودع تراثها، والرابطة التي جمعت وتجمع بين أبناء الأمة فكرًا ونزوعًا وأداء، آلامًا وآمالاً، تاريخًا وحاضرًا ومستقبلاً.

ولقد كان ثمة خلاف بين اللهجات العربية القديمة قبل نزول القرآن الكريم، فكان هناك خلاف في موضع إبدال الحروف والنطق، تمثَّل في الكشكشة عند ربيعة ومضر «إبدال الكاف شينًا في الخطاب»، والفحفحة في لغة هذيل «إبدال الحاء عينًا»، والاستنطاء في قيس والأزد «جعل العين الساكنة نونًا»، والعجعجة عند قضاعة «جعل الياء جيمًا».

وكان ثمة خلاف في معاني المفردات إضافة إلى الخلاف في إبدال الحروف والنطق، وكانت لغة قريش أوسع اللغات انتشارًا في الجزيرة العربية. وكانت قريش أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة كما يقول أحمد بن فارس في كتابه «الصاحبي في فقه اللغة».

ونزل القرآن الكريم بلغة قريش وتأثرت اللغة العربية بالقرآن الكريم فاتسعت مادتها، وتشعبت أغراضها ومعانيها، وتهذبت ألفاظها، ورقَّت أساليبها.

وأكسب القرآن الكريم اللغة العربية عذوبة في اللفظ، ورقة في التراكيب، ودقة في الأداء، وقوة في المنطق، وثروة في المعاني، ووسَّع دائرة اللغة باستعماله

الألفاظ الدينية كالصلاة والزكاة والصيام والركوع والسجود والمؤمن والكافر...إلخ.

وتتسم لغتنا العربية بسمات متعددة في حروفها، من حيث اتساع المدرج الصوتي فانفردت بحروف لا توجد في اللغات الأخرى كالضاد والطاء والعين والغين والحاء والقاف، وهناك تقارب في اللفظ بين بعض الحروف، وتقارب في الشكل بين بعضها الآخر، وثمة ثبات في الحروف العربية الأصيلة فتبقى محافظة على أصلها، إضافة إلى العلاقة بين الحرف والمعنى.

وتتسم لغتنا أيضًا بالمنطقية في قوالبها والغنى في مفرداتها والدقة في تعبيرها، والإيجاز في تراكيبها والإعراب الموضح لمعانيها.

وتحتل لغتنا العربية مكانة كبيرة في نظر الباحثين والمستشرقين المنصفين، ولقد أشار إلى تلك المكانة الكاتب الإسباني القديم Alvaro في القرن التاسع الميلادي، و«بيترارك» شاعر إيطاليا الكبير في القرن الرابع عشر الميلادي، والكاتب القاص الفرنسي «جول فرن» والمستشرق الإنكليزي «إدوارد نيسون روس» والمستشرق الإيطالي «كارل نلينو» والمستشرق الإيطالي «جويدي»، والمستشرق الأمريكي «وليم ورل»، والمستشرق الأمريكي «كوتهيل»، إذ يقول هذا المستشرق: «قلَّ منا نحن الغربيين من يقدِّر اللغة العربية حق قدرها من حيث أهميتها وغناها، فهي بفضل تاريخ الأقوام التي نطقت بها وبداعي انتشارها في أقاليم كثيرة، واحتكاكها بمدنيات مختلفة، قد نمت إلى أن أصبحت لغة مدنيَّة بأسرها بعد أن كانت لغة قبليَّة. لقد كان للعربية ماض مجيد، وفي تقديري سيكون لها مستقبل باهر».

ويقول المستشرق الأمريكي «وليم ورل»: «إن للغة العربية من اللين والمرونة ما يمكِّنانها من التكيف وفق مقتضيات العصر، وهي لم تتقهقر فيما مضى

أمام أي لغة أخرى من اللغات التي احتكت بها، وهي ستحافظ على كيانها في المستقبل كما حافظت عليه في الماضي».

أما العالم الألماني «فريننباغ» فيقول: «ليست لغة العرب أغنى لغات العالم فحسب، بل الذين نبغوا في التأليف بها لا يمكن حصرهم، وإن اختلافهم عنا في الزمان والسجايا والأخلاق أقام بيننا نحن الغرباء عن العربية وبين ما ألَّفوه حجابًا لا نتبين ما وراءه إلا بصعوبة».

ويقول المؤرخ «أرنست رينان»: «من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القوية، وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحارى عند أمة من الرُّحَّل، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها، وحسن نظام مبانيها، وكانت هذه اللغة مجهولة عند الأمم، ومن يوم علمت ظهرت لنا في حلل الكمال لدرجة أنها لم تتغير أي تغير يُذكر، حتى إنها لم يعرف لها في كل أطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة، ولا نكاد نعلم من شأنها إلا فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تبارى، ولا نعلم شبيهًا لهذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملة من غير تدرج، وبقيت محافظة على كيانها من كل شائبة».

ويشير «ماسينيون» الفرنسي إلى أن اللغة العربية لغة وعي ولغة شهادة، وينبغي إنقاذها سليمة بأي ثمن للتأثير في اللغة الدولية المستقبلية، وإن في اللفظ العربي جرسًا موسيقيًّا لا أجده في لغتي الفرنسية، بحسب تعبيره.

٤– من التحديات التي تواجهها اللغة العربية

ثمة تحديات كثيرة تواجهها لغتنا العربية على الصعيدين الخارجي والداخلي، ومن التحديات الخارجية التي واجهتها في الماضي مواجهتها لتوسع الدولة الإسلامية وانتشار العرب في بقاع من الأرض، لم يكن لهم بها عهد من أجناس ولغات وأديان وحضارات متعددة، وكان ذلك حريًا أن يلتهم هذه اللغة التي خرجت من نطاق ضيّق وإطار محصور في الجزيرة العربية، وأن يقضي عليها ويستبدل بها غيرها من لغات الأمم الأخرى التي اتصلت بها وعاشت معها، وكانت أعرق منها في مجال العلم والثقافة والحضارة. ولكن اللغة العربية ازدادت اتساعًا في ميادين المعرفة وانتشارًا في أرجاء العالم المعروف آنئذٍ، وسرعان ما صارت هي لغة الإدارة والعلم والثقافة لأهلها وللعالم المعروف آنذاك، وتدفق الشعر والنثر والتأليف والترجمة والتعليم في العصر الأموي ثم في العصر العباسي، فحملت اللغة العربية عِلم الإغريق وفلسفتهم، وعلوم المسلمين وأدبهم من نثر وشعر إلى أوربا، وكان العلماء الأوربيون يستعملونها لغة للتعليم والتعلم، ويترجمون منها إلى اللاتينية.

ومن التحديات التي واجهتها لغتنا العربية في ماضيها هجمات المغول والتتر وإلقاء الكتب والمخطوطات العربية في نهر دجلة حيث ظلَّ ماؤه متشحًا بالسواد أربعين يومًا نتيجة لما أُلقي فيه من كتب ومخطوطات.

ومن هذه التحديات أيضًا حملة نابليون على مصر ودعوته إلى نشر الفرنسية، وحملة التتريك التي رمت إلى استبعاد العربية وفرض اللغة التركية مكانها، ثم محاولات المستعمرين فرض لغاتهم إبان احتلالهم للدول العربية، ومحاولات بعض المستشرقين في النصف الأول من القرن الماضي في اعتماد اللهجات العامية وكتابتها بالأحرف اللاتينية على يد القاضي «ويلمور»

والمهندس «ويلكوكس». وقد سار نفر من أبناء العربية تحت لواء تلك الدعوات من أمثال سلامة موسى، وعبد العزيز فهمي، وأنيس فريحة...إلخ.

أما التحديات التي تواجهها لغتنا العربية في عصرنا الحالي فتتمثل في بعض جوانبها بالعولمة، وهذه العولمة الثقافية تروم نشر اللغة الإنكليزية لغة القطب الواحد وهيمنتها في التعليم والتواصل، وهذا ما دفع أمريكا إلى مناهضة للوقوف بضِدِّ التنوع الثقافي والتعدد اللغوي في المنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة «اليونسكو».

واتخذت محاربة اللغة العربية الفصيحة أشكالاً متعددة منها وصم لغتنا بالتخلف وعدم مواكبة روح العصر والتفجر المعرفي، وبأنها لغة البداوة وليست لغة العلم، ووصمها بالصعوبة والتعقيد بسبب نحوها وصرفها وكثرة الحركات فيها، وأنها تُفهم لتُقرأ خلافًا لبقية اللغات.

ومن هذه الأساليب إحياء الدعوة إلى استعمال اللهجات العامية مجددًا، وتشجيع البحوث التي تخدم العاميات وتقديم الدعم المادي لها، حتى إن بعض الجامعات الأمريكية قامت بإلغاء تدريس اللغة العربية والاستعاضة عنها باللهجات العربية مثل الشامية والمصرية والمغربية والعراقية، كما أن فرنسا عملت على استبعاد العربية من امتحانات الشهادة الثانوية، حيث كان يُسمح للطالب باختيار لغة ثانية كالإنكليزية والألمانية والإسبانية والعربية. وابتداءً من عام ١٩٩٥م لم تعد العربية من بين هذه اللغات، واستُعيض عنها بعدد من اللهجات العربية والكتابة بها.

ومن الأساليب أيضًا إحياء لغات الأقليات وتقديم الدعم للقائمين بها تحت شعار حقوق الإنسان.

وثمة توجُّهٌ إلى إلغاء اللغة العربية من بين اللغات العالمية الرسمية في منظمة الأمم المتحدة، واللغات العالمية الرسمية في المنظمة هي: «الإنكليزية، الفرنسية، الإسبانية، الروسية، الصينية، العربية»، وذلك للأسباب الثلاثة الآتية:

١- عدم وفاء معظم الدول العربية بالتزاماتها المتعلقة بدفع نفقات استعمال العربية في المنظمة.

٢- عدم استعمال ممثِّلي الدول العربية للغة العربية في الأمم المتحدة، فهم يستعملون الإنكليزية أو الفرنسية في إلقاء كلماتهم ومناقشاتهم.

٣- عدم وجود مترجمين عرب أكفياء يجيدون اللغة العربية.

ولقد ضغطت الدول الكبرى ومنها أمريكا على منظمة اليونسكو بخصوص حقوق التنوع اللغوي، مما جعل هذه المنظمة أخيرًا تعلن أن الحقوق اللغوية تنحصر في ثلاثة:

١- الحق في لغة الأم وليس اللغة الأم.

٢- الحق في لغة التواصل في المجتمع.

٣- الحق في لغة المعرفة.

وتعني هذه الحقوق فيما يتعلق ببلادنا العربية:

١- لغة الأم هي اللهجة العامية أو إحدى اللغات الوطنية غير العربية.

٢- لغة التواصل هي اللهجة العربية الدارجة.

٣- لغة المعرفة العالمية هي الإنكليزية أو الفرنسية.

وفي ظل هذه العولمة الثقافية ذات القطب الواحد تنتشر الأفلام والمسلسلات المتلفزة والأغاني الأجنبية التي تطالعنا في كل مكان، وتصافح أسماعنا، وهي محمَّلة بأنماط الحياة وأساليب التفكير والسلوك

الغربية وخاصة الأمريكية حتى تتشربها الأجيال، وتغدو نمط حياة وأسلوب تفكير وسلوك، فتذوب شخصياتها في شخصية البلد المصدر، ويتغرب فكرها وشعورها، وتسود ثقافة واحدة.

وتروّج الدوائر المعادية لأمتنا لبعض المصطلحات، وتعمل على سيرورتها وانتشارها، ومن بين هذه المصطلحات «منطقة الشرق الأوسط»، إذ إن هذا المصطلح يشمل منطقة لا هوية لها، لإزالة الهوية العربية، وليحل هذا المصطلح مكان «الوطن العربي» أو «البلاد العربية» أو «الأمة العربية». والغاية من ذلك كله تغريب الفكر وتَأَمْرُكَهُ وتصهينه، بغية إزالة الطابع العربي وإقحامِ إسرائيل في المنطقة لتصبح جزءًا عضويًا مقبولاً فيها. وشاع المصطلح دون وعي فكانت لنا محطة إذاعية وجريدة عربية كبيرة سُميت به.

ومن المصطلحات «الشراكة الأوربية المتوسطية»، وأُسقط الشريك العربي، فباتت الشراكة أوربية فقط، أي بين الدول الأوربية الواقعة على البحر المتوسط وحدها، وكان من الواجب أن يكون التعبير السليم «الشراكة الأوربية العربية المتوسطية»، وكأن القصد تغييب الصفة العربية من كل مصطلح أو عبارة، من أجل أن تغيب معها الهوية العربية في نفوس الناشئة والأجيال القادمة، ومن أجل إقحام إسرائيل في هذه الشراكة.

ومن المحاولات أخيرًا تفريغ المناهج والكتب في مراحل التعليم العام وفي المرحلة الجامعية الأولى من النماذج التأصيلية والنصوص التأسيسية للغة العربية وثقافتها، إما بحذفها أو بوضع نماذج ونصوص هزيلة مكانها، فيُفرَّغ عقل الدارس ووجدانه من كل ما هو أصيل يصله بحقيقة لغته وثقافة أمته.

ويُضاف إلى ذلك كله ضعف نسبة ما يُنشر باللغة العربية على الشابكة «الإنترنيت»، إذ إن ٨٠% من صفحات الموقع المتوفرة على شبكة «الْوِبْ» مكتوبة بالإنكليزية، وثمة نقص رقمي على الشابكة بالعربية وعدم اعتماد مواصفات محارف اللغة العربية وهذا يسبب الكثير من الإشكالات.

ومن الملاحظ التهميش للعربية لمصلحة الإنكليزية، على أن الإنكليزية هي لغة عمل وتواصل على جميع الصعد، بدءًا من النشر العلمي وتبادل الخبرات التقانية «التكنولوجية» ومرورًا بالتعليم العالي والتجارة والصناعة والإعلام والإعلان وغيرها، وصولاً إلى التعليم الأساسي ورياض الأطفال. وهذا يعني ضمور اللغة العربية واستعمالها في مجالات تقليدية محددة، وقد يزداد دور اللهجات العامية في تأثيرها على الفصيحة.

وإذا أضفنا إلى هذه التحديات التعتيم على ثقافتنا العربية والحقد على حضارة أمتنا، أدركنا عمق التحديات التي نواجهها، ففي احتلال العراق على يد الأمريكان والمتحالفين معهم تمَّ تحطيم ضريح نبوخذ نصر وسوّي بالأرض، وأصبح مكانه موقفًا للسيارات العسكرية، وتمت سرقة مليون كتاب من أمهات الكتب وسرقة ثمانية ملايين وثيقة، وسرقة ١٧٠.٠٠٠ لوحة أثرية منها ١٤.٠٠٠ لوحة ليس لها مثيل.

أما التحديات الداخلية التي تواجهها لغتنا العربية فهي البيئة الملوثة لغويًا من حيث استشراء اللهجات العامية، وانتشار الكلمات الأجنبية على المحالِّ التجارية والمطاعم والفنادق والحياة العامة، والكلمات العامية والأخطاء النحوية على وسائل النقل وفي الإعلانات والإعلام، وفي الكلمات التي تُلقى في المناسبات، وفي العملية التعليمية العلمية في مدارس التعليم العام، وفي المعاهد

والجامعات، وضبابية المقاصد في أذهان القائمين على تعليم اللغة وتعلمها، وقصور محتوى المناهج وضآلة الجانب الوظيفي فيها، وتخلّف طرائق تعليم اللغة وتعلمها، والإخفاق في غرس الشغف بالقراءة ومحبتها في نفوس المتعلمين، إذ إن أبناء الأمة مبتلون بآفة العزوف عن القراءة، **ففي أوربا ٣٥ كتابًا للفرد الواحد يُقرأ سنويًا، وفي إسرائيل ٤٠ كتابًا للفرد الواحد تُطبع بالعبرية، وفي السنغال أربعة كتب للفرد الواحد، وفي الوطن العربي كتاب واحد لكل ثمانين فردًا.**

وهناك إخفاق في إكساب المتعلمين مهارات التعلم الذاتي، وضآلة نسبة ما يُترجم إلى اللغة العربية ومنها، وقلة البحوث العلمية في المجال التعليمي المتعلق باللغة، والجمود اللغوي، إذ إن اللغة العربية – كما يقول الدكتور طه حسين – لن تتطور ما لم يتطور أصحابها أنفسهم، ولن تكون لغة حية إلا إذا حرص أصحابها على الحياة، ولن تكون لغة قادرة على الوفاء باحتياجات العصر إلا إذا ارتفع أصحابها إلى مستوى العصر ثقافة وسلوكًا وفهمًا، أخذًا وعطاءً.

ومن التحديات الداخلية أيضًا ضعف التعبير الوظيفي وقلة الرصيد الحفظي، وهيمنة اللغات الأجنبية في الجامعات الخاصة وفي المدارس الخاصة حتى في رياض الأطفال، وضعف الانتماء وفتوره وضعف الوعي اللغوي، وليس هذا الضعف في الوعي اللغوي لدى الأميين فقط، وإنما لدى نفر من «المثقفين» الذين يهجرون لغتهم إلى استعمال العامية حينًا، وإلى استعمال الإنكليزية أو الفرنسية حينًا آخر.

٥– التمكين للغة العربية

انطلاقًا من أهمية لغتنا العربية ومن دورها القومي في بناء أمتنا وتماسكها الاجتماعي، حرصت سورية على الحفاظ على لغتنا الفصيحة وعلى سيرورتها وانتشارها في جميع مناحي الحياة. ولهذا قاومت محاولات التتريك، الرامية إلى إبعاد اللغة العربية وفرض التركية مكانها إبان حكم الأتراك لبلاد الشام، وكان روّاد التعريب الأوائل قد وقفوا جهودهم على التنقيب والبحث في رحاب لغتهم، واعتمادها على الألسنة والأقلام أسلوبًا عربيًا فصيحًا ومشرقًا.

ثم عجز الاستعمار الفرنسي الذي ابتُليت به سورية مدة خمس وعشرين سنة عن أن ينال من منجزات التعريب ومسيرته، إذ بقي معهدا الطب والحقوق اللذان افتُتحا عام ١٩١٩م يُدرِّسان باللغة العربية، وكانا نواة الجامعة السورية، وقد خاطب السيّد «بونور» مدير المعارف العام في المفوضية العليا إبان الانتداب الفرنسي أساتذة الجامعة السورية آنذاك مباركًا لهم اعتماد اللغة العربية في التدريس، متمنيًا عليهم ألا يُضيِّعوا هذا الاحترام المقدر للغتهم، لأن من يُدافع عن لغته يُدافع عن أصله وعن حقه وعن كيانه وعن لحمه ودمه وفق تعبيره.

ولقد تكاملت الدراسات العلمية والدراسات الإنسانية والأدبية باللغة العربية منذ ذلك الوقت وإلى يومنا هذا، وشمل التعريب مختلِف التخصصات، وغدت سورية قلعة للتعريب والذود عن العربية، والحرص على سيرورتها وانتشارها نقية وسليمة على الألسنة والأقلام، وفي جميع مناحي الحياة، وصارت مضرب المثل على نطاق الساحة العربية في تمسكها بلغتها الأم والحفاظ عليها، وكان المجمع العلمي العربي «مجمع اللغة العربية اليوم» مرجعًا للدوائر الحكومية في مسيرة التعبير وفي كل ما من شأنه تعزيز اللغة العربية.

وصدر المرسوم التشريعي ذو الرقم ١٣٩ بتاريخ ١٩٥٢/١١/٦م يعزِّز استعمال اللغة العربية في البيئة، وذلك بمنع إطلاق الأسماء الأعجمية على المحال العامة والخاصة، كما صدر بتاريخ ١٩٧٠/٥/٧م بلاغ رئاسة مجلس الوزراء ذو الرقم ٩٥/ب/٥/١٧٠٩ للحد من طغيان الأسماء الأجنبية على المحال العامة والخاصة، وصدر أيضًا كتاب من رئاسة مجلس الوزراء إلى الجهات المعنية ذو الرقم ١/ ٢٧٢١ بتاريخ ١٩٨٠/٥/٢٨ يتضمن اعتماد توصية اللجنة الثقافية حول تعريب أسماء المحلات القائمة في البلاد، ونصت المادة الثالثة من قرار وزير السياحة ذي الرقم ٣٩٧ لعام ١٩٨٠م على أن تختار المكاتب والمنشآت السياحية على اختلاف درجاتها وفئاتها في التصنيف أو التأهيل أسماءً عربية فقط، ويحظر عليها استعمال أسماء أجنبية، واستثنى القرار المنشآت السياحية الأجنبية ذات المستوى والتصنيف الدوليين، والخاضعة لأنظمة الوزارة والمرتبطة بها بموجب العقود المبرمة معها.

ومع كلِّ هذا الحرص لوحظ أن ثمة انحدارًا في المستوى اللغوي في مضمار تعليم اللغة العربية وتعلمها، إنْ في التعليم العام أو في التعليم الجامعي لدى طلبة الجامعات والمعاهد وفي مختلف الاختصاصات، فصدر المرسوم الجمهوري ذو الرقم /٧٥٩/ بتاريخ ١٩٨٣/٦/١٠م ينص على تدريس اللغة العربية في المرحلة الجامعية الأولى في جميع سنوات الدراسة، في الكليات والمعاهد العليا في سورية، فيما عدا قسمي اللغة العربية والسنوات الأخيرة في كلية الطب البشري. ويدرّس هذا المقرر على مدار السنة في النظامين الدراسيين الفصلي والسنوي، وأُلِّفت الكتب الخاصة بتعليم اللغة العربية لغير المختصين، ونُفِّذت التجربة منذ ثمانينيات القرن الماضي.

ولم تقتصر إجراءات النهوض بالمستوى اللغوي على الطلبة فقط، وإنما امتدت إلى أعضاء الهيئة التدريسية، إذ أوصت اللجنة الثقافية في رئاسة مجلس الوزراء بضرورة العناية باللغة العربية في جميع الكليات واختيار المعيدين وأعضاء الهيئة التدريسية من الذين يُحسنون اللغة العربية في التدريس.

بيد أن هذه الإجراءات كافة لم تحقِّق الأهداف المرجوة،فما يزال الوضع اللغوي يعاني القصور في مختلف مواقعه، إنْ في العملية التعليمية التعلمية في مدارس التعليم العام ما قبل الجامعي، وإنْ في التدريس الجامعي، وإنْ في البيئة الخارجية إعلامًا وإعلانات ومحافل ومنتديات وحوارًا وتراسلاً..إلخ.

ولهذه الأسباب مجتمعة صدر القرار الجمهوري ذو الرقم /٤/ بتاريخ ٢٠٠٧/١/٢٦م بتكوين لجنة للتمكين للغة العربية والمحافظة عليها والاهتمام بإتقانها والارتقاء بها، وحدّد القرار الجمهوري مهمة اللجنة بوضع خطة عمل وطنية للتمكين للغة العربية والحفاظ عليها والاهتمام بإتقانها والارتقاء بها، ومتابعة تنفيذها.

وقامت اللجنة المكوَّنة والتي كان لي شرف رئاستها، بوضع خطة العمل الوطنية للتمكين في الأشهر الثلاثة الأولى من تاريخ تكوينها، وما تزال تتابع إنفاذها مع الجهات المعنية، وقد اشتملت الخطة على مسوّغات وضعها فأبانت أهمية اللغة عامة، والأهمية القومية للغة الأم، وحرص الجمهورية العربية السورية على سلامة اللغة الأم، ثم وقفت الخطة على الواقع اللغوي والعوامل المؤثرة فيه في العملية التعليمية التعلُّمية، وفي خارج العملية التعليمية التعلُّمية في البيئة الخارجية، كما وقفت على سبُل المواجهة، وأبانت ما الذي ينبغي للجهات المعنية القيام به «وزارة التربية، وزارة التعليم العالي، وزارة الإعلام، وزارة

الثقافة، وزارتا الاقتصاد والسياحة، وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، وزارة الأوقاف، اتحاد الكتَّاب العرب، مجمع اللغة العربية، الجمعية العلمية السورية للمعلوماتية)) وثمة إجراءات عاجلة لابدّ من تنفيذها بسرعة ذكرتها الخطة، وتقوم الجهات المعنية بتنفيذها، وتتابع اللجنة **عملية التنفيذ** محاولة تذليل العقبات المعترضة، وتجتمع اللجنة شهريًا وتقدم تقارير المتابعة إلى السيدة الدكتورة نجاح العطار نائب السيد رئيس الجمهورية للشؤون الثقافية.

ولما كان للمعلمين دورهم الفعَّال في الارتقاء باللغة وإكساب الناشئة مهاراتها، كان حريًّا بنا أن نقف على الأدوار المنوطة بوزارتي التربية والتعليم العالي، والتي عليهما **تنفيذها**، لأن للمعلمين دورًا أساسيًّا في عملية التنفيذ.

وزارة التربية:

أ- إجراء دورات تدريبية لمربيات الأطفال على استعمال العربية المبسطة في رياض الأطفال، والسعي التدريجي لأن تكون الرياض جزءًا من السلم التعليمي، وتوفير مستلزمات هذا المسعى من برامج وأنشطة وكرّاسات وأدلة...إلخ.

ب- إجراء دورات تدريبية للمعلمين كافة لتدريبهم على استعمال أساسيات لغتهم استعمالاً سليمًا، وتوظيف دورات التدريب المستمر في جانب منها لهذا المسعى.

ج- التزام جميع المعلمين وفي مراحل التعليم كافة باستعمال اللغة العربية في العملية التعليمية التعلمية، وألا يخضعوا للترقية في وظائفهم إلا إذا أثبتوا إتقانهم أساسيات اللغة.

ء- تنويع طرائق التدريس والمرونة في استعمالها بحسب الأجواء، بما يفسح المجال فيها لاستثارة المهارات العقلية العليا من فهم وتطبيق وتركيب وتحليل ونقد وتقويم...إلخ.

هـ- تدريب معلمي اللغة على أساليب تعليم اللغة العربية وطرائق تدريسها، والعناية بالتعلم الذاتي والمطالعة الحرة.

و- تشجيع المتعلمين كافة على استعمال العربية السليمة في مناشطهم اللغوية، والتشدد في عدم قبول إجاباتهم بالعامية.

ز- تخصيص جوائز للناشئة المتميزين في استعمال لغتهم الأم في مناشطهم اللغوية.

ح- إعادة النظر في مضمون المناهج ولغتها لتكون لغة للحياة النابضة الزاخرة.

ط- التركيز على النحو الوظيفي وعلى التعبير الوظيفي في المناهج اللغوية.

ي- التركيز على القوالب والبنى اللغوية في عملية تعليم اللغة في المراحل الأولى قبل الدخول في المصطلحات النحوية، وتجنب استعمال المصطلحات النحوية في المراحل المبكرة من التعليم.

ك- الإكثار من حفظ النصوص من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والأشعار والخطب البليغة في مراحل التعليم كافة وخاصة المراحل الأولى، وعلى قدر حفظ النصوص في المراحل الأولى يستقيم اللسان، يتجلَّى ذلك في صحة القلم واللسان.

ل- ضبط الكتب المؤلَّفة بالشكل في جميع الكتب في الحلقة الأولى من مرحلة التعليم الأساسي، وضبط ما يُخشى منه اللبس في المراحل التالية.

م- التدريب المستمر على الكشف في المعاجم.

ن- إنتاج كتب إلكترونية مبسطة بالعربية.

س- تصميم دروس العربية بالحاسوب وعلى الشابكة «الإنترنت».

ع-تطوير أساليب الامتحانات في جميع المراحل التعليمية، وعدم الاقتصار في التقويم على الامتحانات الكتابية، مع ضرورة بناء أدوات موضوعية لتقويم الأداء اللغوي، على أن تتضمن في بعض جوانبها الضبط بالشكل.

ف- إجراء بحوث علمية لمعالجة المشكلات اللغوية في العملية التعليمية التعلمية.

ص- العناية بالمكتبات المدرسية وتزويدها بدوائر المعارف والمعاجم وأمهات الكتب والكتب الإلكترونية والسلاسل المتنوعة، على أن تكون اللغة المستعملة فيها سليمة لغويًا، وعلى أن تُكلَّف أُطُرٌ متخصصة بالمكتبات العنايةَ بها.

ق- إغناء البيئة التعليمية التعلمية بمصادر التعليم المختلفة من كتب وصحف ومجلات ووثائق وصور ومجسمات وتسجيلات ورسوم وأشكال وشرائح وخطوط بيانية وحواسيب...إلخ.

ر- تفعيل المناشط اللغوية اللاّصَفِّية من صحافة مدرسية ومجلات وإذاعة مدرسية وكتابة إعلانات ولافتات، وإجراء مناظرات ومسابقات لاختيار الأداءات المتميزة وتخصيص جوائز لها.

ش- تفعيل المسرح المدرسي والإكثار من عرض المسرحيات الناطقة بالعربية الفصيحة المبسطة وإشراك الناشئة في تمثيل أدوارها.

ت- زيادة الاهتمام بذوي الحاجات الخاصة، وتوفير البرامج اللغوية والوسائل التعليمية الملائمة لهم تحقيقًا لدمجهم في المجتمع بصورة فعَّالة.

ث- الإشراف الفعَّال على المدارس الخاصة والارتقاء بواقع اللغة العربية فيها.

خ- التركيز على وضع مناهج خاصة لتعليم المغتربين وأبنائهم وغير الناطقين باللغة العربية اللغةَ العربية بغية إكسابهم مهاراتها.

ذ- التركيز على اللغة العربية السليمة والشائقة في البرامج التعليمية التلفزية.

ض- التنسيق مع وزارة الإعلام لإنتاج برنامج تلفزي متقن لتعليم العربية لأبنائها وللمغتربين ولغير الناطقين بها في ضوء الاتجاهات التربوية المعاصرة.

وزارة التعليم العالي:

أ- اختيار الطلبة الراغبين في الانتساب إلى الكليات الجامعية كافة على أساس إتقان أساسيات اللغة العربية.

ب- التزام جميع أعضاء الهيئة التدريسية في الجامعات والمعاهد استعمالَ اللغة العربية في العملية التعليمية التعلمية.

ج- إعادة النظر في مناهج تدريس اللغة العربية في كلية الآداب لتكون وظيفية.

ء- إعادة النظر في مناهج تعليم اللغة العربية لغير المختصين في ضوء اختصاص الطالب في كليته استثارة للدافعية، وتحقيقًا للمنحى الوظيفي.

هـ- إعادة النظر في برامج إعداد معلمي اللغة اختيارًا وتأهيلاً وتدريبًا.

و- تعميم تدريس اللغة العربية مطلبًا جامعيًا في كل الكليات الجامعية وفي الجامعات الرسمية والخاصة.

ز- وضع خريطة بحثية بالتنسيق مع وزارة التربية لمشكلات تعليم اللغة العربية وتعلمها بغية معالجة هذه المشكلات بالأساليب العلمية.

ح- الأخذ بالحسبان أن يكون من بين شروط ترقية أعضاء الهيئة التدريسية إتقانهم أساسيات اللغة.

ط- اعتماد المصطلحات التي أقرها مجمع اللغة العربية بدمشق في التدريس وفي الترجمة.

ي- تفعيل حلقات البحث لتؤدي الأغراض المرسومة لها من حيث تعويد الطالبِ البحثَ والتلخيصَ والعرض والمناقشة باللغة العربية السليمة في كليات الآداب والعلوم الإنسانية.

ك- التركيز على اللسانيات التطبيقية في كليات الآداب والعلوم الإنسانية وتوظيفها في خدمة اللغة العربية الفصيحة.

ل- إعادة الامتحانات الشفهية إلى أساليب تقويم الدارسين، وعدم الاكتفاء بالامتحانات التحريرية في الصفوف الأخيرة من الدراسة الجامعية.

م- الإكثار من ضروب النشاط اللغوي بالعربية الفصيحة في المناشط اللاّصفِّية في الإذاعة والصحافة الجامعية والمجلات والمسرحيات والمناظرات والمساجلات...إلخ.

ن- تخصيص جوائز للمتفوقين من الطلاب في أدائهم اللغوي وفي جميع المجالات اللغوية.

س- تطوير قسم الصحافة في جامعة دمشق ليغدو كلية للإعلام بأقسامها المختلفة من صحافة وإذاعة مسموعة ومرئية غايتها إعداد الأطر الإعلامية.

ع- تفعيل الترجمة الآلية وإعداد الأطر المتخصصة في ميدانها.

الإجراءات العاجلة:

أما الإجراءات العاجلة التي على وزارة التربية القيام بها فتتمثل في:

أ- عقد دورات تدريبية لجميع المعلمين لتدريبهم على استعمال أساسيات اللغة استعمالاً سليمًا، وألا تقتصر الدورات على معلمي اللغة العربية وحدهم، انطلاقًا من أن تعليم اللغة مسؤولية جماعية، وأن استعمال اللغة السليمة من معلمي جميع المواد يُسهم أيما إسهام في تحسين الواقع اللغوي للمتعلمين.

ب- إجراء دورات تدريبية لمربيات رياض الأطفال لتدريبهم على استعمال اللغة المبسطة في التواصل مع الأطفال.

ج- ضبط الكتب المؤلَّفة بالشكل في جميع المواد الدراسية، وخاصة في الحلقة الأولى من مرحلة التعليم الأساسي، والاستمرار في عملية الضبط في المراحل التالية، على أن يُضبط ما يُخشى منه اللبس بوجهٍ خاص.

د- تفعيل المكتبات المدرسية في المراحل كافة، والعمل على تعدد مصادر المعرفة في البيئة التعليمية التعلمية.

هـ- الإشراف الفعَّال على المدارس الخاصة والارتقاء بواقع تدريس اللغة العربية فيها.

و- التركيز على استعمال اللغة العربية السليمة والشائقة في البرامج التعليمية التلفزية وتلك الموجَّهة إلى الأطفال.

ز- الإكثار من حفظ النصوص من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر القديم والخطب البلاغية.

ح- تطوير أساليب الامتحانات، وتخصيص حيّز من الدرجات للامتحانات الشفوية.

ط- إجراء بحوث علمية لدراسة مشكلات تعليم اللغة العربية وتعلمها في مراحل التعليم العام.

ي- التزام المعلمين باستعمال العربية الفصيحة في دروسهم كافة، وألا يقبلوا من المتعلمين إلا التكلم بالفصيحة، وأن يعملوا على إسباغ ثوب الفصيحة على كلامهم بالعامية.

ك- إعادة النظر في محتويات المناهج لتغدو وظيفية تُستعمل فيها لغة الحياة النابضة على أن يُجْمع فيها بين الأصالة والمعاصرة.

وأما الإجراءات العاجلة التي على وزارة التعليم العالي القيام بها فهي:

أ- جعل مقرر اللغة العربية متطلبًا جامعيًا في الجامعات الرسمية والخاصة وفي مختلف التخصصات.

ب- تخصيص حيّز من أساليب تقويم الدارسين للامتحانات الشفوية وعدم الاكتفاء بالامتحانات التحريرية لقياس الأداء اللغوي.

ج- التزام أعضاء الهيئات التدريسية في الجامعات والمعاهد باستعمال العربية الفصيحة في دروسهم كافة في منأى عن استعمال العامية، وتدريب الطلاب على استعمال العربية في أسئلتهم وأجوبتهم.

د- تطوير المناهج تطويرًا مستمرًا مواكبة لروح العصر، والحرص على استعمال اللغة العربية السليمة فيها.

هـ- توحيد المصطلحات المستعملة في مؤسسات التعليم العالي بالتنسيق مع مجمع اللغة العربية.

و- قيام مجمع اللغة العربية بدمشق بإنجاز وضع مصطلحات الحياة العامة، ومتابعة تصحيح الأغلاط المتأصلة في لغة الصحافة والإعلام والإعلانات، ومتابعة تحقيق كتب التراث.

٦- خطاب القَسَم والتمكين للغة العربية

عندما أدى السيّد الرئيس بشار الأسد القسم الدستوري أمام مجلس الشعب لولاية دستورية جديدة في السابع عشر من شهر تموز لعام ٢٠٠٧م ألقى خطابًا شاملاً ومهمًا بهذه المناسبة، وقد أشار في جانب من خطابه إلى إيلاء اللغة العربية المرتبطة بالتاريخ والثقافة كل الاهتمام والرعاية، كي تعيش في مناهجنا وإعلامنا وتعليمنا كائنًا حيًا ينمو ويتطور ويزدهر، وتكون في المكانة التي تستحقها جوهرًا لانتمائنا القومي، ولكي تكون قادرة على الاندماج في سياق التطور العلمي والمعرفي في عصر العولمة والمعلومات لتصبح أداة من أدوات التحديث، ودرعًا متينة في مواجهة محاولات التغريب والتشويش التي تتعرض لها ثقافتنا.

ويقول السيّد الرئيس بهذا الصدد: «يجب إيلاء اللغة العربية، وهذا الموضوع هام جدًا، اللغة العربية التي ترتبط بتاريخنا وثقافتنا وهويتنا، كلَّ اهتمامنا ورعايتنا. بدأت بهذا الموضوع ووضعته في خطاب القسم لأن هناك تراجعًا بالنسبة للغة العربية المرتبطة بالهوية العربية.

ويجب إيلاء اللغة العربية التي ترتبط بتاريخنا وثقافتنا وهويتنا كل اهتمامنا ورعايتنا كي تعيش معنا في مناهجنا وإعلامنا وتعليمنا، كائنًا حيًّا ينمو ويتطور

ويزدهر، ويكون في المكانة التي يستحقها جوهرًا لانتمائنا القومي، ولكي تكون قادرة على الاندماج في سياق التطور العلمي والمعرفي في عصر العولمة والمعلومات، ولتصبح أداة من أدوات التحديث ودرعًا متينة في مواجهة محاولات التغريب والتشويش التي تتعرض لها ثقافتنا.

لقد أعطينا في سورية اللغة العربية كل الاهتمام، وتبوأت موقعًا رفيعًا في حياتنا الثقافية منذ وقت مبكر، ومطلوب منا اليوم استكمال جهودنا للنهوض بها ولاسيما في هذه المرحلة التي يتعرض فيها وجودنا القومي لمحاولات طمس هويته ومكانته، والذي يشكّل التمسك باللغة العربية عنوانًا للتمسك بهذا الوجود ذاته.

ويجب أن نتذكر أن دعمنا لتعلم اللغات الأجنبية للوفاء بمتطلبات التعلم والتواصل الحضاري مع الآخرين ليس بديلاً عن اللغة العربية، بل مُحَفِّزٌ إضافي لتمكينها والارتقاء بها».

ويتابع السيّد الرئيس قائلاً: «أنا مهتم جدًا بتطوير نفسي في اللغات الأجنبية، وأتحدث بعض اللغات بطلاقة، ولا يوجد لديّ مشكلة، ومتحمس لهذا الشيء، ولكنني في الوقت نفسه حريص على اللغة العربية. وأول سؤال أسأله بعد كل خطاب: ما عدد الأخطاء اللغوية التي وقعت فيها قبل أن أسأل عن مضمون الخطاب، علينا أن نركِّز بشكل مستمر على هذا الموضوع. في كل خطاب ننسى الكثير من الأفكار، ولكن لا أحزن، ولكن إذا كانت هناك أخطاء لغوية، فمع كل خطأ أشعر بالخجل».

ويشدِّد السيّد الرئيس على الخطر الكبير الذي يحدث إذا ضعُفت اللغة العربية، فيقول: «عندما تضعف اللغة العربية، من السهل أن يضعف أي

ارتباط آخر لنا سواء بالنسبة للوطن، بالنسبة للقومية، أو بالنسبة للدين، فهذه الأمور ترتبط باللغة».

والواقع أن هذه الدعوة الكريمة من قائد الوطن للحرص على سلامة اللغة، والتمكين لها في مناهجنا وتعليمنا وإعلامنا وفي سائر مناحي حياتنا، إنما يعطي دفعًا قويًّا لتعزيز لغتنا القومية، لأن هذا الاهتمام ليس اهتمامًا عاديًّا وإنما هو اهتمام من قائد الأمة وحامي قيمها، وعلينا جميعًا أن نكون على مستوى هذا الاهتمام انتماءً وعملاً وأداءً.

من مسالك اللغة
في
التذكير والتأنيث

د. مازن المبارك(*)

لم تتبع اللغات مسلكًا واحدًا أو طريقة واحدة في التفريق بين الجنسين المذكّر والمؤنث، فقد كان منها ما اعتمد الأصل في الخلقة أساسًا للتفريق بينهما، فما كان في خَلقه ما يدل على تذكيره جعلوه مذكرًا، وما كان في خلقه ما يدل على تأنيثه جعلوه مؤنثًا. وينطبق هذا الحكم على الأحياء، وأما ما لا حياة فيه فلا صلة له بالجنس، كالجماد مثل الوادي والنجم والحجر فهو جنس ثالث أطلقوا عليه اسم (الحيادي) Neutre أي غير المنحاز إلى إحدى الجهتين أو أحد الجنسين، وهكذا أصبح في تلك اللغات جنس ثالث خارج عن التصنيف الجنسي الموصوف بالتذكير أو التأنيث.

وأما اللغة العربية فالأسماء والصفات فيها إما مذكرة أو مؤنثة، سواء أكانت حيّة أم جامدة، ولكن التذكير والتأنيث فيها على درجات أو أقسام. فمنها ما كان تذكيره أو تأنيثه حقيقيًا، وهو ما كان في خَلقه علامات أو أعضاء تذكير أو تأنيث، ومنها ما كان ذلك فيه مجازيًا، كأن يعامل الاسم معاملة المؤنث مثلاً وليس فيه علامة تأنيث كالشمس والأرض، ومنها ما كان تأنيثه لفظيًا ولو كان في خلقه مذكرًا كطلحة ومعاوية.

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

ولعل ذلك إنما كان انعكاسًا لواقع الحياة على اللغة، وفي الحياة جنسان ذكر وأنثى أو ما يقوم مقام كل منهما، قال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(١).

وفرّقت العربية في التعبير بين المذكر والمؤنث، فتركت المذكر على حاله وأصله، ووضعت للمؤنث علامات يعرف بها سُميت علامات التأنيث، كما فرّقت بينهما بأسماء الإشارة؛ فأشارت إلى المذكر بـ (هذا) وإلى المؤنث بـ (هذه) وكان الأصل أن يوضع لكلٍ من المذكر والمؤنث اسمًا خاصًا به كالغلام والجارية، قال ابن النحاس: «الأصل أن يوضع لكل مؤنث لفظ غير لفظ المذكر، كما قالوا عير(٢) وأتان(٣)، وجدي وعَناق(٤) وحَمَل ورِخْل(٥) وحِجْر(٦) لكنهم خافوا أن تكثر عليهم الألفاظ ويطول عليهم الأمر، فاختصروا ذلك بأن أتوا بعلامة فرقوا بها بين المذكر والمؤنث، تارة في الصفة كضارب وضاربة، وتارة في الاسم كامرىء وامرأة، ومرء ومرأة في الحقيقي، ثم إنهم تجاوزا ذلك إلى أن جمعوا في الفرق بين اللفظ والعلامة للتوكيد وحرصًا على البيان فقالوا كبش ونعجة، وجمل وناقة... ولعل ما اجتمع فيه التذكير والتأنيث من غير الأحياء يعود السبب فيه إلى أن اللغات اختلفت فيه، فجاء تذكيره في لغة قبيلة وجاء تأنيثه في لغة قبيلة أخرى، ثم اجتمعت اللغتان فاجتمع الحُكْمان، كما هو

(1) الذاريات / ٤٩.
(2) العيرْ: الحمار، وغلب على الوحشي.
(3) الأتان: الحمارة.
(4) العَناق: الأنثى من أولاد المعِز.
(5) الحَمل: الخروف الصغير أو الجَذَع، أي الحَدَث من أولاد الضأن. الرِّخْل: الأنثى من أولاد الضأن.
(6) الحِجرْ: الأنثى من الخيل.

الأمر مثلاً في كلمة (الحال) التي وردت مؤنثة إلاّ في لغة الحجاز فهي مذكرة، وكذلك لفظ (الطريق) فهو مذكر في نجد مؤنث في الحجاز[٧] وقد نقل السيوطي عن اليزيدي أن أهل الحجاز يقولون هي التمر وهي البُرّ وهي الشعير وهي الذهب وهي البُسْر[٨] وتميم تذكّر هذا كله[٩].

وإذا كان الأصل أن يكون لكل مُسمًّى اسم يميزه من غيره، وكان الأحياء جنسين هما مذكر ومؤنث، فلا بدّ أن يكون لكل منهما اسم كما رأينا، كالحصان والفرس والحمار والأتان، وهم لو لم يفعلوا ذلك في كل الأسماء من الجنسين فلا بدّ أن يلجؤوا إلى التعبير عمّا يفرّق بينهما بقولهم ذكر الوّز وأنثى الوّز وذكر الحمام وأنثى الحَمام... ولكن قصد الإيجاز عندهم جعلهم يستغنون عن كل ذلك بإيجاد علامة يضيفونها إلى الاسم المذكر فيصبح مؤنثًا، ولذلك كانت علامات التأنيث كالتاء في مُعلِّمة، والألف في كبرى وحمراء، ضربًا من ضروب الإيجاز.

وقد اهتم العلماء بمعرفة المذكر والمؤنث وعدّوا ذلك من باب الفصاحة، بل قدّم بعضهم معرفته على معرفة الإعراب، قال أبو حاتم السجستاني: «وأول الفصاحة معرفة التأنيث والتذكير في الأسماء والأفعال[١٠] والنعت قياسًا وحكاية»[١١] وقال: «ومعرفة التأنيث والتذكير ألزم من معرفة الإعراب وكلتاهما لازمة» . ثم عدّد بعض ما استثقلوا فيه الإعراب أو تركوه كالوقف، وختم كلامه

(7) المذكر والمؤنث للسجستاني: ١٤٧.

(8) البُسْر: هو التمر في مرحلة من مراحل نضجه وهي: طَلْع ثم خَلال ثم بَلَح ثم بُسْر ثم رُطَب ثم تمر.

(9) المزهر ٢/ ٢٧٧.

(10) يعني دخول التاء والنون على الأفعال في مثل قامت هند، والنساء يقمن.

(11) المذكر والمؤنث: ٢٣.

بقوله «وأما تأنيث المذكر وتذكير المؤنث فمن العجمة عند من يُعرب ومن لا يُعرب»[١٢].

كما ظهر اهتمام العلماء بالتذكير والتأنيث فيما صنّفوه من كتب «المذكر والمؤنث»؛ وكان ممن صنّف فيه من العلماء:

١- الفرّاء يحيى بن زياد أبو زكريا المتوفى سنة ٢٠٨ هـ وهو إمام العربية وشيخ الكوفة وصاحب «معاني القرآن» و«المقصور والممدود» و«المذكر والمؤنث»[١٣].

٢- والسجستاني سهل بن محمد أبو حاتم المتوفى سنة ٢٥٥ هـ وهو اللغوي الراوية والمقرىء النحوي، صاحب «الأضداد» و«الفَرْق» وفعلت وأفعلت «والمذكر والمؤنث[١٤]». وغيرها.

٣- والمبّرد محمد بن يزيد أبو العباس المتوفى سنة ٢٨٥ هـ الإمام النحوي صاحب «الكامل في اللغة والأدب» و«المقتضب» و«المذكر والمؤنث»[١٥] وغيرها.

٤- والأنباري محمد بن القاسم المتوفى سنة ٣٢٨ هـ اللغوي والنحوي الإخباري العالم بالأدب والغريب وصاحب «الأضداد» و«الزاهر» وغيرها، له كتاب «المذكر والمؤنث»[١٦].

٥- وأبو موسى الحامض سليمان بن محمد المتوفى سنة ٣٠٥ هـ النحوي

(12) المذكر والمؤنث: ٢٤.
(13) حققه د. رمضان عبد التواب ونشره في القاهرة سنة ١٩٧٥ م.
(14) حققه د. حاتم صالح الضامن ونشرته دار الفكر بدمشق سنة ١٩٩٧ ضمن مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث.
(15) حققه د. رمضان عبد التواب وصلاح الدين هادي ونشر في القاهرة ١٩٧٠ م.
(16) حققه طارق الجنابي ونشر في بيروت سنة ١٤٠٦ هـ و١٩٨٦ م.

الذي أخذ عن ثعلب، وخلط المذهبين الكوفيَّ والبصري وبقي كوفيَّ النزعة، له كتاب «المذكر والمؤنث»[١٧] .

٦- والتستري، سعيد بن إبراهيم المتوفى سنة ٣٦١ هـ، له كتاب «المذكر والمؤنث[١٨]».

٧- وابن جني، عثمان، أبو الفتح المتوفى سنة ٣٩٢ هـ الإمام اللغوي الصرفي النحوي، صاحب «الخصائص» و«سر الصناعة» و«المحتسب» و«المذكر والمؤنث»[١٩] وغيرها.

٨- وأحمد بن فارس المتوفى سنة ٣٩٥ هـ اللغوي أستاذ بديع الزمان الهمذاني وصاحب معجم المقاييس، والمجمل والصاحبي في فقه اللغة وغيرها، له «المذكر والمؤنث»[٢٠].

٩- وابن الأنباري أبو البركات محمد بن القاسم المتوفى سنة ٥٧٧ هـ صاحب كتابي الإنصاف وأسرار العربية. له «البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث[٢١]».

ومما لفت النظر في لغة العرب **أنها** ما تركت شيئًا إلا ذكّرته أو أنثته، سواء أكان حيًا أم جمادًا. وأنها حكمت على كثير من الألفاظ بجواز التذكير والتأنيث وعاملتها معاملة المذكر مرة، ومعاملة المؤنث مرة أخرى، وأن علماءها اختلفوا في بعض الألفاظ، وَذهب بعضهم إلى تذكيرها على حين أنّثها آخرون.

ولا شك أن هذه الظواهر وأمثالها جعلت العلماء يهتمون بالسّماع، بل

(17) حققه د. رمضان عبد التواب، ونشر في مصر سنة ١٩٦٧ م.
(18) حققه أحمد عبد المجيد هريدي ونشر في القاهرة سنة ١٤٠٣ هـ و١٩٨٣ م.
(19) حققه طارق نجم عبد الله ونشره في جُدَّة سنة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
(20) حققه د. رمضان عبد التواب ونشر في القاهرة سنة ١٩٦٩ م.
(21) حققه د. رمضان عبد التواب ونشره في القاهرة ١٩٩٦ م.

جعلت بعضهم يذهب إلى أن التذكير والتأنيث ليس له قياس مطرد ولا أصل منضبط. قال التستري: «ليس يجري أمر المذكر أو المؤنث على قياس مطرد ولا لهما باب يحصرهما كما يدّعي بعض الناس» ويقول إن ما ادّعوه من علامات التأنيث موجودة بعينها في المذكر مثل خنثى وجرحى وباقعة ونسَّابة، كما أن كثيرًا من الألفاظ المؤنثة عندهم خالية من علامات التأنيث مثل دعد وهند ورِجل وساق(٢٢).

وذلك ما جعل كثيرًا منهم يفرد للسّماع حيّزًا في كتابه عن المذكر والمؤنث كما فعل الأنباري(٢٣)، بل جعل أبا بكر محمد بن أبي بكر الرازي المتوفى سنة ٦٦٦هـ صاحب معجم «مختار الصحاح» يضع منظومة في الأسماء المؤنثة السماعية يورد فيها ستين اسمًا من الأسماء المؤنثة السماعية يقول في أولها:

أخي ذا الحجا والحِلم إن كنت طالبًا لما فيه تأنيثٌ من الاسم مُبهمُ
فخذ ما شرحنا واتخذها بضاعة فعِدَّتها ستّون وهي منظّم:
لسان وعين والذراع وإصبع وكف ونعل والعصا وجهنم

(22) المذكر والمؤنث: ٤٧ وما بعدها.

(23) بهذه المناسبة، لابن الحاجب المتوفى سنة ٦٤٦ هـ قصيدة في الأسماء المؤنثة من غير أن تكون فيها علامة تأنيث.

– وفي كتاب الشيخ محمد الخضر حسين (دراسات في العربية) فصل عنوانه: الإمتاع بما يتوقف تأنيثه على السماع.

– وفي كتاب الشيخ محمد الخضر حسين (دراسات في اللغة) وردت قصيدة ابن الحاجب.

– وفي مجلة (اللسان العربي) العدد ٢١ ص ٢٧ مقال إحسان جعفر عن قصيدة ابن الحاجب، وفيها بيتان زيادة على ما أورده الشيخ الخضر... [المجلة].

وهي في ثلاثة عشر بيتًا حققها ونشرها الأستاذ محمد وجيه التكريتي[٢٤].

وقد رأينا العرب يقدّمون المذكر على المؤنث في حياتهم الاجتماعية، وقدّموه في لغتهم فجعلوه الأصل، لذلك تركوه بلا علامة تدلّ عليه وجعلوا المؤنث فرعًا وجعلوا له علامة تدلّ عليه، وقدموه على المؤنث في باب التغليب، فخاطبوا النساء بضمير المذكر إذا كان بينهنّ رجل واحد. ومن الجدير بالذكر أن نورد بعض المواضع التي راعى العرب فيها التأنيث وآثروه على التذكير في اللغة:

من تلك المواضع إيثارهم للتأنيث إذا كان المعدود مذكرًا محذوفًا، على نحو ما جاء في قوله سبحانه وتعالى:﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾[٢٥] أي: وعشرة أيام، ولكن لما حذف المعدود المذكر عومل معاملة المؤنث، وكذلك في قول النبي ﷺ «من صام رمضان ثم أتبعه ستًّا من شوال فكأنما صام الدهر...» أي ستة أيام. قال النووي: «ستًا من شوال، صحيح ولو قال ستة بالهاء جاز أيضًا. قال أهل اللغة: يقال صمنا خمسًا وستًا وخمسة وستة، وإنما يلتزمون الهاء في المذكر إذا ذكروه بلفظه صريحًا فيقولون: صمنا ستة أيام، ولا يجوز ست أيام، فإذا حذفوا الأيام جاز الوجهان»[٢٦] ومع جواز الوجهين فإن إيثار التأنيث عند حذف المذكر في القرآن والحديث يدل على أنه هو الأفصح.

ومن مواضع إيثار التأنيث على التذكير باب التأريخ؛ وقد آثر العرب

(24) مجلة مجمع اللغة العربية الأردني (العدد / ٣٥، تموز –كانون الأول ١٩٨٨ م).
(25) البقرة:٢٣٤.
(26) شرح صحيح مسلم ٨ /٥٦.

التأنيث في التأريخ لأنهم اتبعوا التاريخ القمري، وأرّخوا بالليالي وهي مؤنثة لأن الشهور المعتمدة في حياتهم وتاريخهم هي الشهور القمرية. والشهر القمري أوله ليلة وآخره يوم، لذلك قالوا لِما وقع في أول الشهر حتى منتصفه مثلاً: كتبته لأول ليلة من شهر كذا. أو لمستهلّه أو لِغُرّته، وكتب لليلة خلت، أو لليلتين خلتا، أو لثلاث خلت أو خَلَون. وهكذا إلى تسع عشرة، ثم يقولون/ لعَشْرٍ بَقِيْنَ أو لِسِتٍّ بقين أو لآخر يوم منه أو لسلَخه أو انسلاخه. وهكذا قالوا لثلاث أو لخمس أو لست، إيثارًا للمؤنث الذي هو (ليلة) على (اليوم).

ومن مواضع إيثارهم للتأنيث أيضًا ما جاء في قاعدة من قواعد تذكير العدد وتأنيثه، وذلك أن الأصل في الأعداد المركبة أن نراعي المذكر في المعدود العاقل متقدمًا كان أو متأخرًا، فنقول: عندي خمسة عشر طالبًا وطالبة، وعندي خمسة عشر طالبة وطالبًا، وأما إذا كان المعدود غير عاقل فنراعي جنس السابق منهما فنقول: عندي خمسة عشر جملاً وناقة، وعندي خمس عشرة ناقة وجملاً، بشرط ألاّ يفصل بين العدد والتمييز فاصل، فإن فصل بينهما فاصل راعينا المؤنث فقلنا: عندي خمس عشرة ما بين جمل وناقة. وعندي خمس عشرة ما بين ناقة وجمل.

ولعل مما يلفت النظر شدة اهتمام العلماء من لغويين ونحويين، بموضوع المذكر والمؤنث وكثرة مؤلفاتهم المفردة له، واحتلاله حيّزًا كبيرًا في كتبهم التي لم يفردوه لها؛ لقد كثرت في أبواب المذكر والمؤنث القواعد والأحكام، وكثرت فيها أقسامه من حقيقي ومجازي ومعنوي ولفظي، وكثر الحديث عن علامات التأنيث في الأسماء والصفات، وكونها تدل على التأنيث في ألفاظ وتدلّ على غيره في غيرها، كالتاء التي تؤنث الاسم والصفة في مثل فتاة ومعلمة، وتدل

على المبالغة في مثل علاّمة وراوية، وقد تدل على غير ذلك كما سنرى. وكثرت ضوابط تأنيث العدد وتذكيره مفردًا ومركبًا.. وزاد الأمر اتساعًا حين تفنّن بعض العرب في التعبير فأعادوا الضمير المذكر على الاسم المؤنث لأن له مرادفًا لفظه مذكر والعكس، ألم يقل قائلهم: أتاه كتابي فاحتقرها ؟ وفُسّر ذلك بكون الكتاب هو الصحيفة أو الرسالة. ولقد ذهب بعض المفسّرين إلى ذلك نفسه في تفسير قوله تعالى: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾[٢٧] «إذ السماء بمعنى السقف وكل ما سَمَا فوقَك فهو سقف قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا﴾[٢٨]» ومع ذلك كله فقد كان للسّماع وحده شأن كبير في الحكم بالتذكير أو التأنيث، وكان اهتمام المعجمات وكتب اللغة والنحو شديدًا في إيراد ما سمع عن العرب مؤنثًا، وما سمع مذكرًا وما رَوَوْه بالوجهين دون أن يكون لذلك قياس أو ضابط.

لا شك أن كل ما سبق ذكره وأمثاله هو الذي دعا التستري المتوفى سنة ٣٦١هـ إلى أن يقول ليس للتأنيث والتذكير قياس مطرد ولا باب يحصرهما.

وهو الذي جعل بعض المحدثين من عرب ومستشرقين يَحَارُون في موضوع التذكير والتأنيث، بل جعل بعضهم يبالغ في التفسير أو يركب الشطط في التأويل والتخييل!

أما المستشرقون فكان منهم برجستراسر الذي رأى باب التذكير والتأنيث من أغمض أبواب النحو، وقال إن المستشرقين لم يوفّقوا إلى حل

(27) المزمل: ١٨.
(28) الأنبياء: ٣٢.

مشكلات هذا الباب مع كثرة ما بذلوا في سبيل ذلك من جهود[٢٩].

وكان منهم رايت RIGHT وفنسنك WENSINK وهما اللذان أعجب بهما د. صبحي الصالح وأشاد بآرائهما متابعًا في ذلك د. إبراهيم أنيس صاحب كتاب «أسرار اللغة».

يقول د. الصالح في كتابه «دراسات في فقه اللغة»[٣٠]:

«ومن أغرب الاختلاف وأعجبه بين هاتين اللهجتين العربيّتين الشَّماليَّتَين (يعني الحجازية والتميمية) ما يتعلق بتذكير الأسماء وتأنيثها» ويورد بعد ذلك أمثلة أوردها السيوطي ثم يقول «ونضيف إلى ذلك أن أعضاء جسم الإنسان كالعنق والعضد مؤنثة عند الحجازيين مذكرة عند التميميين، وكذلك الحال في أسماء الأماكن كالطريق والسوق والصراط والسبيل، ففي حين تُؤنِّثها الحجاز تُذكِّرها تميم. والواقع أن الاختلاف في تذكير هذه الأسماء وتأنيثها لا يمتّ إلى المنطق العقلي بصلة، وأن الخيال السامي الخصيب – كما يقول المستشرق رايت RIGHT قد خلع على بعض الأشياء الجامدة سمات الأشخاص الحيّة، فأنّث بعضها وذكّر البعض الآخر تبعًا لتصوّره كلاً منها. ونحن نستطيع بمثل هذا التعليل أن نفهم تقسيم المؤنث إلى حقيقي ومجازي، ففي المجازي تعبير عن شيء مبهم يتعذّر تفسيره، لكنه – وقد أشبه في أذهان الساميين ومعتقدات العرب بوجه خاص ما يكتنف المرأة من سحر وغموض – كان بالتأنيث أجدر منه بالتذكير[٣١] وعلينا – في هذا الموطن – أن نذكر

(29) التطور النحوي للغة العربية: ١١٢.

(30) ص: ٨١ وما بعدها.

(31) من أسرار اللغة للدكتور إبراهيم أنيس: ٩٤.

بشيء من الإعجاب رأي فنسنك WENSINK في كتابه (بعض مظاهر الجنس في اللغات السامية) فهو ينفي أن تكون علامات التأنيث كالتاء والألف الممدودة والمقصورة أمارات حقيقية على التأنيث، وينتهي إلى أنها ليست أكثر من علامات للمبالغة تفيد التكثير كعلاّمة وفهّامة في وصف المذكر، وقتلى وجرحى وشهداء وعلماء في وصف بعض الجموع. ولعلّنا لا نستبعد هذا الرأي كثيرًا إذا ما قارنّاه بما تسبغه العربية الفصحى من صيغ تفيد التأنيث، رغم فقدانها كل أمارة دالة عليه، كالمرأة الحامل والمرضع والعاقر والطالق والثاكل والعانس والكاعب...، والمبّرد «يرى بوضوح أن هذه الصفات الدالة على التأنيث من غير علاماته لا تخضع للمنطق» ويقف الدكتور الصالح عند تمييز المبرد بين ما نعت به المؤنث نعتًا خالصًا لمعنى الوصفية، وما نعت به على معنى الحدثية أو الفعلية ؛ بمعنى أنّ ما أفاد الفعلية لزَمتْه علامة التأنيث حتى يضارع فعله مثل طُلّقت المرأة فهي طالقة. ويستدل المبرد بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾(٣٢) ويعلّق الدكتور الصالح على قول المبرد — بقوله: «وفي تحشّمه – أي المبرد – هذا التعليل المنطقي لعلامة التأنيث في الآية إيحاء بصعوبة التعليل فيما سمع من الشواهد الأخرى، كأن أمرها أهون في نظره من أن يُتكلّف له دليل من المنطق » ثم يقول: «وينكشف لنا مرة أخرى أن علامات التأنيث ليست ذات بال حين نرى أن الأصل في الأسماء تجرّدها من هذه العلامات» ويورد أمثلة من أسماء جاءت في القرآن مذكرة ومؤنثة ليصل إلى القول: «والأمر أهون من هذا فما زاد القرآن في ذكره تلك الألفاظ المتأرجحة بين التذكير والتأنيث على أن أظهرنا على عدم استقرار

(32) الحج: ٢.

هذه الألفاظ لدى فصحاء العرب، ونزولُه بالأمرين جميعًا يحفظ لغير لهجة قريش اعتبارها، مؤكدًا في الوقت نفسه ضرورة التساهل في قضية لغوية لا تمت إلى المنطق العقلي بصلة»[٣٣].

وتتلخص آراء الدكتور الصالح فيما يأتي:

١- اختلاف اللهجتين الحجازية والتميمية في التذكير والتأنيث من أغرب الاختلاف وأعجبه.

٢-تذكير الأسماء عند قوم وتأنيثها عند آخرين كأعضاء جسم الإنسان العنق والعضد، وكأسماء الأماكن كالطريق والسوق والصراط والسبيل أمر لا يمتّ إلى المنطق العقلي بصلة.

٣- الخيال السامي الخصيب كما يقول رايت خلع على بعض الأشياء الجامدة سمات الأشخاص الحيّة، فأنَث بعضها وذكّر بعضها الآخر تبعًا لتصورّه لها. وما كان في معتقدات الساميين عامة والعرب خاصة مما يشبه ما يكتنف المرأة عندهم من سحر وغموض جعلوه مؤنثًا.

٤- يعجب الدكتور الصالح برأي فنسنك الذي يرى أن تاء التأنيث ليست للتأنيث حقيقة، بل هي كتاء علاّمة وفهّامة، تفيد المبالغة في وصف المذكر. ويرى أن ذلك ليس بعيدًا، بدليل أن العربية تؤنث ما ليس في صيغته أي دلالة على التأنيث كوصفها للمرأة بحامل ومرضع وعاقر وكاعب وناهد.

٥- تَكَلُّف المبّرد في التفريق بين مُرضِع ومُرضِعة في القرآن يوحي بصعوبة التعليل في الشواهد الأخرى.

(33) هنا ينتهي حديث الدكتور الصالح ونقله عن إبراهيم أنيس والمبرد، وهو في كتابه «دراسات في فقه اللغة» من ص ٨١ إلى ص ٨٩.

٦- علامات التأنيث ليست بذات بال لأن الأصل في الأسماء تجرّدها منها.

٧- تأرجح بعض الألفاظ في القرآن بين التذكير والتأنيث يدلّ على عدم استقرارها عند فصحاء العرب، واستعمال القرآن لها مذكرة تارة، ومؤنثة تارة أخرى، فيه ردّ اعتبار للّهجات غير القرشية، كما أن فيه تأكيدًا لضرورة التساهل في قضيّة لغوية لا تمتّ إلى المنطق العقلي بصلة.

ونقول تعليقًا على ما أورده الدكتور الصالح:

١ً- لا ندري لمَ كان اختلاف الحجازيين والتميميين في التذكير والتأنيث أغرب اختلاف وأعجبه ؟ وقد استغرقت وجوه الاختلاف بين لهجتيهما عشرات الصفحات من كتابه دراسات في فقه اللغة[٣٤] بدءًا من الاختلاف في الوجوه الإعرابية إلى الاختلاف في الفروق الصوتية من نبر للهمزة أو تخفيف لها، ومن إدغام أو فكّ للمثلين أو المتجاورين المتقاربين من الحروف، وإلى طريقة معالجة كل من اللهجتين للأفعال والأسماء والحروف والصيغ... وهي كلها فروق واضحة يقول الدكتور الصالح عن بعضها إنها فروق مدهشة تستحق الاهتمام!

وهكذا فليس الاختلاف بين الحجازيين والتميميين في التذكير والتأنيث وحده هو الغريب أو الأغرب والأعجب. ولعل ما سبق للدكتور الصالح أن ذكره مستأنسًا بأقوال الدكتور إبراهيم أنيس يوضح شيئًا من أسباب هذا الخلاف حين قال: «فمهما صقلت اللغة العربية ومهما وحّدت قبل الإسلام ومهما قويت وحدتها وتمّ صقلها بعد الإسلام فإننا لا نستطيع أن نتصورها إذ ذاك إلاّ مؤلفة من وحدات لغوية مستقلة منعزلة متمثلة في قبائلها الكثيرة

(34) من ٦٨ إلى ص ١٠٦.

المتعددة[٣٥] ويضيف الدكتور الصالح قوله: «إن أقصى ما يُغتفر لنا الاقتصار عليه من لهجات العربية الباقية مجموعتان رئيسيتان عظيمتان، إحداهما حجازية غربية أو كما تسمى أحيانًا (قرشية) والأخرى نجدية شرقية أو كما تدعى أحيانًا (تميمية)، فهذه القسمة الثنائية الباقية هي الحدّ الأدنى لتلك المجموعة الواسعة من الوحدات اللغوية المستقلة المنعزلة. وليستحيلن علينا بدون هذه القسمة أن نعلّل تعليلاً علميًا صحيحًا وجود.....» يذكر أمثلة من اختلاف اللهجات ثم يقول: «وأمثال ذلك أكثر مما نتصوّر، والخلاف حوله في أصل لهجتي قريش وتميم أوسع نطاقًا مما نقدّر أو نستشعر»[٣٦].

ثم إن ما ذكره من قيام وحدات لغوية مستقلة منعزل بعضها عن بعض قبل الإسلام قد يُفسِّر لنا بعض الظواهر اللغوية كأن تضع قبيلة اسمًا ما لمسمًّى معيّن، وتضع قبيلة أخرى اسمًا آخر للمسمى نفسه، وتصل إلينا أسماء المسمى منهما ومن غيرهما فنقول إنها مترادفات، إذ لا يعقل أن تضع قبيلة واحدة أكثر من اسم واحد للمسمى. وقد تكون إحدى القبائل ذكّرت اسمًا لمسمّى وأنّثته أخرى لاختلاف الاعتبار في نظرة كل منهما إليه، فالتي نظرت إلى اسمه مثلاً رأته مذكرًا فذكّرته، ونظرت الأخرى إلى معناه فرأته مؤنثًا فأنثته، ثم وصل إلينا تذكيره وتأنيثه وليسا هما من وضع قبيلة واحدة ! على أن هذا التعليل سواء أكان مصيبًا أم مخطئًا فليس لنا أن نجعل لتعليلنا أثرًا في اللغة التي تبقى على ما وصلت إلينا عليه.

٢- قوله إن تذكير أسماء عند قوم وتأنيثها عند آخرين لا يمتّ إلى المنطق العقلي بصلة.

(35) دراسات ص ٥٧ واللهجات: ٣١.
(36) دراسات صفحة ٥٩.

٣- وقوله إن خيال الساميّين الخصيب ومعتقدات العرب وما تراكم في نفوسهم حول غموض المرأة وسحرها جعلهم يذكّرون ويؤنثون بتأثير منه وتبعًا لتصورّهم إياه.

هما في الحق قولان عجيبان لأن قائلهما هو نفسه الذي يقول وفي كتابه نفسه، إن عدوى المنطق الأرسطي فاق أثرها في الدراسات اللغوية كل حدّ، «وعلينا أن نقصي جانبًا جميع المباحث التي لا تتعلق بفقه اللغة تعلقًا وثيقًا؛ فالمنطق الصوري وتعليلاته وأقيسته وما وراء الطبيعة والغيبيّات وفرض القواعد والمعايير كما تفرض أحكام القانون، كل هذه ليست من المنهج اللغوي في شيء»[٣٧]!! ويقول: «يجب إقصاء التفكير عن منهج فقه اللغة لئلا تجيء الأحكام فيه مطبوعة بالطابع الغيبي أو ما وراء الطبيعة أو المنطق الصوري»[٣٨]!! فهل التعليل بالخيال السامي الخصيب وبنظرة العرب إلى المرأة وما فيها من غموض وسحر يتفق وهذا الكلام ؟!.

ثم إننا لو أردنا أن نتتبَّع آراء هؤلاء من مستشرقين وعرب لنطبقها على واقع اللغة فهل نصل إلى ما وصلوا إليه من أن ما يشبه المرأة بسحره أوغموضه أنّثوه وما خالف ذلك ذكَّروه؟!

أرى أن نظريتهم لو صحت لكان القمر أولى الموجودات بالتأنيث ولكانت الشمس أولاها بالتذكير. إنهما آيتان بارزتان لكل إنسان مرافقتان لكل عربي في صحرائه؛ أما القمر فهو الذي يأسره بسحره وهالات ضوئه وينير له مسراه ويؤنسه في ليله، فهو أشبه بالمرأة من الشمس التي تجلدهم بسياط أشعتها وتلهب الرمال من تحت أرجلهم فكيف سوّغ لهم خيالهم الخصيب وما

(37) دراسات: ١٨.
(38) الدراسات: ٥-٦.

في معتقداتهم عن سحر المرأة وغموضها أن يكون القمر مذكرًا والشمس مؤنثة !!؟

٤- لا ندري حقًا كيف ذهب الدكتور الصالح إلى ما ذهب إليه المستشرق فنسنك، الذي لا يرى في علامات التأنيث أمارات حقيقية على التأنيث، ولكنه يراها علامات على المبالغة في وصف المذكّر!! مع أنه لم يذكر إذا كان ذلك كذلك فكيف تعبّر العربية عن المؤنث وتميزه من المذكر؟! بل إن الدكتور الصالح يستأنس بهذا الرأي لأنه يرى العربية تسبغ التأنيث على صفات مؤنثة كثيرة لا أمارة في لفظها على التأنيث مثل المرأة الحامل والمرضع والعاقر والكاعب والناهد.[٣٩] مما يجعلنا نقف لنسأل الدكتور الصالح متى يحتاج اللفظ إلى علامة تأنيث ! أليس حين يخشى اللبس بين المذكر والمؤنث ؟ أي في الوصف الذي يصحّ أن يكون لكلٍ منهما على السواء كمعلم ومعلّمة، فإذا جاءت صفات لا تكون أصلاً إلاَّ للمؤنث في معناها فما الحاجة إلى تأنيث لفظها؟ بل ألا يكون تأنيث لفظ لا يدل إلا على مؤنث لغوًا أو فضولاً؟ إنه مطلب لا يصدر إلاّ عمَن يريد أن يطبق القانون المنطقي العقليّ على اللغة، بلا نظر إلى منطق اللغة التي لا تزاد علامة إلى لفظ من ألفاظها إلاّ عندما تدعو حاجة الفهم والإفهام إليها. وكذلك هي العربية قال أبو حيان: الأصل في الأسماء المختصة بالمؤنث ألاّ تدخلها علامة تأنيث، كأتان وقلوص وعَناق، وقال أبو بكر الأنباري إن العرب لا يدخلون الهاء على النعوت التي تنفرد بها

(39) الدراسات: ٨٣.

الأنثى لأنهم لا يحتاجون إلى علامة يفرّقون بها بين الذكر والأنثى(٤٠).

٥- يذكر المبرد أن في العربية كلمات نُعت بها المذكر وفيها علامة تأنيث، كعلاّمة ونسّابة، وأن علامة التأنيث تلحق أيضًا الوصف الخاص بالمؤنث إذا أريد به معنى الفعليّة ليكون الوصف مضارعًا لفعله، مثل أشدنت الظبية فهي مشدنة. واستشهد بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾(٤١).

ويرى الدكتور الصالح أن المبرد يشير بهذا بوضوح إلى أن الصفات الدالّة على التأنيث من غير علاماته لا تخضع للمنطق! ويرى أن المبرد يتجشّم تعليلاً منطقيًا لعلامة التأنيث في «مرضعة» مما يوحي بصعوبة التعليل في الشواهد الأخرى وكأنها أهون من يتعلَّل فيها بمنطق(٤٢)!!

وههنا أمور يحسن أن نتوقف عندها ؛ فالقول إن التاء في علاّمة وأمثالها للدلالة على التأنيث لا يسلّم له لأنهم أدخلوها للدلالة على تأكيد المبالغة، ومعروف أن التاء كما تكون للدلالة على التأنيث كما في معلّمة وفتاة، تكون لتمييز الواحد من جنسه مثل نخل ونخلة ونمل ونملة، وتكون لتمييز الجنس من الواحد مثل كمْء، وكمأة، وتكون للمبالغة مثل راوية أو لتأكيد المبالغة مثل علاّمة ونسّابة، وقد تكون للدلالة على النسب مثل أزارقة ومهالبة، وتكون عوضًا عن فاء الكلمة المحذوفة في مثل ثقة وعدة، وقد قيل: لم سميّت بتاء

(40) المذكر والمؤنث: ١ / ١٦٣.
(41) الحج /٢ .
(42) الدراسات: ٨٤.

التأنيث وقد تجيء لغير التأنيث؟ فكان الجواب أنها تسمية على الغالب في الأكثر من الأشياء))[٤٣].

ومعلوم أن الفعل لا يؤنث مع علاّمة ونسّابة وأمثالهما إذا وُصِف بهما المذكّركما يجوز تأنيث الفعل مع المؤنث المجازي، وأن التاء دخلت عليها لتأكيد المبالغة.

وأما وصف المرأة بمرضع في موضع وبمرضعة في موضع آخر، فليس فيه أو في تعليله تكلّف أو تحشم لتعليل منطقي، ولكنه منطق اللغة الذكيّة التي تضع لكل حالة مهما تدقّ صيغة تعبّر عنها التعبير الذي يميّزها من غيرها. وما يراه الدكتور الصالح تكلّفًا من المبّرد وتعليلاً يصعب تعميمه في الشواهد الأخرى هو ما عبّر عنه ابن مالك (في الألفية) بقوله:

وما من الصفات بالأنثى يخصّ عن تاءٍ استغنى لأن اللفظ نصّ
وحيث معنى الفعل تنوي التاءَ زِدْ كذي غدت مرضعةً طفلاً وُلِد

وتفسير ذلك أن الصفات الخاصة بالأنثى لا تلحقها التاء استغناءً بدلالة المعنى عن دلالة اللفظ، فوصفك للمرأة بأنها (مرضع) يعني أنها من الجنس الذي يتصف بهذه الصفة دون غيره من الذكور، وأما حين تريد الدلالة على أن المرأة تقوم الآن بفعل الإرضاع فلا بدّ من أن تزيد التاء تعبيرًا عن تلبّسها بالفعل، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾[٤٤] فالذاهلة ليست مجرد امرأة من جنس النساء المرضعات، ولكنها أم ترضع في ذلك الوقت الذي يصوِّر فيه ذهولها!

(43) المذكر والمؤنث للسجستاني: ٤٠.
(44) الحج /٢.

٦- يقول الدكتور الصالح: «وينكشف لنا أن علامات التأنيث ليست ذات بال حين نرى أن الأصل في الأسماء تجرّدها من هذه العلامات»[٤٥] والحق أننا إذا تركنا حكمه هكذا عامًا مطلقًا من كل قيد كان عكسه هو الصحيح ! إذ كيف يمكن في اللغة الاستغناء عن شيء له دلالة معيّنة؟ ودلالة تلك العلامات ظاهرة في تسميتها. وإذا كانت ظاهرة التصنيف الجنسي في بعض اللغات لا تشمل إلا الأحياء، فإنها في اللغة العربية لا يفلت منها اسم ولا صفة في شيء سواء أكان حيًا أم جمادًا. وعلامات التأنيث جزء مهم من موضوع هو من أكبر الموضوعات التي اهتم بها العلماء، وأعطوها حيّزًا كبيرًا من كتبهم أو خصّوها بأن أفردوها بالتأليف ؛ ولو أن الدكتور الصالح قيّد حكمه وقال إن علامات التأنيث ليست بذات بال في الأسماء التي يجوز فيها التذكير والتأنيث لكان مصيبًا، وأما ما ثبت له عند العرب الوصف بأحد الجنسين فإن الجهل به عجمة دونها الجهل بالإعراب كما قال السجستاني، ومعرفة الجنس من علامات الفصاحة كما رأينا[٤٦]، بل إن علماء اللغة جعلوا من أقسام المؤنث قسمًا مستغنيًا عن علامة التأنيث لقيام معنى التأنيث فيه، وما قام معنى التأنيث فيه لا علامة للتأنيث في لفظه[٤٧] وما لا بال له عند صاحب «الدراسات» يقول عنه أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري المتوفى سنة ٣٢٨ هـ «إن من تمام معرفة النحو والإعراب معرفة المذكر والمؤنث، لأن من ذكّر مؤنثًا أو

(45) دراسات / ٨٦.
(46) انظر ما سبق في ص ٣ و٤.
(47) انظر: المذكر والمؤنث لمحمد بن القاسم أبي بكر الأنباري ١/١١٠.

أنّث مذكّرًا كان العيب لازمًا له كلزومه مَن نصب مرفوعًا أو خفض منصوبًا أو نصب مخفوضًا»[٤٨].

٧- أما تأرجح بعض الألفاظ في القرآن بين التذكير والتأنيث، فدليل عند الباحث على أنها لم تستقر لدى فصحاء العرب! فهل ذكّر القرآن لفظة أنثها العرب أو أنث لفظًا ذكّره العرب؟! إن القرآن حاكى لغة العرب فذكّر ما ذكّروه وأنث ما أنّثوه وجاء بالتذكير والتأنيث لما استعملوه في لغتهم مذكرًا ومؤنثًا، وهذه المحاكاة هي من أوكد شروط التحدّي وألزمها، إذ لو خالف القرآن في شيء من أسلوبه شيئًا من أسلوبهم لسقط تحدّيه لهم ولنجَوا من ثغرة الفرق بين الأسلوبين. فالسماء التي أنّثها العرب كما أنثها القرآن في قوله تعالى: ﴿إذا السماء انشقّت﴾[٤٩] ذكّرها القرآن بإعادة ضمير المذكر عليها في قوله تعالى: ﴿السماء منفطرٌ به﴾[٥٠] كما ذكرها بعضهم، روى الجوهري أن شاعرهم قال:

إذا رفع السماءُ إليه قَومًا لحقنا بالسماء مع السحاب

وأما أن نستنبط من تذكير القرآن وتأنيثه لبعض الألفاظ، إعلانَ القرآن بذلك هَوانَ التذكير والتأنيث، والحضَّ على التسامح في هذه القضية اللغوية، فأمر في غير موضعه واستنباط غير حكيم، بل لو استنبطنا من هذه الظاهرة القرآنية في تذكير ما ذكّره العرب وتأنيث ما أنثوه، وتذكير وتأنيث ما أجازوا فيه الوجهين ضرورةَ تقليد القرآن في محاكاة أساليب العرب المختلفة لكان ذلك

(48) المذكر والمؤنث ١/١٠٧.
(49) الانشقاق ١.
(50) المزمل ١٨.

أولى وأحكم.

إن للغة واقعها لدى العرب ولها منطقها اللغوي، وإن المنهج الوصفي يقضي بأن نأخذ اللغة كما نقلت إلينا أي على ما هي عليه، وأمّا تعليل ظواهرها فقد نصيب به وقد نخطىء، وسواء أكنا مصيبين أم مخطئين فإن اللغة وظواهرها تبقى على ما هي عليه، لا يثنينا عن تقليدها منطق ولا يردّنا عن محاكاتها بحث أو درس أو استنباط، وما ثبت لدينا سماعُه عن العرب وصحّ نقله عنهم، فهو لغتنا سواء أرضي أرسطو أم سخط، فكيف إذا أدّاها إلينا، القرآن بنصّه الثابت، ونصّ علماؤها على أخذها سماعًا، نجوّز لأنفسنا أن نحكِّم المنطق العقلي ونتخيّل التعليلات، لنصل إلى أنها قضية لغوية ليست ذات بال !!؟ ثم كيف يجوز أن يصنع ذلك من قال إن المنطق الصوري وتعليلاته وأقيسته وما وراء الطبيعة من الغيبيّات وفرض القواعد والمعايير كما تفرض أحكام القانون كل هذه ليست من المنهج اللغوي في شيء[٥١]؟!!

وقد رأيت أن ألحق في آخر هذا البحث أمثلة من ألفاظ قرأت لبعض الزملاء والكتّاب أحكامًا في تذكيرها أو تأنيثها مخالفة لما جاء في كتب اللغة، فمنهم من منع ما يجوز تذكيره، ومنهم من منع ما يجوز تأنيثه، وإني ذاكر فيما يأتي بعض ما وقفت عليه منها دون إشارة إلى أحكامهم أو أسمائهم:

الحال:

كتب زميل أن كلمة (الحال) لم ترد إلا مؤنثة ! وهي كلمة تُؤنث وتذكَّر.

– قال سيبويه: ((هذا باب ما ينتصب من المصادر لأنه حال وقع **فيه** الأمر فانتصب)) . و((هذا باب ما جاء **منه** في الألف واللام)). و((هذا باب ما

(51) دراسات: ١٨.

جاء **منه** معرفة».

– وقال الأعلم الشنتمري «والحال لا يكون معرفة» الكتاب ١٨٦/١ و١٨٧.

– وفي شذور الذهب: «الحال = وهو يذكر ويؤنث = يقال: **حال حسن**، وحال حسنة، وقد يؤنث لفظها فيقال حالة.

– وفي شرح الأشموني: «الوصف جنس يشمل الحال **وغيره**».

– وفي جمع الجوامع: «الحال **هو** فضلة دالّة على هيئة **صاحبه، ونصبه** نصب المفعول به».

– وفي همع الهوامع: «الحال يذكر ويؤنث، **وهو** فضلة **دالٌ** على هيئة **صاحبه**».

– وقد قال العكبري: «الحال مؤنثه لقولك في تصغيرها: حويلة» ومن أين له أن «حويلة» ليست تصغيرًا لـ «حالة» واستغنوا بها عن تصغير حال حتى **لا تلتبس بتصغير (حَوْل)**؟.

– وفي هداية السالك: «اعلم أن لفظ الحال يذكَّر فيقال (حال) ويؤنث فيقال (حالة) بالتاء. وأن معناه قد يذكَّر فيعود الضمير عليه مذكرًا، ويُسند إليه الفعل بغير تاء، ويشار إليه باسم الإشارة الموضوع للمذكر، ويوصف بما يوصف به المذكر...، وقد يؤنث معناه فيعود الضمير عليه مؤنثًا، ويسند إليه الفعل الماضي مقترنًا بتاء التأنيث، ويشار إليه باسم الإشارة الموضوع للمؤنث، ويوصف بما يوصف به المؤنث، ومن شواهد تذكير لفظ الحال قول الشاعر:

إذا أعجبتك الدهرَ حالٌ من امرىءٍ فدعْه وواكِل أمره واللَّياليا

ومن شواهد تأنيثها قول الفرزدق:

على حالةٍ لو أنّ في القوم حاتمًا على جوده ضنَّت به نفس حاتم

فإن كان لفظ الحال مذكَّرًا فأنت في سعة من أن تذكّر معناه أو تؤنّثه.

تقول: هذا حال، وهذه حال، وحال حسن، وحال حسنة. والحال الذي أنا فيه طيّب، والحال التي أنا فيها طيّبة، وكان حالنا يوم كذا جميلاً، وكانت حالنا يوم كذا جميلة.

وتأمل في قول الشاعر «أعجبتك الدهرَ حالٌ» فقد أسند الفعل الماضي إلى لفظ الحال المذكَّر مقترنًا بتاء التأنيث. وقال أبو الطيّب المتنبي:

لا خيلَ عندك تُهديها ولا مالُ فليُسعد النطق إنْ لم يُسعد الحال

فذكّرها لفظًا ومعنًى.

وأما إذا كان لفظ الحال مؤنثًا فليس لك مَعْدى عن تأنيث الفعل الذي تسنده إليها وتأنيث الإشارة إليها وتأنيث وصفها، وتأنيث ما تخبر به عنها. وهلمّ جرّا».

– وقال ابن مالك:

الحال وصف فضلة **منتصبُ** **مُفهم** في حالِ كـ (فردًا أذهبُ)

وكو**نه** **متنقلاً** **مشتقا** **يغلب** لكن ليس مستحقّا

والحال إن **عُرِّف** لفظًا فاعتقد **تنكيره** معنًى كوحدك اجتهد

والحال إن **يُنصب** بفعلٍ **صُرِّفا** أو صفةٍ أشبهت المصرَّفا

فجائز **تقديمه** كمسرعًا ذا راجلٌ، ومخلصًا زيد دعا

– وفي القاموس المحيط: «الحال كينة الإنسان وما هو عليه، كالحالة» والوقت الذي أنت فيه، **ويذكّر** ج: أحوال وأحولِة. والكِينة: الحالة.

وقال أبو حاتم سهل بن محمد السّجستاني: الحال من الأحوال: مؤنثة وقد تُذكَّر. يقال: هي الحال، وهي الحالة، بالهاء أيضًا، وهو الحال، وثلاث أحوال، وثلاثة أحوال.

الذراع والعُنُق والقفا واللسان:

جاء نقد لتأنيثها في مناقشة رسالة جامعية.

– والذراع مؤنثة وقد ذكّره بعضهم، واللغة الجيّدة التأنيث. سمعت اللغتين من أبي زيد الأنصاري(٥٢).

والقفا يؤنث ويذكَّر. قال السجستاني: «وأما أبو زيد فكان يقول لنا كثيرًا: في الجسد أربعة أشياء تؤنث وتذكَّر: الذراع والقفا والعنق واللسان».

واللسان يؤنث ويذكر، وما في القرآن منه يدل على التذكير لأن في القرآن (ألسنة) وهي جمع مذكر، وأما من أنث اللسان فيقول: ثلاث ألسن(٥٣) وفي مختار الصحاح «اللسان يذكّر إذا أريد به الجارحة، ويؤنث إذا أريد به اللغة، فمن ذكّره قال ثلاثة ألسنة مثل حمار وأحمرة ومن أنثه قال ثلاث ألسن مثل ذراع وأذرع على أن في القرآن ﴿لسانُ الذي يُلْحدون إليه أعجميْ وهذا لسانٌ عربيٌّ مُبين﴾(٥٤) وواضح أن صفة عربي هنا للغة وليست للجارحة!

وأما **الفُلْك** بضم الفاء وتسكين اللام، أي السفينة، فلا حاجة إلى

(52) المذكر والمؤنث للسجستاني: ١٢١.
(53) المذكر والمؤنث للسجستاني: ١١٢.
(54) النحل: ١٠٣

الخلاف حولها والاستشهاد بقول فلان أو فلان، لأن القرآن الكريم استعملها مؤنثة ومذكرة، ومفردًا وجمعًا دون تغيير في لفظها. قال تعالى: ﴿فأنجيناه ومَن معه في الفُلْك المشحون﴾(٥٥) وقال: ﴿وآيةٌ لهم أنا حملنا ذريّتهم في الفلك المشحون﴾(٥٦) فأفردَها وذكَّرها، وقال: ﴿والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس﴾(٥٧)وقال: ﴿وترى الفلك مواخر فيه﴾(٥٨) فجمعها وأنَّثها وقال: ﴿ويصنع الفلك وكلّما مرّ عليه مَلأٌ من قومه... قلنا احمل **فيها** من كل زوجين اثنين﴾(٥٩) فأنّثها وأفردها. وهكذا لم تعد بنا حاجة إلى الاستشهاد بقول ابن بري «إذا جعلت الفلك واحدًا فهو مذكر لا غير، وإذا جعلته جمعًا فهو مؤنث لا غير».

وأما **الكُمَيْت** فهو من الكُمْتة وهي الحمرة الشديدة، وتوصف الخيل بها فهو أكمت وهي كمتاء ويقال لكلٍ منهما كميت سواء في ذلك الذكر والأنثى والجمع كُمْت. قال الخليل بن أحمد «إن التصغير لأن الحمرة فيها مخالطة للسواد فحقّروها لأنها ليست خالصة لأحد اللونين فصارت بمنزلةٍ دُوَيْنَ ذلك»(٦٠).

وعن الأصمعي أن الكمتة أحب الألوان إلى العرب. والكمت أشدّ

(55) الشعراء: ١١٩.
(56) يس ٤١.
(57) البقرة ١٦٤.
(58) النحل/١٤.
(59) هود/٣٨-٤٠.
(60) الكتاب ٢: ١٣٤— ١٣٥.

الخيل جلودًا وأصلبها حوافر[٦١]. وإذا غلب السواد على الفرس فهو أحوى وإذا غلب عليه الحمرة فهو مُدَمَّى، قال طفيل[٦٢]:

وكُمْتًا مُدَمّاة كأن متونها جرى فوقها واستشعرت لون مُذهَب

* * *

ملاحظة: أغناني عن ذكر المراجع والمصادر ما ذكرته منها في الحواشي.

(61) الخيل: ٣٧٥.

(62) الديوان: ٢٣ وانظر التهذيب بمحكم الترتيب لابن شهيد: ١٤٤.

أبو طالب محمد بن علي بن الخيمي
حياته وآثاره وشعره

أ. هلال بن ناجي(*)

اسمه ونسبه وكنيته ولقبه:

هو محمد بن علي بن علي بن علي ابن المفضل بن القامغار (٥٤٩ – ٦٤٢هـ)، كنيته أبو طالب، مهذب الدين، ابن الخيمي، العبسي. فهو عربيٌّ صليبة.

ويبدو أن بعض بني عبس توطنوا الحلة المزيدية ونبغ فيهم شعراء، منهم علي بن أفلح العبسي الحلي.

مولده ونشأته ورحلته في طلب العلم:

وُلد في الحِلة المزيدية في الثامن والعشرين من شوال سنة تسع وأربعين وخمسمئة ونشأ في محلة (الجامعين) وهي محلة مازالت تُعرف بهذا الاسم حتى اليوم وذكرها في شعره وحنّ إليها فقال فيما بعد:

هواتف بالأسحار شجوًا كأنها نساءٌ تَلَبَّسْنَ الحدادَ فواجِعُ
تذكرني (بالجامعين) وبابلٍ مرابعُ عَفَّتْها الرياحُ الزعازعُ

شيوخه:

وأخذ الأدب وعلوم العربية من نحو وعروض ولغة على جلة من علماء عصره في الحلة منهم: فرسان الحلي، وانتقل إلى بغداد فكان من شيوخه عبد

(*) باحث ومحقق من العراق، وعضو مراسل في مجمع اللغة العربية بدمشق.

الله بن أحمد بن الخشاب. وتلقَّى العلم على شيوخ من مختلف المذاهب الإسلامية منهم عبد الرحمن بن محمد المعروف بالأنباري، ومحمد بن الحسين ابن الدباغ، والبندنيجي تلميذ الزاغوني، وابن العَصَّار علي بن عبد الرحيم السلمي الرقي البغدادي، وابن عبيدة الكرخي، وابن الزاهدة علي بن المبارك، وابن أيوب هبة الله بن حامد الحلي الملقب بعميد الرؤساء شيخ وقته في الحلة وغيرهم.

تنقلاته:

ثم انتقل إلى الموصل واتصل بنقيب الأشراف الحسينيين مجد الدين أبي جعفر أحمد بن زيد بن عبيد الله الحسيني ومدحه فأجزل صلته. وسافر إلى دمشق بعدها وقرأ على زيد بن الحسن الكندي تاج الدين، وكان شيخ نحاة عصره وتوثقت بينهما صلة روحية وتهاديا الأشعار، لاسيما بعد انتقال صاحبنا إلى القاهرة حيث أقام بها أعوامًا طوالاً، وانصرف إلى التأليف والإقراء وصنّف أغلب مصنفاته التي سنأتي على ذكرها.

وفاته:

وكانت وفاته بالقاهرة يوم الأربعاء العشرين من ذي القعدة سنة اثنتين وأربعين وستمئة. قال ابن خلكان: ودفن من الغد بالقرافة الصغرى، وحضرت الصلاة عليه، وكان إمامًا في اللغة، راوية الشعر والأدب، رحمه الله تعالى. وكانت وفاته أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب.

شاعريته:

كان ابن الخيمي شاعرًا مُفْلِقًا، لكنه لم يجمع شعره في ديوان، ولا جمعه غيره فضاع أغلبه. وكان بَلَدِيُّهُ «جواد أحمد علوش» قد ذكر في بحثه الموسوم (محمد ابن الخيمي) المنشور في مجلة (الأستاذ)، وكانت تصدرها كلية التربية

بجامعة بغداد ج١٤ (ص١٢٢)- أنه لم يصلنا منه [من شعره] أكثر من خمسين بيتًا. أوردها في بحثه.

يقول هلال بن ناجي: وقد زدنا عليه سبعين أخرى ظفرنا بها في كتاب ابن الشعّار الموصلي المعنون «قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان المشهور بعقود الجمان في شعراء هذا الزمان» فصَنَعْنا منها مجموعًا صغيرًا سميناه «الصُّبابة من شعر ابن الخيمي» وهاهي ذي:

الصُّبابة من شعر ابن الخيمي

(١)– قال ابن الخيمي:

يا مطلبًا ليسَ لي في غيره أَرَبُ إليكَ آلَ التقصِّي وانتهى الطَلَبُ
وما طمحتُ لمرأى أو لمستمعٍ ولا لمعنى إلى علياك ينتسبُ
وما أراني أهلاً أن تواصلني حسبي علُوًّا بأني فيك مكتئبُ
لكن ينازع شوقي تارةً أدبي فأطلب الوصل لما يضعف الأدبُ
ولستُ أبرحُ في الحالين ذا قَلَقٍ نامٍ، وشوق له في أضلعي لَهَبُ
وَمدْمَعٍ كُلّما كفكفتُ أدمعَه صونًا لذكرك يَعْصِيني وينسكبُ
وا لهفَ نفسي يجديني تلهفها عونًا ووا حربا لو ينفع الحرب
يفنى الزمانُ وأشواقي مضاعفة يا للرجال، ولا وَصْلٌ ولا سَبَبُ
يا بارقًا بأعالي الرقمتين بدا (لقد حكيت ولكن فاتك الشَّنَبُ)

التخريج: مجلة (الأستاذ) – المجلد الرابع عشر ص ١٣٠– ١٣١، ١٩٦٦– ١٩٦٧. مقال محمد بن الخيمي بقلم جواد أحمد علوش – مطبعة الحكومة – بغداد – ١٩٦٧. وهي له في (كشكول) البهائي الشيخ بهاء الدين محمد العاملي: ج٣ ص٢٩٨. – طبع إيران.

(٢)– لما كان الشاعر بدمشق، أمر السلطان بحلق لحية شخص وجيه، فحلق نصفها، وحصلت فيه شفاعة، فعفا عنه في الباقي، فنظم الشاعر هذه الأبيات ولم يصرح باسمه، بل رمزه وستره. والأبيات هي:

زرتُ ابنَ آدمَ لما قيل قد حلقوا جميع لحيته من بعدما ضُربا
فلم أرَ النصفَ محلوقًا فعدتُ له مهنئًا بالذي منها له وُهبا
فقام ينشدني والدمعُ يخنقُهُ بيتين ما نُظما مَيْنًا ولا كَذِبا
إذا أتتك لَحْلِقِ الذقن طائفةٌ «فاخلَعْ ثيابك منها مُمْعِنًا هَرَبا»
«وإن أتوك وقالوا: إنّها نَصَفٌ فإنّ أطيبَ نِصْفيها الذي ذَهَبا»

التخريج: وفيات الأعيان ج٦ ص ٥٦. وشطر الرابع والبيت الخامس مضمنة من الحماسية رقم ٨٧٠ في شرح المرزوقي لحماسة أبي تمام ورواية عجز الخامس: فإن أمثل نصفيها... والمقطعة في الوافي بالوفيات ج٤ ص١٨٣ وفي فوات الوفيات ٣/ ٤٤٢.

(٣)– قال ابن النجار: وسمعت ابن الخيمي يقول: لما توفي أبو عثمان الفقيه الشارعي بالقاهرة، لقيني بعض الأشعرية فذكره بما يذكر الأشعرية الحنابلة، ونهاني عن الصلاة عليه، فإني تلك الليلة نائم، إذ رأيت اثنين فأنشداني:

صلِّ على المسلمين جمعًا واغتنم الوقتَ قبل فَوْتِهْ
من ذا الذي ليس فيه شيءٌ يقوله الناس بعد موتِهْ

التخريج: مجلة الأستاذ – المجلد ١٤ ص ١٣١ وهما له في بغية الوعاة ج١ ص ١٨٥.

(٤)– وقال يهجو الأسعد بن مماتي المصري، وكان نصرانيًا فأسلم وتولى نظر الدواوين:

وحديثُ الإسلام واهي الحديثِ باسمُ الثغر عن ضميرِ خبيث
لو رأى بعضَ شعره سيبويهٌ زادَهُ في علامة التأنيث

التخريج: مجلة الأستاذ – المجلد ١٤ ص ١٢٩.

(٥)– وقال:

لا ترجُه لصالحٍ يأتي ولكن أرْجِهِ

التخريج: بدائع البدائه ص ١٣٣.

(٦)– وقال:

أأصنامَ هذا الجيل طرًّا أكلُّكم «يعوقُ» أما فيكم «يغوث» ولا «ودُّ»
لقد طال ترادي إليكم فلم أجدْ سوى ربّ شأنٍ في الغنى شأنه الردُّ
ودعوى كرامٍ يستحيل قبولها ويُقبل إذ حدّ الحسام لها حَدُّ

التخريج: الوافي بالوفيات ج٤ ص١٨١.

والأول والثاني له في فوات الوفيات ج٣ ص ٤٤١.

(٧)– وكتب إلى النقيب مجد الدين أبي جعفر أحمد بن زيد بن عبيد الله الحسيني الموصلي مهنئًا بالشهر:

ليَهْنَ بك الشهرُ الجديدُ فإنّما بقاؤك في العزِّ الهناءُ المجدَّدُ
وحَسْبُكَ مَدْحًا أن تبيتَ وحيدرٌ أبوك وأن تُضْحي وجَدُّكَ أحمدُ
وأن تغتدي والعالَمونَ مُلوكُهم وأحرارُهم رَغْمًا لبيتكَ أَعْبُدُ
ولستَ بمحتاجٍ إلى المدح بعد أن أتَتْ لكُمُ الآياتُ بالفضل تشهدُ
ولكنَّما يدعو الغرائزَ فَخْرُكُمْ إلى القول منّا قُربةً فَنُقَصِّدُ
ونعلمُ أنَّ المدح ليسَ بزائدٍ مناقِبكُمْ لكنَّنا نَتَودَّدُ

ونرعـــى عهـــودًا للنـــبيِّ أضـــاعها طوائفُ في بُغضِ الوصِيِّ وألحدوا
فيا ابنَ عبيد الله يا من بحبّهم نفوزُ غدًا يوم المعادِ ونَسْعَدُ
ويا أيها المجْدُ الذي باتَ مُطْلَقًا عطاهُ، وشُكْرُ الناس فيه مُقَيَّدُ
و يا مَنْ له في كُلِّ أنمُلَةٍ ندًى يفيضُ ونارٌ في الوغى تتوقَّدُ
ألستَ من القوم الذين بشرعهم تُحَلُّ أمورُ العالمين وتُعقدُ؟
فَعِشْ ما أقام الفرقدان وما بكى غمامٌ وما ناحَ الحمامُ المغَرِّدُ

التخريج: قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان – المجلد الثاني ص ١٦١- ١٦٢.

(٨)– وقال في مدح النقيب مجد الدين أبي جعفر أحمد بن زيد بن عبيد الله الحسيني الموصلي:

زادكَ اللهُ أيها المجدُ مجدا فلقد رُحْتَ أغزرَ الناس رفدا
وأجلّ الورى أبًا وعُمومًا وخؤولاً زُهْرًا وأُمًّا وجَدّا
مَعْشَرٌ ما نظمتُ فيهم قريضًا من مدِيحٍ إلاّ تضوّعَ رَنْدا
لا ولا فُهْتُ باسمهم في أجاج من شرابٍ إلاّ تبدّلَ شَهْدا
يا أبا جعفرٍ أَجِرْ ذا ولاءٍ لكُمُ نازحًا عن الأهل فردا
حلّ في الموصل الفسيحة حتى خالها للهموم والضيق لحدا
وهو لا يرتجي سواكم لدنيا هُ ولا للمعاد سُؤلاً وعَضْدا
ونقّشت تلك الأحاديثُ عنّي عاد عندي بيضُ الأمانيّ رُنْدا
وجيوشُ الشتاء قد بادرتني يتوعدنني خواءً وبردا
وعطاياك لم تَزَلْ قَطُّ نقدًا وعطايا الأيام وَعْدًا وفَقْدا

فَتَحنَّنْ عليَّ يا ابن عبيد الـ لّه يا أوسع البرية رفدا
إنني عبدكُم ومثلك في السا دة ما إذ يبيع مثلي عَبْدا
فاغتنم شكري المريع الذي ما زال وقفًا عليك قُرْبًا وبُعْدا
مثلما بات ناصبُ اللعنِ والثل ـبِ لمن ما رعوا لجدِّك عهدا

التخريج: قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان – المجلد الثاني ص ١٦١.

(٩)– وكان قد خرج إلى الأهرام للتنزه ومعه ابن الساعاتي والجمال بن التاج البغدادي والأوحد الواسطي. وحدث أن كبت بغلة أبي الحسن علي بن نظيف كاتب الملك المعز ثم وثبت ورفعت يديها، فتعاطى الحاضرون القول في ذلك، فقال ابن الخيمي:

أقسمت بغلة الرئيس المفدّى حين حطّت لعجزها عنه صدرا
إنّما رفّعَتْ يديها قنوتًا بعد أن قبلت ثرى الأرض عشرا
إذْ غدتْ من حجاه، حاملةً طو دًا ومن جود كفّه العذب بحرا

التخريج: بدائع البدائه ص ٢٦٤.

(١٠)– وقال وقد رأى سبحة سوداء، فتأملها مليًّا فأوحت له هذين البيتين:

وسبحة مسوّدةٍ لونُها يحكي سوادَ القلبِ والناظرِ
كأنني وقتَ اشتغالي بها أعدّ أيامكَ يا هاجري

التخريج: مجلة الأستاذ ج١٤ ص ١٢٤ وهما له في كشكول البهائي العاملي ج٣ ص ٣٣٥.

(١١)– وكتب إلى صديقه الشاعر الأديب جمال الدين يحيى بن عيسى المعروف بابن مطروح مهنئًا حين وُلِّي على أموال المواريث:

لمهيار مصرٍ سُجِّل الفضل عندما وأبطلت الدعوى لمهيار فارس
فبينهما في النظم والنثر إن هُما سبرتَهُما ما بين ماشٍ وفارس

فتىً نظر السلطانُ فيه مخايل الـ ـدراية والديوان نظرة فارس
فَولاّهُ أموالَ المواريث حاميًا به سربَها من كلّ أجرأ فارس
كأنّ (ابن مطروح) أقام ابن أحمد وأحياهُ من بعد البلى وابن فارس
وكلّ أميرٍ في البلاغة عنده غلامٌ فلا تبعث سواهُ بفارس

التخريج: مجلة الأستاذ ج١٤ ص ١٢٦– ١٢٧.

(١٢)– وقال:

قالت وقد رأت المشيب: تجافَ عن مسِّي بشيبك فالمشيب أخو البَرَصْ
إنّي لأكرهُهُ إذا عاينتُه يَقْظَى وألقى دون رؤيته الغُصَصْ
وأظنَّه كَفني وقُطْنَ لفائفي حملَتْهُ غاسلتي وجاءت في قَفَصْ

التخريج: الوافي بالوفيات ج٤ ص ١٨٢.

(١٣)– وقال يمدح نقيب الأشراف في الموصل أحمد بن زيد بن عبيد الله الحسيني:

أفي كلّ رَبْعٍ دمعُ عينيك هامعُ وفي كُلِّ جَمْعٍ سرُّ قلبكَ ذائعُ
وفي أيِّما أرضٍ حللتَ مُعَزِّيًا أجدَّ لك الشوقَ الحمامُ السواجِعُ
هواتفُ بالأسحار شجوًا كأنَّها نساءٌ تَلَبَّسْنَ الحدادَ فواجِعُ
تذكرني بالجامعين وبابلٍ مرابعُ عَفَّتْها الرياحُ الزعازعُ
فأسعِدُها بالنوح نوحًا وتارةً تتابعُني في شدوها وأتابِعُ
أنا العِلْقُ[1] إن عيَّ المقال فخاطبٌ أنا السيفُ إن فُلَّتْ ظُباهُ فَقاطِعُ
وإنّي إذا ما نابني الهمُّ والأسى وبتُّ تُجافي جانبيَّ المضاجِعُ

(1) في الأصل: أنا الفلق.

جعلتُ وسادي كُوْرَ عنساءَ حَبْرَةٍ جمالية لم يَعْلُها الدهرَ فارعُ
محففة نحو السُرى بمناسمٍ صلاب تشكّى وقعهنَّ البلاقِعُ
ويُثلثُنا قاض وقورٌ وإنّه جَهولٌ إذا ما استعقلته الوقائع
إذا كَذَبَتْ صُحفُ الخؤولة أظْهرتْ معاطِفَهُ حكمًا به العَمُّ قانعُ
صفا رونقًا حتى كأنّ لُموعَهُ تبسُّمُ مجد الدين حين يُقارع
أبي جعفرٍ نجلِ الميامين أحمدٍ فتىً حمدُهُ في البَرِّ والبحر شائعُ
سليلُ رسول الله وابن وَصِيِّه عليٍّ الذي تثنى عليه الأصابعُ
إمامٌ أبانَ الدينَ بعدَ كُمونِه وأخبَر بعد الكون ما الله صانعُ
فهل بالغٌ مدحُ امرئٍ كُلَّ قومه له مِنَنٌ ما تنقضي وصنائعُ؟
مغاور إن شُنَّتْ من الدهر غارةٌ مغاوث إن لم يعد في الأرض ضارعُ
تظلّ سراحين الفلا لسيوفهم مُصَلِّيَةً حيث الرماحُ صَوامِعُ
فما ساجدٌ بالطعن بات وفوقَهُ من الطُّلْسِ إلاّ أسحم اللون راكعُ
مُجمِّعُ فَلِّ الحمد والحمد شاردٌ وهازمُ جيش اللؤم واللؤم جامعُ
حسيبٌ أديبٌ قادرٌ متعطِّف سخيٌّ أبيٌّ مالكٌ متواضِعُ
أعَزُّ مليكٍ للورى وَخَدَتْ بهِ علنداةُ أسْرِهَيَّجتها الجلافعُ
وأكرمُ محمولٍ على متن سابحٍ بقبهلةٍ لُطخٍ من الفجر لامعُ
تزاحمني فيه القوافي كأنّها حوائمُ حُمْسٌ بالفُرات تدافَعُ
إذا ما انتضى في حندس الخطب عَزْمَهُ تَسَرَّى ووجهُ النصر أبلجُ ناصعُ
وإن لبست أقلامُه الطِّرْسَ ساخطًا أُبيحتْ حَلالٌ واستقيدت صعاصع
وإنْ جادَ إنعامًا أتتك كتابةً وفي كلّ سطرٍ جعفرٌ مُتدافعُ

غَدَتْ سيرةُ الحدباء في الأرض صورةً بعدلكمُ تُحدى إليها المطامعُ
إذا تُلِيَتْ بين اللثام تحتموا وأنشد كُلٌّ وهو في البذل راتعُ
سَما بيَ أوسٌ في السّماح وحاتمٌ وزيدُ القنا والأشرفان ورافعُ
فأصْغِ إليَّ السمعَ يا مجدُ إنني لأجْدَرُ من تُصغى إليه المسامعُ
فما المدحُ إلاّ ما أنا اليومَ مُورِدٌ وما الطَّوْلُ إلا ما غدا أنتَ جامعُ
ولا الفضلُ إلاّ فضلُ ما نطقتْ به سوابقُ كُتْبٍ قَبْلَهُ وشرائعُ
مناقبُ غُرٌّ ما دجا شِرْكُ فَتْرَةٍ فأظلمَ إلاّ وهي زُهْرٌ طوالعُ

التخريج:قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان ج٢ص١٦٢-١٦٣.

(١٤)– وقال:

جُنِنْتُ فَعَوِّذْني بكتبك إنّ لي شياطين شوقٍ لا تفارق مضجعي
إذا استرقت أسرارَ وجدي تمرّدًا بعثتُ عليها في الدجى شُهْبَ أدمعي

التخريج: فوات الوفيات ج٣ ص ٤٤١ والوافي بالوفيات ٤.

(١٥)– وقال يرثي الحافظ علي بن المفضل المقدسي:

أبكي وحُقَّ لناظري غَرَقُهْ إنَّ الحديثَ توعّرَتْ طُرُقُهْ
سَفَتِ الرياحُ على معالمِهِ فَعَفَتْ وأصبحَ مُظْلِمًا أُفُقُهْ
وغَدَتْ معطّلةً محابِرُهُ بعد النَّبيهِ وفُرِّقَتْ فِرَقُهْ
ونَسُوا روايتَه وهل غُصُنٌ يَذْوى فيلبثُ بعده وَرَقُهْ

التخريج: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنُحاة ج١ ص ١٨٤.

(١٦)– وقال مادحًا:

ولكنه إذْ عادَ مصر تَعَرَّبَتْ معاشرُ كانت قبل مقدمه عُجما

فأصبح من قد كان مرجوّه الغنى وبغيتَه من بعد لو رُزِق الفهما
أمِنْتُ الظما لما حللتُ ببابهِ وليس يخافُ الظَّمْءَ من جاور السما
رعى ليَ عرفان الشآم ولم يزلْ ملوك الورى يرعون من عرفوا قدما
مآثر ترويها العلى أفضليّة تنوبُ منابَ الراح في طردها الهمّا

التخريج: مخطوطة نزهة الملك في الكلاب والمكلبين لابن الخيمي مصورة في خزانتي.

(١٧)– وقال:

كمْ من مُريقٍ يومَ الفراق دَمَهْ وبائحٍ سِرَّهُ الذي كَتَمَهْ؟
وكمْ حبيبٍ سَرَتْ ركائِبُهُ على مُحِبٍّ مضى فما رَحِمَهْ
دعا على ظالميه محتسبًا وما درى أنَّه الذي ظَلَمَهْ
ذو طلعةٍ كالصباح مُشْرقةٍ من تحت فَرْعٍ كأنَّه العَتَمَهْ
ومُقْلَةٍ بابليَّةٍ شَهِدَتْ بصدقِ هاروت في الذي اجترَمَهْ
ظَبْيٌ نَسِيتُ التوحيدَ من كَلَفي به وأمسيتُ عابدًا صَنَمَهْ
سألتُه قُبلةً فأورَدَني نارَ صُدودٍ بالهجرِ مُضْطَرِمَهْ
فقلتُ: يا مالكي أتُحْرِقُ مَنْ باتَ قسيم النيران مُعْتَصِمَهْ

التخريج: قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان لابن الشعّار الموصلي ج٢ ص ١٦٠– ١٦١.

(١٨)– وقال يرثي ثغر دمياط حين استباحَهُ الصليبيون:

ولقد بكيتُ لثغر دمياطٍ دمًا ووجَدْتُ وَجْدَ الفاقدِ المحزونِ
أرضَ العِبادة والزهادة والتُّقى وتلاوةِ القرآنِ والتأذينِ

وُبِئَتْ وأوبأَها العدوّ فأهلُها شهداءُ بين الطَّعْنِ والطاعونِ

التخريج: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنُّحاة ج١ ص ١٨٤.

(١٩)– كتب إليه شيخه زيد بن الحسن الكندي تاج الدين من دمشق متشوقًا من جملة أبيات:

نحن بالشام رَهْنُ شوقٍ إليكم هل لديكم بمصر شوقٌ إلينا

فأجابه ابن الخيمي بأبيات من جملتها:

أيها الساكنون بالشام من كِدْ ـدَةَ إنَّا بِعَهْدكم ما وَفَيْنا

لو قضينا حقَّ المودة كُنّا نَحْبَنا بَعْدَ بُعْدِكم قد قضينا

التخريج: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ج٢ ص ٣٤١.

(٢٠)– قال ابن الخيمي: رأيتُ في النوم المعظم شمس الدولة [توران شاه بن أيوب أخا صلاح الدين الأيوبي] وقد مدحته وهو في القبر ميت، فَلَفَّ كفنه ورماه لي وأنشد:

لا تستقلنَّ معروفًا سمحتُ به مَيْتًا، وأمسيتُ عنه عاريًا بدني

ولا تظنَّ جودي شابَهُ بُخْلٌ من بعد بذلي بملك الشام واليمن

إني خرجتُ من الدنيا وليس معي من كُلَّ ما ملكت كفيّ سوى كفني

التخريج: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: المقريزي – ج٢ ص ٣٨ ومجلة الأستاذ ١٤/ ١٣٢.

(٢١)– ومن شعره أبياته المشهورة وقد كتبها إلى ولده وقد عُصر:

عصروكَ أمثال اللصو ص، ومكّنوا منكَ الإهانةْ

فإذا رجعتَ فَخُنْهمُ إنّ السلامة في الخيانةْ

وافْعل كفعلِ بني سنا ءِ الملك في مال الخزانةْ

ويقال إن هذه الأبيات لما شاعت أُمسك بنو سناء الملك وصودروا بسبب هذه الأبيات.

التخريج: الوافي بالوفيات ج٤ ص ١٨٣ وفوات الوفيات ج٣ ص ٤٤١.

مصنفاته:

١– حرف في علم القرآن، هكذا ذكره الصفدي في الوافي وسمّاه السيوطي في البغية، كتاب حروف القرآن، وهو مفقود.

٢– أمثال القرآن وهو مفقود.

٣–كتاب نزهة الملك في الكلاب والمكلبين، وصلتنا منه مخْطوطة في الظاهرية.

٤– استواء الحاكم والقاضي، ذكره الصفدي والسيوطي وهو مفقود.

٥– الردّ على الوزير المغربي، ذكره الصفدي والسيوطي وهو مفقود.

٦–كتاب المؤانسة في المقايسة، ذكره السيوطي بهذا الاسم وسمّاه الصفدي «المقايسة» وهو مفقود.

٧– لزوم الخمس، ذكره الصفدي والسيوطي وهو مفقود.

٨– الملخص الديواني في الأدب والحساب، ذكره الصفدي، وذكره السيوطي بعنوان المخلص الديواني في علم الأدب والحساب، وهو مفقود.

٩–كتاب المقصورة. ذكره الصفدي والسيوطي وهو مفقود.

١٠– المطاول في الردّ على المعري في مواضع سها فيها ستة. ذكره الصفدي، وذكره السيوطي وأسقط من عنوانه لفظة (ستة) وهو مفقود.

١١– إسطرلاب الشعر – ذكره الصفدي والسيوطي وهو مفقود.

١٢– كتاب شرح التحيات: ذكره الصفدي بعنوان شرح التحيات وذكره السيوطي بعنوان: «كتاب شرح التحيات لله». وهو رسالة نشرها محققة الأستاذ الدكتور صلاح الدين المنجد سنة ١٩٨١ ببيروت ضمن كتاب ثلاث رسائل في اللغة، واعتمد في تحقيقه هذه الرسالة على مخطوطتين الأولى: محفوظة في مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض بخط العلامة السيوطي نسخها سنة ٨٦٦ هـ.

والثانية: في خزانة الأستاذ صلاح الدين المنجد ضمن مجموع فيه رسائل لغوية كتبها عبد القادر بن أحمد العمري الصالحي الناسخ. فرغ من نسخها في ذي الحجة سنة ٩٢٣ هـ.

وفي خزانتي مخطوطة نفيسة نسخها ناسخها أحمد بن محمد بن إبراهيم القرشي الشافعي في ذي الحجة عام ٧٠٩ هـ. أقدم من المخْطوطتين اللتين اعتمدهما المنجّد – مدّ الله في عمره –.

١٣– الأربعين والأساميّات: ذكره الصفدي والسيوطي وهو مفقود.

١٤– كتاب الديوان المعمور في مدح الصاحب: وقد وهم الدكتور جواد أحمد علوش في بحثه المنشور في مجلة الأستاذ إذ قال: وهذا الكتاب مجموعة أدبية تضم ما قيل في مدح الصاحب وهو إسماعيل بن عباد بن العباس وزير البويهيين المتوفى سنة ٣٨٥ هـ. والصواب أن المراد بالصاحب، «الصاحب بن شكر»، وزير الملك العادل الأيوبي ملك مصر والشام والجزيرة، ثم وزير ابنه الكامل. قال أبو شامة: كان خليقًا بالوزارة لم يتولّها بعده مثله. وكان يبالغ في إقامة النواميس مع التواضع للعلماء والصدقات والصلات. وقد تمكَّن من الملك العادل تمكنًا لا مزيد عليه. ثم غضب عليه ونفاه. فلما مات عاد ابن شكر إلى مصر ووزر للكامل ثم

عمي في الآخر وتوفي في شعبان سنة ٦٢٢هـ[٢]. والكتاب ذكره الصفدي والسيوطي وهو مفقود.

١٥- الجمع بين الأخوات والمحافظة عليهن وهن مسيئات. ذكره الصفدي والسيوطي وسماه السيوطي «الجمع بين الأخوات والحضّ على المحافظة بين المسبيات». وقد لحقه تحريف واضح. وهو مفقود.

١٦- رسالة من أهل الإخلاص والمودة إلى الناكثين من أهل الغدر والردة ذكرها الصفدي وتصحف العنوان عند السيوطي فصار: من أهل العذر... وهي مفقودة.

١٧- كتاب صفات القبلة مجملة ومفصلة. ذكرها الصفدي والسيوطي وهي مفقودة.

١٨- كتاب قد، ذكره السيوطي. وهو مفقود.

١٩- كتاب يحيى، ذكره السيوطي. وهو مفقود.

٢٠- جُهينةُ الأخبار وجُنينةُ الأذكار، لخصها من «أنيس المسافر وجليس الحاضر..» ذكره إسماعيل باشا البغدادي في هدية العارفين ج٢ العمود ١٢١ – ١٢٢.

ولم يذكر أحد المترجمين له أنه صنع لنفسه ديوانًا رغم شاعريته الرفيعة. وهذا سببٌ من أسباب ضياع شعره.

ويبدو من إنعام النظر في عناوين مؤلفاته أنها دارت في موضوعات دينية وفقهيةٍ وأصولية ولغوية وعروضية وأدبية. ومما يبرز مكانته الرفيعة في التصنيف

(2) من استدراكات الدكتور مصطفى جواد على بحث جواد أحمد علوش – بمجلة الأستاذ ج١٥ ص ٣٨ – ٣٩.

تصدّيه للردّ على المعري، والرد على الوزير المغربي وهما علمان من أعلام عصرهما وما بعده، ومن المحزن أن يضيع مثل هذين الكتابين. وقد أسبغ عليه مؤرخوه من النعوت ما هو جدير بها.

قال المنذري صاحب التكملة عنه: شاعر مُفْلق وأديب بارع. ووصفه ابن النجار فقال: كان نحويًا فاضلاً كامل المعرفة بالأدب. ونعته ابن خلكان بأنه: كان إمامًا في اللغة، راوية للشعر والأدب. وكان في نظر الصفدي: الأديب الكامل.

التعريف بمخطوطة ((نُزهة المَلِكِ في وصف الكلب والمكلِّبين)):

المخطوطة فريدة في الدنيا تحتفظ بها المكتبة الظاهرية بدمشق، وبذيلها خطّ مصنّفها أبي طالب محمد بن الخيمي اللغوي في موضعين:

الأول: في إجازته لمحمد بن مرتفع بن جبريل وهذا نصّها:

قرأتُ جميع هذا الكتاب المسمّى بنزهة الملك على مؤلفه المولى مهذب الدين أبي طالب محمد بن علي بن علي اللغوي – أيّده الله – مقابلاً بأصله وهو بيده، وسألته الإذن في روايته عنه فأذِنَ، وسألته إجازة عامة في جميع ما ألّفه من نظم ونثر وما تصحّ الرواية له عنه فأذن، وتلفظ لي بذلك منعمًا، في العشرين من ذي القعدة سنة أربعين وستمئة. وكتبه الفقير إلى ربه الغني، محمد بن مرتفع بن جبريل في تاريخه والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما. وتحتها العبارة التالية بخط ابن الخيمي.

صحيحٌ ما ذكره من قراءته واستجازته وكتب ابن الخيمي في تاريخه.

وتحتها ختم غير مقروء.

والثاني: إجازة أخرى للفقيه جمال الدين أيّده الله المستجيز أحق (..)

بأن يجيز، لما أعلمه من فهمه وقراءته ونسكه، وقد أذنت له أن يروي عني جميع ما صحّ عنده أنه تأليفي من جميع الفنون الأدبية واللغوية على الشروط المعتبرة، وأذنت لولده نفعهما الله بالعلم و.... بالحلم.

وكتب ابن الخيمي محمد بن العليين الثلاثة في رابع عشر شوال الذي من سنة تسع وثلاثين وستمئة بالقاهرة المعِزِّيَّة، ومولده سنة تسع وأربعين وخمسمئة. حامدًا الله ومصليًا على سيدنا محمد النبي الأميّ وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين. وصححه (وبعدها) توقيع.

ووجدته يشير في مواضع عديدة من المخطوطة بما نصه: بلغ الفقيه جمال الدين إلى هنا أسعده الله. وهذا يؤكد نفاسة المخطوطة وأنها قُرئت على مصنفها.

وعِدّة المخطوطة (١٥١) صفحة. لكنّ اللافت للنظر أنها كتبت بخطين مختلفين. فالصحائف (١– ١٢) وفيها صفحة العنوان كُتبت بخط رديء وكأنَّ أوراقًا انتُزِعت من المخطوطة وأُبدلت أو نسخت من شخص آخر وبدءًا من الصفحة (١٣) وحتى نهاية الكتاب، كُتبت بخط قديم في غاية الحسن والجودة، مضبوط بالشكل. ولم يصرِّح الناسخ باسمه وختم المخطوطة بالعبارة التالية (تمّ الكتاب بأسره والحمد لله وحده وصلّى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين وأصحابه المنْتَجَبِين وسلم تسليما).

* * *

وفي ذكر الدافع إلى تأليف الكتاب، ذكر المصنف أن شيخه علي بن عبد الرحيم بن الحسين العصّار السلمي البغدادي الرقي روى له ما جرى بين أبي العلاء المعري وأحدهم في مجلس الشريف المرتضى ببغداد حين وَطِئ أبو

العلاء قدم أحدهم فشتمه الموطوء بقوله: من هذا الكلب الذي يطأ الناس؟ فقال أبو العلاء: الكلب من لا يعرف للكلب نيِّفًا وسبعين اسمًا. فقال الموطوء: فأنت كلب، لأنك لا تفرق بين الاسم والصفة، وإنما يكون للشيء الواحد الاسم الواحد، وما زاد فهو صفة. فقال أبو العلاء: فما تقول في قوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فاحْرَنْجَمَ الموطوء.

يقول ابن الخيمي: منذ حدَّثه شيخه بهذا الحديث مازال يتتبع الأمر لعله يجد أحدًا من أهل العلم باللغة عُني بجمع ذلك، فلم يجد منهم من ألّف في الكلب نفسه كتابًا مفردًا يشتمل على هذه العدة، فأقدم وألّف في هذا الكتاب ما يزيد على نيف وسبعين اسمًا وصفة من أسماء الكلاب وصفاتها مما وقع إليه من كلام العرب وتضمن الكتاب العزيز من ذكره، ووسمه بـ «نزهة المِلكْ».

وشَرَحَ المقصود بلفظة المكلبين، أي الذين يُعَلِّمون الكلابَ الصيدَ.

والكتاب بمجموعه كتاب لغة وشعر وفقه. فهو مليء بألفاظ مشروحة، وغاص بالشواهد الشعرية، وفيه شعر كثير نُسب لأصحابه ومنهم: زياد الأعجم وطفيل الغنوي والجعدي ودكين بن رجاء وجندل بن الراعي النميري والكميت والنابغة والبعيث وسعد بن زيد مناة وأبو زبيد ورؤبة والعباس بن مرداس والحصين بن حمام والأعشى ولبيد وامرؤ القيس وذو الرمة وعنترة وزهير والراعي وأبو دؤاد وسويد الحارثي والمرار الأسدي وابن ميادة وابن أجمر والعجاج والقطامي وأبو كبير والمجنون وابن عبدل وأبو النجم العجلي والمخبّل والشماخ وحسان بن ثابت ودراج بن زرعة وسويد بن أبي كاهل وابن مقبل وطفيل والفقعسي والأحوص والأخطل وساعدة بن جؤية الهذلي والفرزدق وأبو

وجرة والبعيث وحُميد وأبو الزحف الكلبي وطرفة وبشر والوليد بن عقبة وأبو محرز ووضاح اليمن والطرماح ومرة بن محكان وغيرهم.

وهناك عشرات الأبيات وأشطار الأرجاز لم تُنسب إلى شاعر بعينه. وغصّ الكتاب بالآيات القرآنية والأحاديث والأمثال، وهو كتاب لغة يدل على سعة علم مصنفه في ميدان اللغة. لم يقسمه فصولاً، بل استرسل فيه استرسالاً وختمه بقوله: قال المؤلِّف: إن الأسماء ما دلّت على المسميات، والصفات ما عَكَرَت عليها بعد التسمية بنفي أو إثبات. وكلّ شيء واحد فاسمٌ واحدٌ يدل عليه، فإن اقترن به معنى، زيد له من الوصف اسم يستدرك عليه، ولهذا قيل للصفات أسماء، إلاّ الاسم المشتق كالعباس والضحاك فإنه يدل بنفسه على المسمّى وعلى المعنى فيه جميعًا. وأولى الأسماء ما كان الأخصّ الذي لا يشركه فيه غيره لِيَنْمازَ من غيره به)).

من نتائج البحث:

١- نَفْيُ العجمة عن الشاعر، فقد ورد في سلسلة أجداده اسم جده (القامغار) وهو اسم غير عربي، مما يثير الشبهة في نسبه. وقد نفينا هذه الشبهة بإثبات أنه عربي صَلِيبةً من قبيلة (عيسى) كما ذكر ابن الشعار في كتابه ((قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان)).

٢- أثبت عدم صحة ما ذهب إليه الأستاذ جواد أحمد علوش – من أساتذة الأدب في كلية التربية ببغداد – من أنه لم يصلنا من شعر ابن الخيمي أكثر من خمسين بيتًا (مجلة الأستاذ ١٤/ ١٢٢) وأضفت سبعين بيتًا.

٣- صحَّحتُ أوهامًا وردت في ترجمة ابن الخيمي عند السيوطي في البغية ١/ ١٨٤ أثناء ذكره لشيوخه، وأظنها من أوهام النساخ ومنها:

ابن القصّار صوابه: ابن العصّار. فقد ذكره ابن الخيمي في مقدمته لكتابه (نزهة الملك في وصف الكلب والمكلبين بالعبارة التالية: حدثني به شيخي الشيخ المهذب أبو الحسين علي بن عبد الرحيم بن الحسين العصّار السلمي اللغوي البغدادي الرقي رحمه الله.

أبو الحسن بن الزاهد: صوابه: ابن الزاهدة، واسمه علي بن المبارك بن علي ابن المبارك بن عبد الباقي المعروف بابن الزاهدة النحوي صاحب ابن الخشاب، المتوفى سنة ٥٩٢هـ (معجم الأدباء ٢/ ١٢٥ طبعة مرجليوث. والزاهدة أمه).

ابن عبيد: صوابه ابن عبيدة واسمه الحسن بن علي بن بركة بن عبيدة الكرخي (معجم الأدباء ج٣/ ١٥٥ ط. مرجليوث).

وحذفت من شيوخه ابن حميدة المتوفى سنة ٥٥٠هـ وابن الزاغوني (ت٥٥٢هـ) إذ لا يمكن أن يأخذ ابن الخيمي عنهما وعمره سنتان أو ثلاثة، وقد ذكرهما المنجد في مقدمة شرح لفظة التحيات، باعتبارهما من شيوخه وهو خطأ.

٤- وقفت - ولأول مرة - على مخطوطة «نزهة الملك في الكلب والمكلبين» فعرفت بها تفصيلاً، ولم يكن أحد من مؤرخي ابن الخيمي المعاصرين قد وقف عليها، فجواد علوش في بحثه أشار إليها (ص ١٢١) اكتفى بالقول: كتاب الكلاب والمكلبين وهو في وصف كلاب الصيد والصيد بها وما إلى ذلك. توجد من نسخة خطية عليها خط المؤلف في الخزانة الظاهرية بدمشق، نقل هذا عن دائرة معارف البستاني ج٣ ص٤٩.

كما لم يعرف الأستاذ جواد شيئًا عن رسالة (شرح التحيات لله) وقال: لعله في الأدعية والأوراد. وظن الكتاب مفقودًا. فالأستاذ جواد نشر مقالته

سنة ١٩٦٧، والمنّجد حقق الرسالة سنة ١٩٨١، لذلك لم يكن قد سمع بها، كما لم يحاول الوقوف على مخطوطة الظاهرية التي أشار إليها البستاني وأشار إليها أيضًا عمر رضا كحالة في معجم المؤلفين ١١/ ٢٩ والدكتور الجليل الأستاذ صلاح الدين المنجد اكتفى بذكر كتاب «وصف الكلب والمكلبين» وسمّاه: كتاب الكلاب المكلبين وأحال على معجم المؤلفين ولم يشر إلى نُسْخة الظاهرية المخطوطة.

أما أنا فقد وقفت على مخطوطة الكتاب الفريدة وسعيتُ للحصول على مصورة منها، ودرستها وفصلت القول في التعريف بها ووصف محتوياتها. فهذه نتيجة من أبرز نتائج هذا البحث، فيها رحلة وراء المخطوط وسعي جادّ لتصويره، والفضل في هذا عائد لسدنة دار الكتب بالشام.

المصادر والمراجع

١- الأستاذ: مجلة كانت تصدرها كلية التربية بجامعة بغداد – المجلد الرابع عشر ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧م. بحث عنوانه (محمد ابن الخيمي): جواد أحمد علوش، ص١٠٧- ١٣٤.

٢- الأستاذ: مجلة تصدرها كلية التربية بجامعة بغداد – المجلد الخامس عشر بغداد – ١٩٦٩. بحث عنوانه (استدراكات أدبية تاريخية بقلم مصطفى جواد ص ١٥- ٤١).

٣- بدائع البدائه: صنّفه علي بن ظافر الأزدي – حققه محمد أبو الفضل إبراهيم القاهرة – ١٩٧٠.

٤- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة – السيوطي — حققه محمد أبو الفضل إبراهيم – القاهرة ١٣٨٤ هـ= ١٩٦٤م.

٥- دائرة المعارف بإدارة فؤاد أفرام البستاني – المجلد الثالث ص٤٩ – بيروت ١٩٦٠.

٦- شرح ديوان الحماسة لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي: حققه أحمد أمين وعبد السلام هارون – القسم الرابع – القاهرة ١٩٥٣.

٧- شرح لفظة التحيات لأبي طالب محمد بن علي ابن الخيمي: بتحقيق صلاح الدين المنجد، ضمن كتابه (ثلاث رسائل في اللغة). دار الكتاب الجديد – بيروت ١٩٨١.
٨- فوات الوفيات والذيل عليها: تأليف محمد بن شاكر الكتبي – حققه إحسان عباس دار الثقافة – بيروت – ١٩٧٤.
٩- قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان المشهور بـ(عقود الجمان في شعراء هذا الزمان). صنفه كمال الدين أبو البركات المبارك ابن الشعار الموصلي، حققه كامل سلمان الجبوري – بيروت – ٢٠٠٥م = ١٤٢٦ هـ.
١٠- الكشكول: بهاء الدين محمد العاملي – ج٣ ص ٢٩٨- إيران.
١١- معجم المؤلفين: تراجم مصنفي الكتب العربية – الجزء الحادي عشر – عمر رضا كحالة دمشق ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠م.
١٢- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: أحمد بن علي المقريزي – صورتها بالأوفسيت مكتبة المثنى ببغداد.
١٣- نزهة الملك في الكلاب والمكلبين – مصورة في خزانة كاتب البحث أصلها المخطوط محفوظ بخزانة الظاهرية بدمشق.
١٤- نهاية الأرب في فنون الأدب: أحمد بن عبد الوهاب النويري الجزء الثاني ص ٢٤٢- القاهرة، وزارة الأوقاف والإرشاد القومي.
١٥- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: المجلد الثاني. ألّفه إسماعيل باشا البغدادي – طُبع بالآستانة سنة ١٩٥٥. أعادت طبعه بالأوفسيت المكتبة الإسلامية والجعفري تبريزي بطهران – ١٣٨٧ هـ.
١٦- الوافي بالوفيات: صنّفه صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي باعتناء هلموت ريتر ١٣٨٤ هـ= ١٩٦١م.
١٧- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أحمد بن محمد بن خلكان. حققها إحسان عباس – دار الثقافة، بيروت- ١٩٧٠.
١٨- معجم الأدباء: ياقوت – طبعة مرجليوث.

فوضى المصطلح اللساني

د. وليد محمد السراقبي

تُقسم اللغة من وجهة النظر التداولية والتواصلية إلى مستوى عام وآخر خاص، وهذا المستوى تمثّله المصطلحات في كل علم من العلوم؛ ذلك أنَّ أهل كل علم محتاجون إلى الإيجاز والاختصار ليتحقق لهم التواصل فيما بينهم في حقول اختصاصهم. ولا يقوم الوجود الحقيقي لهذه المصطلحات إلا بإنماء المفردات الجديدة، وبإعادة نشر المفردات أو التراكيب الناجزة بمعانٍ جديدة.

وقد شغلت قضية نقل المصطلح وترجمته الباحثين والمفكرين في نقل العلوم منذ رفاعة الطهطاوي وحتى يومنا هذا، فعُقدت في سبيل ذلك مؤتمرات وندوات، وأقرَّت توصيات وتوصيات، وإذا ما حاولنا تلمُّس ذلك في الواقع لم نقع إلاّ على سراب خادع.

وليست قضية المصطلح اللساني بمنجاة عن قضية المصطلح العلمي، ولاسيما أن اللسانيات أقرب إلى العلم منها إلى غيره، ذلك أنَّ قارئ كتب اللسانيات المترجمة منها أو الموضوعة بالعربية تتخطّفه أمواج الفوضى المصطلحية ما بين مغرب الوطن العربي وشرقه، وهو ما يحول دون فهم هذا العلم فهمًا دقيقًا صائبًا.

وقبل أن نحاول سَبْر أغوار فوضى المعضلة المصطلحية اللسانية لا أجد بأسًا من الوقوف عند مفهوم المصطلح، ثم أدلف إلى تلمُّس ملامح المشكلة المصطلحية اللسانية وكشف مسبباتها، لأخلص من بعد – إلى تلمُّس الطريف بأناة وصبر وتصبّر نحو وضع الحلول التي لا أدَّعي حتميتها أو تأبيها على المناقشة.

إن المصطلحات مفاهيم ومنظومات دالة مأخوذة من منظومة الدوال اللغوية، فهي غير مفصولة عن دلالاتها اللغوية[١]. إلاّ أنها تغدو مستقلة كلما أوغلت في ميدانها التخصصي. فهي ألفاظ انحرفت دلالاتها عن أصل وضعها فدخلت ميدانًا خاصًا من الدلالة، يُفصح عنها ويكشفها سياقها العلمي، الذي أصبحت حكرًا عليه من بعد[٢].

وإذا حلا لبعضهم أن يجانب الصواب فيعقد الصلة بين المصطلح والعلوم التقنية فيقصره عليها أو يخصّه بها، فإنّ المصطلح – في حقيقة الأمر – ليس كما يرى هؤلاء؛ ذلك أن الحقيقة المصطلحية تبسط أجنحتها على ألفاظ الحضارة كافة، وتنضوي تحتها ألفاظ علوم الاجتماع، والحياة الإنساينة، والحياة العامة، فلا تبقى حكرًا على العلوم التقنية أو محصورة فيها[٣].

فكل لفظ له ثلاثة مستويات، الأول: المعنى الاشتقاقي، وهذا المستوى مرتبط بجذر اللفظ في الطبيعة، وهو معنى إلى الثبات أقرب. والثاني: المعنى العرفي، فالعادة تعطي اللفظ معناه، وهذه العادة يندرج تحتها الاتفاق والمواضعة والعرف والتقاليد، وهذا هو الذي يتغير من عصر إلى عصر. والثالث: المعنى الاصطلاحي، وهذا المعنى مرتبط بالمستويين الأولين مع تثبيت أحد جوانب المعنى باتجاه معيار دائم، وهذا المعنى المعياري ثابت لا يتغير.

وتتضح المعضلة المصطلحية في الدراسات اللسانية المترجمة أيَّما اتضاح، من دون تفريق بين الكتاب الجامعي أو الموضوع للمختصين. فقد كان أصحاب

(1) المزيني، د. حمزة: التحيّز اللغوي، سلسلة كتاب الرياض، ع ١٢٥، ٢٠٠٤م.

(2) المسدي، د. عبد السلام: قاموس اللسانيات، ص ٨٧.

(3) الخطيب، أحمد شفيق: منهجية بناء المصطلحات، مجلة مجمع اللغة العربية، مج ٧٥، ج٣، ص ٥٠٣.

الترجمات مدفوعين بالرغبة في إشاعة هذا العلم الجديد في الساحة العربية، وتيسير الثقافة اللسانية الجديدة ونشرها، وتحقيق السبق والريادة في تقديم مفاهيمها في زحمة العلوم والاختصاصات، ذلك أن التّرجمة أهم الوسائل التي تُسلك في وضع المصطلح، وهي مقدّمة على التعريب، ذلك أنَّ فيها سعة أفق استيعاب مضامين الألفاظ الأعجيمة في اللغة العربية(٤).

وقبل أن أصل إلى تحديد أسباب الفوضى المصطلحية في الدراسات اللسانية، يحسُن بي أنْ أعرض نماذج عما أقول. ولتكن البداية بمصطلح (اللسانيات) الذي أصبح عَلمًا على هذا الفرع من الدراسات اللغوية، فقد بلغت المصطلحات التي استُعملتْ في التعبير عنه ثلاثة وعشرين مصطلحًا بدءًا من (اللانغو يستك)، و(فقه اللغة)، و(علم اللغة)، و(علم اللغة النظري الحديث)، مرورًا بـ(الألسنية)(٥)، وَ(الألسنيات)، وَ(اللِّسنيات)(٦)، و(اللسانيات)(٧)، وهو آخر الأسماء التي اصطلح عليها المعنيون. فقد ظهر أول مرَّة سنة ١٩٦٦م في الجزائر،

(4) الشهابي، مصطفى: المصطلحات العلمية، ص ٩٣.

(5) يظن بعض الدارسين أن هذا المصطلح خاص بالمغرب عامة وتونس خاصة، والصواب فيه أن أول استعمال له كان في فلسطين ثم نما وترعرع في لبنان. وأول من وضعه أوغسطين مرمرجي الدومنيكي سنة ١٩٣٧م، في كتابه (المعجميَّة العربية على ضوء الثنائية الألسنية السامية)، الصادر عن مطبعة الآباء الفرنسيين في القدس. قاموس اللسانيات/ ٦٩.

(6) جرى تداول هذا المصطلح في المغرب العربي، وهو مأخوذ من (اللِّسْن)، ومعناه: اللغة والكلام إذا كان واضحًا بيِّنًا. ولم يُكتب لهذا المصطلح الشيوع – كما يرى د. المسدي لأنه كالمهجور، وميزانه الصرفي على قدر من الشذوذ، وبنيته غير متآلفة المقاطع نبا عنه الذوق، ولذا تخَّلى عنه مستعملوه بسرعة. قاموس اللسانيات/ ٧١.

(7) انظرها مسلسلة في: المسدي، د. عبد السلام، قاموس اللسانيات/ ٧٢.

وكان موضع اتفاق المختصين في الندوة التي أقامها (مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية) في تونس في سنة ١٩٧٨م، ثم احتضنه المختّصون في ندوة اللسانيات المعقودة في دمشق سنة ١٩٨١م، ووضع الدكتور **عبد السلام المسدي** كتابه (قاموس اللسانيات) وصدر سنة ١٩٨٤م. وبذلك يكون أبناء العربية قد توحّدوا على مصطلح واحد «بعد أن توزّعته سبل الاستعمال فصاغ له الصائغون من العبارات ما يناهز العشرين»[٨]، كما رأينا من قبل.

وعلى الرغم من كل ذلك يأتي الدكتور أحمد مختار عمر ليخرق هذا الإجماع ويعود إلى زجّنا في مصطلح (الألسنية) فنعود عودنا على بدئنا. بل يختار هذا المصطلح ليطلق على عدد كامل من مجلة عالم الفكر الصادر سنة ١٩٨٩م، وقد افتتح بحث للدكتور **أحمد مختار عمر** نفسه بعنوان (المصطلح الألسني وضبط المنهجيَّة)، مع إقراره هو نفسه بأن هذا المصطلح ليس أكثر انتشارًا من مصطلحي (علم اللغة) و(اللسانيات). وحجته أن مصطلح (علم اللغة) بحاجة إلى إيضاح مجاله وحدوده ومنهجه، لأنَّ مناهج كثيرة تقلَّبت عليه، ومرَّ بمراحل كثيرة، فقيل: علم اللغة الحديث، وعلم اللغة العام. إلى جانب أن هذا المصطلح – علم اللغة – يلتبس بتعليم اللغة، وأن مصطلح اللغوي يدلُّ على الشخص الذي أتقن عدة لغات. وأن كلمة (لغة) لم تكن تُستعمل قديمًا بمعناها المعروف الآن، وإنما كانت تستعمل بمعنى (اللهجة)، فلم ترد لفظة (لغة) في القرآن الكريم، وإنما ورد فيه كلمة (لسان). أما مصطلح (اللسانيات)، فقد احتج لذلك بأن مصطلح علم اللغة الحديث غير خاص

(8) المزيني، د. حمزة: التحيز اللغوي/ ٢١٣.

بلغة معينة، وإنما يدرس اللغات كلها ويحلل أي مستوى منها فمعنى الجمعية ملحوظ في وظيفة هذا العلم، ولذا يناسبه لفظ الجمع (ألسن) بدلاً من (لسان). وبأن التصرف في مصطلح (ألسنية) أسهل من (لسانيات)، فمن السهل أن تقول: دراسات ألسنية بدلاً من دراسات لسانياتية. ثم إن مصطلح (لسانيات) – وفق رأيه – ملبس هل هو منسوب إلى (اللسان) أم إلى (اللسانيات). وهذا المحظور يزول عندما يُستعمل مصطلح (ألسنية) اسمًا للعلم، فعند النسبة إلى الجمع (ألسني) يكون المراد النسبة إلى (العلم). أما عند استعمال مصطلح (لساني) فإن النسبة تكون إلى (اللسان) بمعنى (اللغة) لا بمعنى العلم[٩].

وعلى الرغم من ذلك يأتي مترجمًا (الموسوعة اللغوية) لـ(**ن. ي. كولنج**) ليضعا مصطلحات عدة في مقابل مصطلح (Linguistics) فيقولا: علم اللغة، ألسنية، علم اللغويات، اللسانيات، علم اللغات، وعليك أيها القارئ أن تختار وهذا برهان على جهلهما بما أصبح مستقرًّا في هذا الميدان من مصطلحات، وعلى افتقارهما إلى الدقة الناجمة عن متابعة ما يحدّ من دراسات، أو أنه ليس لهما من الترجمة إلا وضع الاسمين على غلاف الموسوعة، ولعلَّ هذا هو الأكثر رجحانًا من غيره، ومن ثمَّ إغفالهما مسألة السياق في أثناء الترجمة والاكتفاء بما تنجدهما به المعجمات الثنائية اللغوية، وهذا ليس مما ينبغي أن يقوم به متضلع (!) في الترجمة.

وفي كتاب (الألسنية الحديثة واللغة العربية: دراسة تحليلية تطبيقيَّة لنظرية الحكم النحوي والربط على اللغة العربية)[١٠]، يستعمل مؤلِّفه مصطلحات

(9) عمر، أحمد مختار: المصطلح الألسني العربي وضبط المنهجيَّة: ٨– ٩.

(10) صدر هذا في العدد ٤٠ من سلسلة (كتاب الرياض)، نيسان ١٩٩٧م، وهو من تأليف (د. محيي الدين حميدي) أحد المشاركين في الموسوعة اللغوية المذكورة من قبل.

(اللغويات) و(اللغويات العامة)، و(الألسنية) لأداء المفاهيم التي يؤدِّيها مصطلح (اللسانيات). ويستعمل مقدم الكتاب **سعد السويح** غير ما مصطلح، فيقول: اللسانيات، وعلم اللغة، وغير ذلك(١١).

ويستعمل د. محمد زياد كبَّة أيضًا عدة كلمات عند ترجمته كتاب (جون ليونز) الذي يحمل عنوان (**تشومسكي**)(١٢)، فيضع مقال (Linguistics) مصطلحات: اللسانيات، وعلم اللغة، والنظرية اللغوية، والنظرية اللغوية الحديثة، والأعمال النحوية، والمصطلح الأخير أغر بها وأبعدها عن الصواب(١٣).

صحيح أن لمصطلح (الألسنية) منزلة من التجريد عن طريق النسبة النعتية إلى لفظ خالص الاسمية يتفق اشتقاقيًا مع المصدر الصناعي، ويتصف بالطواعية لاشتقاق نعوت كثيرة منه، نحو: ألسنيّ، وألسنيِّين. إلا أن هذا المصطلح «وجد صعوبة في التمثُّل في أذهان المختصين فعدلوا عنه، لأنه ظل متلبِّسًا باسم النسبة إلى الجمع»(١٤). وهو في الوقت نفسه خروج مصطلح اللسانيات الذي كان موضع إجماع في غير ما ندوة أُقيمت في شرق الوطن العربي ومغربه، ثم إنه يتسم بالاتساق من جهة، والتجريد العالي من جهة ثانية، وشمولية التصور من جهة ثالثة(١٥).

---

(11) للاستزادة في تعرف مثالب الكتاب انظر: مراجعات لسانية، ج٢ مقال (الجرأة على نشر العبث)، ص٧٣ وما بعدها، ففي ذلك غناء عن إعادته هنا.

(12) صدر هذا الكتاب عن النادي الأدبي في الرياض، ط١، ١٩٨٧م.

(13) ليونز، جيون: تشومسكي، النادي الأدبي، الرياض، ط١.

(14) المسدي، د. عبد السلام: قاموس اللسانيات: ٧٠.

(15) نفسه/ ٧٢.

ولنزيد الأمر وضوحًا لابأس من أن نقف عند أمثلة أخرى ففي الإحصاء الذي قام به المرحوم الدكتور أحمد مختار عمر[١٦]، للمقابلات العربية التي وُضعت في مقابل المصطلحات الإنكليزية:

١- phonem.

٢- Allophone.

٣- Phone.

تبيّن أنَّ المصطلح الأول كان له أحد عشر مقابلاً، هي على التوالي: فونيم، صوتم، صوت/ صوتم، فونيم، فونيمية، صوتيم، صوت مجرد، صوتية، مستصوت، لافظ. وأن المصطلح الثاني وضع له ستة مقابلات: هي: ألوفون، صوتم تعاملي، ألوفون/ متغير صوتي، ألوفون، بد صوتية، ووقفت على مقابل سابع هو: مصطلح بديل صوتي في (**القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان**) الذي أصدرته جامعة البحرين سنة ٢٠٠٢م بترجمة د. **منذر عياشي**.

وأما المصطلح الثالث (Phone) فكانت له أربعة مقابلات هي: فون، صوت، صوت لغوي، صوت كلامي، ووقفت على مقابل خامس في الموسوعة المذكورة منذ قليل، وهو مصطلح (صويت). أما عدد عينات الدراسة فكان تسع عينات.

وتباينت المصطلحات المقابلة لـ (Morpheme) والمصطلحين المرتبطين به، وهما: (Allomorph) و(Morph)، فكانت على التالي:

١- Morpheme، ومقابلاته: مورفيم، صيغم، وحدة صرفية، مورفيمة، صرفية مجردة، صرفية.

(16) عمر، د. أحمد مختار: المصطلح الألسني العربي وضبط المنهجيَّة، ص ١٢.

٢- Allomorph: ألو مورف، شكلم، متغير دلالي، بد صرفية.

٣- Morph: مورف، تشكل[١٧].

ومن الأمثلة كذلك مصطلح (Lexeme) الذي وُضعت له مصطلحات عربية هي[١٨]: وحدة معجمية، لكسيم، مفردة مجردة، معجمية، مفردة معجمية، مادة لغوية، مَأْصل[١٩]:

وكذلك مصطلح (diachronic) الذي وُضعت له المقابلات الآتية: تطوّري، متعاقب، تعاقبي، تاريخي، زماني، تعاقبية. ووضع محمد الخولي مقابلاً لمصطلح (affricate) مقابلاً هو: الانفجاري الاحتكاكي، وترجمة د. **محمد رشاد الحمزاوي** بـ(شديد) ووضع له د. **أحمد مختار عمر** مصطلحات: مَزْجي، مركَّب، شديد، رخو.

ووُضعت لمصطلح (assimilation) المقابلات الآتية:

١- عند **الخولي**: تماثل، مماثلة.

٢- عند **الحمزاوي**: شديد، تماثل.

٣- في **الموسوعة اللغوية**: مماثلة، تماثل، مجاورة، مشابهة، انسجام.

---

(17) نفسه، ص١٣.

(18) المسدي، د. عبد السلام: قاموس اللسانيات: ٢٠٧، وبكرو، أوزاولد: القاموس الموسوعي الجديد: ١١١٤، وكنج، ن،ي: الموسوعة اللغوية ١٠٢٣.

(19) قاموس اللسانيات: ٢٠٧، والقاموس الموسوعي الجديد: ١١١٤، والموسوعة اللغوية/ ١٠٢٣.

٤– في **القاموس الموسوعي**: إدغام[٢٠]، مماثلة، مجاورة، استيعاب.

فإذا كان أمر المصطلح اللساني على ما ذكرناه، وهذا لا يعدو أن يكون نماذج معدودة، فهل نستطيع بعد صور الفوضى التي رأينا أن نتفق مع الدكتور محمود فهمي حجازي الذي ادَّعى أن بناء المصطلح اللساني مستمرٌّ على نحو من الاطراد والخلاف المحدود؛ وأن استخدام هذه المصطلحات المطّردة — وفق رأيه – يحسم الخلافات المحدودة في المصطلحات. ولاسيما أن الدكتور محمود حجازي نفسه أشار إلى أن (ريمون طحان، قد استعمل مصطلحين مختلفين للتعبير عن مفهوم واحد، فقال: العلوم اللغوية، والعلوم الألسنية، والألسنية، وسمَّى المختصين فيه باللغويين والألسنيين. وأنّ صالح القرمادي في ترجمته كتاب (جان كانتينو): (دروس في علم الأصوات العربية) الصادر سنة ١٩٦٦م سمَّاه علم اللغة، وأطلق على المختص في ذلك اسم (اللغوي)، وأطلق مصطلح (الألسنية) ذا الأصل المشرقي على علم اللهجات، وسمّى المختص باللهجات (ألسنيًا). وقام الدكتور **أحمد مختار عمر** في البحث الذي تكرَّر ذكره باختيار مصطلح (الألسنية) ليطلقه على علم اللغة، وساق من الحجج الكثير، ومعلوم أن مصطلح (علم اللغة) و(الألسنية) ليسا مترادفين = فهل بعد ذلك كله يُقبل من الدكتور محمود حجازي ادّعاء الاطراد

(20) ترجمة هذا المصطلح بـ(إدغام) غير صحيحة، ذلك أن الإدغام تغيّر صوتي يؤدي إلى حرف مشدَّد كما في (بدَّد). أما المصطلح (assimilation) فيراد به تحوّل صوتين مختلفين اختلافًا نسبيًا إلى صوتين متقاربين نسبيًا، أو متماثلين، كما في إبدال (اصتلح) إلى (اصطلح)، و(ازتهر) إلى (ازدهر)، فتماثل (التاء) و(الطاء) لا يعد إدغامًا، وكذلك في التاء والدال. انظر: حجازي، د. محمود فهمي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، ط١، دار غريب للطباعة، القاهرة، ١٩٧٧م، ص ص ١٦٦– ١٧٠.

وقلة الخلاف في المصطلح اللساني.

وليس الأمر مقصورًا على التعدّدية في المصطلح اللساني فحسب، بل يتعداه إلى تعدد رسم اسم العلم عند المترجمين بل عند المترجم الواحد. ولأضرب على ذلك مثالين فقط، أولهما من كتاب الدكتور محيي الدين حميدي الآنف الذكر، فقد ورد فيه اسم اللغوي المشهور **تشومسكي** مرة بهذا الرسم، ومرة أخرى برسم (**شومسكي**). أما المثال الثاني فهو من القاموس الموسوعي الجديد السابق ذكره أيضًا، فقد ورد فيه اسم اللساني (troubetzkoy) في صفحتين متتاليتين على النحو الآتي: تروبيزكوي، ثم تروبيتسكوي. وقل الأمر نفسه بالنسبة إلى اللغوي الفرنسي الشهير (**فردينان دي سوسير**)، فليس ثمة أدنى اتفاق على رسم موحّد لاسمه.

كل ذلك فضلاً عن الخطأ في وضع المقابل الصحيح للمصطلح الأجنبي أو ترجمته، على نحو ما نجده في ترجمة (universal) الذي يترجمه اللسانيون العرب بـ(عالمي)[٢١]، فيقولون في (universal grammer)[٢٢]، النحو العالمي أو القواعد العالمية. وإنما المقصود به: الكليات العامة التي تشترك فيها اللغات جميعها. وترجم د. محمد زياد كبة مصطلح (Arbitrary) بـ(كَيْفي)، وهذا

(21) القاموس الموسوعي الجديد: ١١٣٧، والموسوعة اللغوية/ ١٠٥٧.

(22) ترجمها محيي الدين حميدي وزميله في الموسوعة اللغوية بـ(عالميات النحو)، وترجمها المسدي في قاموس اللسانيات بـ(كوني). ولم أجد أحدًا ترجمه بـ(كليات)، وهو الصواب، إلا د. محمد زياد كبة في ترجمته كتاب (مدارس اللسانيات: التسابق والتطور) لـ(جفري سامسون)، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، ١٤١٧هـ.

مصطلح فلسفي يُراد به الهيئة القارة في الشيء لا يقتضي قسمة ولا نسبة لذاته. والصواب في ترجمته: اعتباطي أو عشوائي. وكذلك ترجمته – أعني د. كبة – مصطلح (Uneversal Substantiqe) بـ(العالميات الحقيقية) وهو مصطلح لا مؤدًّى له، والصواب: الكليات الجوهرية أو الكليات الموضوعية[٢٣].

إن لهذه الفوضى أسبابها الكثيرة، من بينها:

١– الارتجالية والحماسية.

٢– الفردية وادعاء السبق والريادة، وانعدام الروح الجماعية.

٣– تعدُّد مشارب اللسانيين ومصادرهم.

٤– النعرة القطرية.

٥– الجهل بأصول علم المصطلح.

٦– انعدام المنهجيَّة الموحَّدة في التعريب.

٧– تولِّي دور النشر – وهي في الغالب ملك لأفراد – إصدار المعجمات المصطلحية.

٨– عدم وجود هيئة عربية قومية يقتصر العمل فيها على الميدان المصطلحي.

٩– الخلط بين الشرح والتفسير والمصطلح، كقولهم في: Etymology علم تاريخ الكلمات، والصواب: التأثيل، أو التأصيل.

١٠– غياب المبادئ المصطلحية.

إن المصطلح المثال لابد فيه من شروط حدَّدها كل من (**هيربيرت بيشت**)،

(23) مراجعات لسانية، ج١، ص ١٦٣.

و(**جينيفر دراسكاو**)، ومنها[٢٤]: وجود الحافز الواضح لوضعه، واستغناؤه عن الشرح والتفسير، وخلوه من الزيادة والحشو، والاستغناء عن الترادف والتعددية المعنوية، والاتسام بدرجة العالمية، والقابلية للاشتقاق، والاتفاق مع القواعد التركيبيَّة للغة[٢٥]، والإيجاز غير المخل بوضوحه، والدقة المتناهية، والوحدة، وتحميل المصطلح مفهوم مدلوله وموافقته في المعنى والبنية[٢٦].

وكذلك ثمة صفات يجب أن يتلبَّس بها واضعو المصطلحات، ومن أهمها: البراعة في لغتين على الأقل، وإتقان الاختصاص العلمي، والأرضيَّة التراثية العلمية في الاختصاص، والدافعيَّة، والموهبة والكفاية، والخضوع لبرامج تأهيل مرسومة في وضع المصطلح وترجمته وتعريبه، والقدرة على التخلّي عن الأنانية والعمل بروح الجماعة، والثقافة الشاملة المنفتحة.

وقد يقول قائل: إنَّ ثمَّة معاجم كثيرة ضمَّت كثيرًا من المصطلحات الخاصة

(24) بيشت، هربرت، وجينفر دراسكاو: مقدمة في المصطلحية، ترجمة د. محمد حلمي هليل، جامعة الكويت، ٢٠٠٠م، ص ص ١٦٦– ١٧٠.

(25) التفت علماؤنا – رحمهم الله –إلى هذه الناحية فأقرُّوا أن لكل لغة خصائص معيَّنة؛ فالألفاظ الأعجمية – على سبيل المثال – لا توزن، لأنَّ الوزن الصرفي في العربية متوقف على معرفة الأصلي والزائد وهذا الأمر لا يتحقق في اللفظ الأعجمي. ومن هنا لا يمكن أن تطرد الأسماء الأعجمية في الأوزان العربية على أساس من التأصيل والاشتقاق أو الطبيعة الصوتية، فيمتنع لذلك صوغ قواعد عربية لمادة غير أصيلة في العربية. انظر: بوبو، د. مسعود: أثر الدخيل على العربية في عصور الاحتجاج، وزارة الثقافة بدمشق، ط١، ١٩٧٨م، ص ١١٨.

(26) الخطيب، أحمد شفيق: منهجية بناء المصطلحات، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج٧٥، ج٣، ص ٥٣٠.

باللسانيات، مثل: **معجم علم اللغة النظري لمحمد علي الخولي، ومعجم مصطلحات علم اللغة الحديث، ومعجم علم اللغة التطبيقي، وقاموس اللسانيات**، وغيرها وغيرها، وإليها يكون المفزع ومنها تُؤخذ الاستشارة.

إلا أن هذه المعجمات – مع تقديرنا لكل من أسهم في وضعها – يمكن أن نتفق مع المرحوم الدكتور أحمد مختار عمر في **جملة** الصفات التي تتسم بها، ومنها:

١– الفردية، فهي ليست أكثر من جهود قام بها فرد أو مجموعة أفراد.

٢– لا تتفق في منهجيَّة معينة في الوضع المصطلحي.

٣– ليست مستوعبة المصطلحات كلها.

٤– ليس فيها شرح للمصطلح يحدِّد مفهومه على غرار معاجم المصطلحات في هذا العلم، مثل معجم (oxford) للسانيات، ومعجم (Liguistics And Phonetics) لـ (David Crystal) وغيرهما.

٥– أنَّ فيها مصطلحات واشتقاقات غير متسقة مع لغة اللسانيات، نحو: التأسيم (Nominalisation)، و(ميتا متغير) في مقابل (Natauariable)، والتبئير في مقابل (Facabryation) و(موجوز) في مقابل (Abreviation).

٦– الترادف: وهو مفضٍ إلى اللبس المصطلحي؛ لأنه يوحي بوجود فروق دلالية لا وجود لها أصلاً، وهذا يؤدي إلى إيجاد صعوبة في التواصل.

٧– التداخل المصطلحي كاستعمال واضعيها مصطلحي (حرف) و(صامت) للتعبير عن مفهوم واحد.

٨– الاستخدام الملبس للمصطلح بوضع مصطلح تراثي لأداء مفهوم حديث، مما يؤدي إلى التمزق والحيرة بين دلالة التراث ودلالة الحداثة. وقد سبق لي أن عرضت لمثل اللَّبْس في استخدام مصطلح (**الإدغام**) مقابلاً لـ

(Assimilation) وما هو بذاك[٢٧].

وإذا كانت بعض الاصطلاحات الصوتية الموروثة عن علماء العربية تتسم بشيء من الثبات والاستقرار، فلا خلاف بينهم حول دلالة مصطلحات مثل: حلقي، وحنكي، وشفوي، وأسناني، إلا أن ثمَّة مصطلحات خالفت ما اتُّفِق عليه في المصطلح التراثي، كتقسيمهم الاسم إلى منصرف وغير منصرف، والأول يقبل علامات الإعراب الثلاثة وهي الضمة، والفتحة، والكسرة، والثاني لا يقبل إلا علامتين هما: الضمة والفتحة وقد وضع لهذا النوع مصطلح (Triptote)، فعاد اللغويون فترجموه بـ(**ثالوث إعرابي**)[٢٨]، وترجمه عبد الصبور شاهين بـ(ذو الأحوال الإعرابية الثلاثة) و(**المتصرِّف**) [٢٩]. وهذا الأخير له في التراث العربي دلالة أخرى. وترجم المسدي مصطلح (Diptote) بـ(**ثنائي الصرف**)، وهو عند عبد الصبور شاهين (**ذو حالتين إعرابيتين**) (**غير المنصرف**).

ولا يخفى أنَّ هذه الفوضى المصطلحية سينجم عنها فوضى أخرى في فهم مداليل هذه المصطلحات من جهة، والقطيعة الثقافية والعلمية بين مشرق الوطن العربي ومغربه والدليل على ذلك أن ثمةَ كتبًا تُترجم في المغرب تعود بالفائدة على المشارقة والعكس صحيح؛ ذلك أن مضمون علم اللسانيات سيكون (اللغة) عند مترجم، و(الكلام) عند آخر، و(اللسان) عند ثالث. فلا قيمة لأي كتاب

(27) ومن ذلك أيضًا التعبير عن (Nominative) بمصطلحي (حالة الرفع) و(الفاعلية)، وهما مصطلحان متباعدان وملبسان.

(28) قاموس اللسانيات، ص ١٧٧.

(29) فلشر، هنري: العربية الفصحى، ترجمة د. عبد الصبور شاهين، دار المشرق، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م، ص٢٢٤.

مترجم إذا لم يقم صاحبه بتفريق واضح بين المفاهيم الثلاثة من خلال التدقيق في وضع مصطلحات دقيقة تعيِّن كلاً منها.

بعد هذا العرض لهذه الفوضى هل هناك إلى خروج من سبيل؟ إن سبيل الخروج يمكن أن نجملها في الجوانب الآتية:

١– منها ما يتعلَّق بالمصطلح والمعجمات الخاصة به.

٢– منها ما يخص واضعي المصطلح أفرادًا ومؤسسات.

٣– منها ما يخصُّ السبل التي يمكن نهجها في وضع المصطلح.

أما ما يخصّ المصطلح فيمكن أن نفرده بالنقاط الآتية:

أ– التأصيل التراثي، ذلك أن الاتكاء على غير العربية في كل مجالات الحياة لا يعدو أن يكون انتقاصًا من قيمة لغتنا العربية، وتعبيرًا عن الإيمان بقصورها عن الوفاء بحاجاتنا التعبيرية، وعن أن تكون هذه اللغة لغة التفكير والعلم والتقنية.

وقد أكّدت ندوة وضع المصطلحات المعقودة في الرباط سنة ١٩٨١م أولوية التراث في وضع المصطلحات، وهذا من البَدهيّ بمكان، ذلك أن اللغة العربية معروفة بغناها على صعيد الفكر والحضارة. فقد كان لها اليد الطولى في تقديم معين ثرٍّ من المصطلحات عبر تاريخها الطويل. وكانت لغة العلماء، بل لغة الشعوب التي دخلها الإسلام، وكانت وحدها لغة العلم لا تنازعها أية لغة أخرى مكانتها تلك، فهي وسيلة الكتابة؛ ووسيلة الحوار إذا تنافرت أصول العلماء.

وقد تقصَّى المؤرّخ **فيليب حتّي** عدد الألفاظ العربية التي دخلت الإنكليزية فكانت خمسة آلاف كلمة، وارتقى المستشرق (**آرثر جفري**) هذا العدد إلى

الضعف[٣٠].

إن الحفريات المصطلحية في التراث، والتنقير الدؤوب في نصوصه بغية تسجيل الكلمات الجديدة والربط فيما بينها من بعد، كل أولئك خطوة لا غنى عنها في تقديم أنماط الاستعمال وتمثيلها[٣١]. ولنا من مصطلح (اللسانيات) خير مثال، فقد سبق أن رأينا أنه قد وضع له ما يناهز عشرين مصطلحًا، مع أنه سبق لابن سيده (-٤٥٨هـ) ذكره في مقدمة كتابه (المحكم)، فلو اطلع عليه المختصون لكفاهم مؤونة الفوضى والتشتت في المصطلح.

إن المصطلح «الأصيل المستمد من التراث، أو ذلك المسكوك بالوسائل المتاحة... يجب أن يكون الهدف الأسمى لوضع المصطلح العربي»[٣٢].

والمصطلح التراثي الأصيل أفضل من أي مصطلح أوربي مركّب. ولأضرب على ذلك مصطلح (Point articulation) الذي ترجم إلى (موضع النطق) مع أنَّ في تراثنا العربي مصطلح (**المخْرج**)، وهو أكثر إيجازًا واختصارًا، وليس أقل أداء للمعنى من المصطلح الأول.

ب- الدقة المتناهية: لأن دقَّة المصطلح وتناغمه المبنوي وخصوصيته، كل ذلك كفيل بالدفع به إلى ميدان الاستعمال وإزاحة ما سبقه من مصطلحات قد لا تصل إلى مستوى رقته وتناغم مبناه. وسأضرب على ذلك أمثلة من المصطلح

(30) منهجية بناء المصطلحات، ص ٤٩٨.

(31) التحيز اللغوي.

(32) الضبيب، د. أحمد محمد: اللغة العربية في عصر العولمة، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠١م.

الطبي، فقد عرّبت كلمة (Perition) إلى (بريطون) و(بريتون) مع أن في تراثنا مصطلح (صفاق)، وهذا المصطلح بقي مضمنًا في معجم (**دورلندا**) على مدى خمس وعشرين طبعة. ومثل ذلك مصطلح (arote) أو (aorta) الذي عُرِّب إلى (أرطي) مع أن في تراثنا مصطلح (الوتين) أو (الأبهر).

وما تقدّم ذكره من أمثلة وهي أكثر من أن تُحصى، يردّ على من يتهم تراثنا بالمحدودية في الساحة العلمية بالمصطلحات المناسبة متذرعًا بكثرة المفاهيم، أو بقصر عمرها، أو بعجز المصطلح التراثي عن منافسة ما استقرَّ من المصطلحات. إنَّ من المؤسف حقًا أن نجد لسانيًا مثل **د. عبد القادر الفاسي الفهري** يحذر من استعمال المقابلات العربية التراثية، لأنّ ذلك – في رأيه – يخلق توهّمًا بصدق المصطلح العربي[٣٣].

ج– مراعاة النمط اللغوي العربي وإغفال النحت: من ذلك المصطلحات المبدوءة بـ(السابقة الإنكليزية) (inter) كما في (inter lextual) والمراد بها (بين نصيَّة). وباللجوء إلى النحت تُرجمت إلى (بينصيّة) ومثلها (بيصائتي). وفي هذه الطريقة نأي عن النموذج اللغوي العربي[٣٤]. وإفضاء إلى إدخال صيغ لا تنسجم والموازين العربية الصرفية والاشتقاقية[٣٥].

والنحت – على أنه موجود – قليل الاستعمال قديمًا وحديثًا. ففي العيِّنة التي كانت تضم ثلاثة معاجم عدد جذورها (١١٢٣٣) مصطلحًا، لا يتجاوز عدد المصطلحات المنحوتة ١٣ مصطلحًا، كما بيّن الباحث أحمد شفيق

(33) المصطلح الألسني وضبط المنهجية، ص ٥٨٣.

(34) الأسس اللغوية لعلم المصطلح، ص ٢٢٧.

(35) المصطلح الألسني وضبط المنهجية، ص ٥٨٧.

الخطيب. وأضاف أيضًا أنّ عدد المنحوتات الشائعة الناجحة لا تزيد على (مئة) عدًّا، أي بنسبة (٠.٥%)[٣٦]، وهي نسبة ضئيلة جدًا تدفع الباحث إلى تنكّب هذه السبيل في وضع المصطلح ما وسعه ذلك.

د- ترك الترادف والاشتراك والتضاد، ذلك أنَّ لكل مصطلح دلالة على مفهوم معرفي في مجال معرفي ما، وتعدُّد المترادفات مفضٍ إلى فوضى فهم الدلالة من جهة، ومؤشر على ضبابية المصطلح من جهة ثانية[٣٧]. ولذلك أجدني مدفوعًا إلى مخالفة الدكتور محمود فهمي حجازي الذي ذهب إلى أن بعض اللغات كاللاتينية تميّز بين مصطلحي (**الجر**) و(**الإضافة**)، لذلك ارتأى أن يُستعمل هذان المصطلحان مقابل مصطلحي (gonitive) و(dative). وفي تراثنا النحوي يُطلق مصطلح (**الإضافة**) على حروف الجر أيضًا، فيقال عنها: حروف الإضافة، لأنها تضيف معنى الفعل إلى الاسم، لذا أرى أن يقتصر على مصطلح (**الإضافة**) فحسب، ويترك أمر الفصل بين الحرف والاسم إلى التحليل السياقي.

٥- إيجاد المشابهة أو المناسبة أو المشاركة بين المدلول اللغوي للمصطلح ومدلوله الذي استقرّ عليه في الاصطلاح[٣٨].

٦- الربط بين اللفظ أو سياقه المصطلحي، فلا مانع من أن نجد مصطلحات مثل: النموذج، والمثال، والمنوال. إلاّ أن كلَّ واحد منها له سياقه

(36) منهجية بناء المصطلحات: ٥٢٢.

(37) قاموس اللسانيات /١.

(38) وهذا – أحد المبادئ التي أقرّتها ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلحات الجديدة المعقودة بتاريخ ١٨- ٢٠/ ٢/ ١٩٨١م.

النوعي تصوُّرًا واستعمالاً، لأن أي اقتطاع لهذا المصطلح أو ذاك عن سياقه سيكون مدعاة إلى الغموض واللّبس في استعماله من جهة، والحدِّ من محاولة إيجاد مصطلح أكثر دقة للدلالة على المصطلح الأجنبي. وكلّ ذلك إنما يكون في اطلاع المستعملين للمصطلح في نسيج البحث العلمي(٣٩).

أما ما يتعلّق بواضعي المصطلح أفرادًا ومؤسسات، فيوصى بما يأتي:

١– الاهتمام بقضيّة التأصيل المصطلحي في المرحلة الجامعيّة، ووضع مقرّر خاص بالمصطلح والمصطلحيّة في كل حَقْل تخصّصي.

٢– حَصْر مصطلحات التخصُّص الدقيق لوضع مقابلات لها على نحو يحقق الفروق الدقيقة بين هذه المصطلحات من جهة، والروابط بين كل المصطلحات المنتمية إلى حقل دلالي واحد من جهة أخرى.

٣– تواصل الجهود العلمية فيما بين المصطلحين وتوحيدها والتخلي عن الأنانية من جهة والنُّعَرة القطرية من جهة أخرى. ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره الدكتور حمزة المزيني أن بعض المشارقة استعمل مصطلح (**علم الأصوات الوظيفي**) في مقابل المصطلح الأجنبي (phonology)، وهو مصطلح مقصور على الدلالة على اهتمام واحد من جملة اهتمامات العلم الذي يُطلق عليه، وأن بعض المغاربة اقترح مصطلح (**الصِّواتة**) وهو مصطلح أعمّ وأشمل إلاّ أنه غير منتشر بسبب عدم اطِّلاع المختصين عليه، أو بسبب النّعرة القطرية أيضًا. ومثل ذلك مصطلح (صَوْتم) الذي اقترح مصطلح (صوتية) بديلاً عنه(٤٠).

٤– تتبع المصطلح في كل اللغات العالمية أو الدوريات والمجلات التي تصدر

(39) المزيني، د. حمزة: التّحيّز اللغوي/ ١٢.

(40) التحيز اللغوي /٢١٤.

في العالم، ووضعها أمام أصحاب الشأن والاهتمام سواء أكانوا مؤسسات أم أفرادًا[٤١].

٥- توحيد المصطلحات ومنهجية وضعها.

٦- إنشاء كلية خاصة للترجمة.

٧- إنشاء بنك مصطلحي.

٨- وضع المعاجم المختصَّة بكل حقل دلالي.

٩- إنشاء مركز خاص يقوم بترشيح الأعمال التي تنبغي ترجمتها وفق أسس علمية صارمة، ثم تقويم الأعمال بعد ترجمتها، وفي إنشاء هذا المركز تشجيع للتواصل العلمي من جهة، ومنع تكرار الأعمال المترجمة من جهة ثانية، وتوحيد للمصطلح من جهة ثالثة. والأمثلة على فوضى الترجمة وفوضى الكتب المترجمة أكثر من أن يحصرها عدّ، فثمة ثلاث ترجمات لكتاب سوسير، ومثلها لكتاب **تشومسكي**، وأخرى لكتاب (**الثورات العلمية**) كما ذكرنا من قبل، وهكذا تضيع الجهود.

١٠- وضع المعاجم ذات الاختصاص الواحد التي تمحِّض المفاهيم والمتصوَّرات، ليصبح للعلم أدواته التي يختزل أصحابه بها مسالكهم في التدارس والتواصل. وتعميمها وتدارسها وعقد ندوات للوقوف على محاسنها ومثالبها للعمل على تلافيها. وهذه المعاجم يجب أن تتصف بالصفات الآتية على الأقل[٤٢]:

أ- مقابلة المصطلح بالتعريف الذي يكشف مفهومه ويبيِّن حدوده لا

(41) الخوري، شحادة: العربية لغة العلم، مجلة مجمع اللغة العربية، مج٧٣، ج٤، ص ٨١١.

(42) قاموس اللسانيات /٩٦.

الاكتفاء بمجرد وضع مقابل عربي له.

ب– الدقة والشمول، فلابد من وضع هيكلية دقيقة محكمة تنأى به عن التداخل في المفاهيم.

ج– أن يخلو من الترادف والاشتراك والتضاد.

د– أن يقتصر على إيراد مصطلحات العلم المخصوص به.

هـ– انطلاقة من رؤية شمولية للدوال والمدلولات.

و– احتواؤه على الشرح وضرب الأمثلة.

ز– أن ينزل المصطلح ضمن شبكة الدوال الفنية التي يتبناها ذلك العلم بالذات، فلا يعزل اللفظ عن حقله الدلالي أو سياقه المصطلحي.

ح– أن يكون متعدد الألسنة أو ثنائيًا على الأقل.

فظهور القاموس المختصّ تجسيد لإحدى منعرجات العلم الحاسمة في مسيرته، وأولها:

١– التأسيس.

٢– تأسيس المنظومة الاصطلاحية.

٣– تأسيس فلسفة العلم. وهو بالتالي يمحِّض المفاهيم والمتصوَّرات ويجعل للعلم أدواته التي يختصر فيها أصحابه سبلهم في التواصل والمدارسة[٤٣].

٤– يجب أن يتصف واضع المصطلح بدقة المعرفة بما يريد إطلاق تسمية مصطلحية عليه، وبالمقدرة اللغوية على اختيار اللفظ المناسب وسعة المخيلة لإيجاد الرابط بين الاسم والمسمَّى. وقد مثَّل د. حمزة المزيني على ضعف المقدرة اللغوية لدى الذين حاولوا وضع مصطلح مقابل لـ (Linguistics) ذلك أنهم

(43) قاموس اللسانيات /٨٨.

وضعوا أكثر من ٢٢ مصطلحًا كما رأينا من قبل، قبل أن يستقرّوا على المصطلح الأخير (**اللسانيات**)، هذا مع وجوده في **المحكم لابن سيده** المتوفى سنة (٤٥٨)[٤٤].

أما السُّبُل التي يمكن سلوكها في وضع المصطلح، فيمكن حصرها في:

١– الترجمة: وهي الخطوة الأولى التي يمكن الابتداء بها إذا أعيتنا سبل الحصول على المصطلح عبر الحفريات التراثية. وهي المرحلة التي يمكن سلوكها في سبيل تخطِّي عامل الزمن، وتليها مرحلة تهذيب المصطلحات المترجمة وتهذيبها. وفي هذه المرحلة لابد من توافر جملة من الشروط الفنية والموضوعية، منها[٤٥]:

١– معرفة المصطلحات باللغتين المنقول إليها والمنقول منها.

٢– معاينة الحقول الدلالية في اللغتين أيضًا، ففي ذلك ضمان لتلافي فوضى الترجمة.

٣– إيجاد التناسب بين الحقول الدلالية في اللغتين.

٤– هجر ما ليس له مقابل في اللغة المنقول إليها.

ب– التوليد: وهو يشمل:

أ– التوليد المعنوي عن طريق المجاز والتضمين.

ب– التوليد المعنوي/ المبنوي، عن طريق الاشتقاق والنحت، والتركيب، والترجمة، والتعريب الجزئي.

ج– الاشتقاق واستغلال أوزان اللغة العربية وصيغها.

---

(44) التحيز اللغوي /٢١٠.

(45) انظر: سواعي، محمد: أزمة المصطلح في القرن التاسع عشر، ص ١١٦، والمصطلح الألسني، ص ٥٨٦.

د- الإقلال من النحت، كما في Allomorph فعدت (allo= بَدْ)، و(morph صرفي)، ونحت منها مصطلح (بَدْ صرفي)، وفي Allophone= بَدْ صوتي. وهذا المنهج قال به الأمير مصطفى الشهابي في (**معجم الألفاظ الزراعية**)[٤٦]، فجعل هذه الخطوات تالية لخطوة الترجمة. وتبنَّى هذه الخطوات عبد القادر الفاسي الفهري من بعد[٤٧]. وجعل كل منهما خطوة التعريب التي سنخصها بالحديث في الفقرة التالية، آخر الخطوات. ففي دراسة أجراها **د. وجيه عبد الرحمن** جعل ميدانها ٣٠ ألف مصطلح في معاجم الطب والتشريح، انتهى إلى أن التوليد بالاشتقاق قد كان من ١٥٠ جذرًا لغويًا فقط، وفي هذا بيان لأهمية الاشتقاق في توليد المصطلح[٤٨].

٢- التعريب: وهو على خلاف الترجمة، فإذا كانت الترجمة تُعْنى بنقل المصطلح من لغته الأم إلى مقابل له في اللغة العربية، فإنَّ التعريب يُعْنى بنقل المصطلحات من اللغة الأجنبيَّة وتطويعها لملائمة الذوق العربي في النطق؛ أي هو صقل اللفظ الأعجمي وإخضاعه لنهج العربية وإعطاؤها جنسية لغوية عربية[٤٩].

إن الترجمة والتعريب مسلكان متلازمان يُفضيان إلى نمو اللغة العربية

(46) الشهابي، مصطفى [نقلاً عن: الخوري، شحادة: التعريب والمصطلح، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج٧٣، ج٤، ص٨٠٩].

(47) المصطلح الألسني، ص ٥٨٣.

(48) منهجية وضع المصطلحات، ص٥١٧.

(49) المبارك، محمد: فقه اللغة، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٢م، ص ٢٩٢، وعالم الفكر، مج١٩، ع٤، ١٩٨٩م، منهجية وضع المصطلحات، ص ٥٠٦.

ومواكبتها الحضارة وبناء نهضة جديدة، ويحققان للغة العربية بعديها القومي والإنساني، هذين البعدين اللذين سعى الاستعمار من قبل والعولمة من بعد إلى تعطيل العربية عن أدائهما، وسعى إلى رسمها بميسم التخلُّف، فجعل – عن طريق محاولة إحلال اللغة الأجنبية محلَّ اللغة – الأم – العربية عقدة لدى أبنائها، يرفعون عقيرتهم بين الحين والآخر في التعبير عن مصاعب التعبير بها.

وليس التعريب يتناقض مع دراسة اللغة الأجنبية ولا يقف ضد تعليمها أو تعلُّمها، لأنَّ الاستمرار في تعلُّمها أمر ضروري في مواكبة العربي غيره من العلماء وتعرّف منجزاتهم العلمية، وآخر ما توصَّلوا إليه فيسد بذلك الهوَّة التي بين تحصيله العلمي وبين التطور العلمي الذي حصل عبر أجيال متطاولة، وهو من جهة دليل على التواصل مع اللغات الأخرى(٥٠). بل على العكس من ذلك يعدُّ التغريب خنقًا للعربية وإحقاقًا للطوق عليها، ومانعًا من تطوّرها، وجعلها مقصورة على الأحاديث اليومية فحسب(٥١).

وللتعريب – كما يبيِّن الأستاذ **شحادة الخوري** أربعة موجبات، هي(٥٢):

١– النفسي – التربوي: ذلك أن اللغة جزء من تكويننا النفسي.

٢– المِهْني – الاجتماعي: فاللغة وسيلة التفاهم والتخاطب بين أصحاب الاختصاص الواحد.

٣– الثقافي القومي: فالعربية أهم سمات قوميتنا وأخص خصائصها.

٤– الروحي – الحضاري: فالعربية لغة الحضارة والعقيدة والتراث.

---

(50) منهجية وضع المصطلحات، ص ٥٥٥.

(51) منهجية وضع المصطلحات، ص ٥٥٥.

(52) الخوري، شحادة: التعريب والمصطلح. مج٧٣، ج٤، ص ٨٠٥.

وقد تعدَّدت مواقف العلماء من مسألة التعريب في المصطلحات عامة، فذهب **العلايلي** إلى مخالفة القدماء مخالفة تامة في قضية التعريب وخرج إلى قصره على الأعلام وبعض المصطلحات العلمية والتقنيَّة المستعصية والشائعة شيوعًا عالميًا(٥٣).

وذهب الدكتور **أحمد مختار عمر** إلى أن تعريب المصطلح اللساني يؤدي إلى دخول ألفاظ غريبة على لغتنا وبمفاهيم ليست منها، مما يسبِّب نفور الذوق العربي. وهذا النفور يمكن التخفيف من حدَّته بالتزام صَبْغ المصطلح بالصبغة العربية أو المنهج العربي في الاشتقاق(٥٤).

والذي أذهب إليه أنَّ هذا التخوُّف لا مبرر له إذا التزمت قواعد وضوابط معيَّنة في تعريب المصطلح؛ لأن الاقتصار على التعريب عن طريق الترجمة فحسب أمر يتسم بالاستحالة سواء في العربية أم في غيرها، ويتسم باللاواقعيَّة، وبأنَّ فيه عرقلةً للفكر العربي والعلم العربي والإبداع العربي. وفيه إلى جانب ذلك تقديم حجج جاهزة لأعداء العربية للوقوف في وجه تعريب التعليم إلى أن توجد المصطلحات اللازمة له وتتكامل(٥٥).

إن التعريب ليس من المسائل المستجدَّة في لغتنا، فقد كُتبت فيه مصنَّفات، ووُضعت له قواعد وأصول، وكانت لعلمائنا فيه نظرات؛ فقد خصَّه **الجواليقي** بمصنَّف خاص سمَّاه (**المعرَّب**)، ولابن جني أيضًا كتاب يحمل هذا الاسم، ووضع السيوطي كتابه (المهذَّب فيما ورد من المعرَّب). وكتب **الوزير ابن كمال**

(53) العلايلي، عبد الله: تهذيب المقدمة اللغوية، دار النعمان، بيروت، ١٩٦٨م، ص ١٨٤.

(54) المصطلح الألسني العربي وضبط المنهجية: ص ٥٨٦.

(55) منهجية وضع المصطلح، ص ٥٢٦.

باشا كتابًا بعنوان (تعريب الكلمة الأعجمية)، ولم يكن الأمر مقصورًا على تعريب الألفاظ أو المصطلحات، بل كان لتعريب الرمز ظهور واضح، فهذا **أبو العز الجزري** يضع في كتابه (**الجمع بين العلم والعمل**) ٦٣ رمزًا منها أحد عشر حرفًا من حروف المعجم، وواحد وعشرون رمزًا منقلبًا عنها. واستخدم **أبو الحسين القلصادي** (ت٨٩١هـ) حرف (م) للدلالة على مربَّع العدد، وحرف (ك) من (كعب) للدلالة على المجهول المرفوع إلى القوة الثالثة. حتى إن كلمة (Cube) مأخوذة منه. واستعمل كذلك حرف الجر (إلى) للإشارة إلى عملية الجمع، و(إلاَّ) للتعبير عن عملية الطرح[٥٦].

فالتعريب اللفظي أمر ضروري ووراءه تقف جملة دوافع يلخِّصها الباحث الأستاذ **ممدوح خَسَارة**[٥٧] في:

١- عظمة النشاط الترجمي.

٢- ضيق الوقت لتوليد المصطلح.

٣- ضعف المقدرة اللغوية في التوليد المصطلحي.

٤- كثرة المعرَّبات.

ولست ههنا في معرض التفصيل في هذه القضيَّة وبيان المنهجيَّة التي ينبغي اتباعها، فقد كُتبت في ذلك الدراسات المطوَّلة، وعُقدت لذلك المؤتمرات. ولكن حسبي أن ألخِّص المنهجيَّة في الأصول الآتية:

١- تعريب المصطلح وتوحيده ووضعه قيد الاستعمال ونقل المعاني

(56) الترابي، د. دفع الله: تعريب الرموز، مجلة مجمع اللغة العربية، مج ٧١، ج١، ص ٤٣.

(57) خسارة، ممدوح: نحو منهجية للتعريب اللفظي: مجلة اللغة العربية، مج ٧٣، ج٤، ص ٧٤٨ وما بعدها.

والأفكار.

٢– المراجعة الدائمة للمعاجم المختصَّة لاستيعاب المصطلحات الجديدة وإجراء التبديل بين مصطلح أفضل وآخر مفضول.

٣– المراعاة الصوتية والمبنوية.

٤– مراعاة النطق السهل في رسم الألفاظ المعربة.

٥– الضبط بالشكل للمعرَّب حرصًا على صحة نطقه.

٦– تفضيل اللفظة الواحدة على العبارة.

٧– مراعاة الإيقاع الصرفي العربي دون الوزن الصرفي.

٨– النقل وفق مقتضى حروف العربية البحتة من غير زيادة فيها(٥٨).

فالأسلم «أن نقول: يُنقل الحرف الأعجمي إلى أقرب الحروف العربية إليه، مع مراعاة طبيعة النطق المعاصرة لذلك الحرف في لغته»(٥٩). وقد سبق للأمير مصطفى الشهابي أن سمَّى هذا المسلك بـ(التعاجم) بدلاً من التعريب، أي نطق الأسماء والألفاظ وفق ما ينطق بها الأوروبيون، وبيَّن أنهم عندما يقتبسون من العربية كلمات فيها أحرف ليست في لغتهم لا يُضيفون إلى لغاتهم أحرفًا جديدة. ومثال ذلك أن الفرنسيين عندما فَرْنسوا كلمة (قبَّة) قالوها بلفظها

(58) انظر مناقشة وعرضًا لهذه المسألة وموقف العلماء منها في: نحو منهجية للتعريب اللفظي للأستاذ ممدوح خَسَارة؛ مجلة مجمع دمشق، مج ٧٣، ج ٤، ص ٧٥٢ وما بعدها.

(59) نحو منهجية للتعريب اللفظي، ٧٥٩.

(**Kobba**) بالكاف ولم يضيفوا إلى لسانهم حرف القاف[٦٠].

فإذا ما أُدخلت حروف من اللغات في لغتنا، فإنه «لن يطول الوقت – والحالة هذه – حتَّى تصبح أبجديتنا خليطًا من حروف شتَّى»[٦١].

٩- تفضيل الكلمة التي تسمح بالاشتقاق على الكلمة التي لا تسمح. مثال ذلك مصطلح (قابلية المطل)، فالأفضل تعريبها بـ(مَطُولية) لأنها صالحة للاشتقاق من (مطل يمطُل).

وبعد، فلعلّي لا أكون كثير التشاؤم إذا رددت مع د. عبد السلام المسدي أنَّ كل أصحاب الاختصاص «يجتمعون على أضعف الإيمان فيما يتحاورون به إلا نحن المشتغلين بدرس الظاهرة اللغوية، والعاكفين على علم قوانينها غوصًا على أسرارها الخفيَّة ونواميسها الكامنة فلم نتوحَّد على كلمة العلم ومصطلحه»[٦٢]، ولكن لعلنا نتَّحد.

(60) الشهابي، مصطفى: ملاحظات لغوية اصطلاحية، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مج ٣٧، ج١، ص ١٠.

(61) المصدر السابق، ص ٧٥٩.

(62) المسدي، د. عبد السلام: قاموس اللسانيات، ص ٦٥.

(المقالات والآراء)

صفحة لغة:

عن الإذاعة والتَّلْفَزَة، والإذاعيّ والتَّلْفَزِيّ

د. محمد مكي الحسني الجزائري(*)

استُعملت كلمة (**إذاعة**) – وهي مصدر الفعل «أذاع يُذيع)» – منذ زمن بعيد بوصفها مصطلحًا عربيًّا يقابل المصطلح الإنكليزي broadcasting والفرنسي radiodiffusion واشتُق من هذه المادة اسم الآلة (مِذْياع) مقابل الاسم الأجنبي **radio.**

أما المصطلح الفرنسي télévision والإنكليزي television فقد عُرِّب في بعض الأقطار العربية، كالجزائر مثلاً، فقالوا: **تَلْفَزَةَ** (على الوزن العربي: فَعْلَلَة، مثل: دحرجة، بعثرة، سيطرة...). وهذا تعريب موفَّق، لأنه يتيح استعمال فِعْل (تَلْفَزَ) وما يشتق منه، خصوصًا اسم الآلة: **تِلْفاز**، وهو جهاز استقبال البرامج **المُتَلْفَزَة**.

أما بقية البلاد العربية، فقَبِلَتْ – ويا للأسف – أن تنطق باللفظ الفرنسي كما هو: تلفزيون! (مع أن الفرنسيين عدلوا من زمن بعيد عن

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

هذا المصطلح، فاختصروه إلى télé، وحذا حذوهم الناطقون بالإنكليزية فاختصروا المصطلح إلى (تي في) T V...) فخسرت الفعل (تلفز) ومشتقاته، واستَعملت الكلمةَ نفسَها (تلفزيون) اسمًا لجهاز الاستقبال، بدلاً من تلفاز!

فإذا أردنا أن ننسب إلى الإذاعة والتلفزة قلنا: إذاعيّ وتَلْفَزِيّ. فنقول مثلاً: نَدَوات إذاعية أو تلفزية، أي تُعْقَد في دار الإذاعة أو التلفزة، ولا نقول: ندوات مذياعية أو تلفازية!

وقد صادفتُ في إحدى المجلات المحترمة عبارة (لقاءات تلفازية)، وهذا تركيب غير سليم وغير مألوف... وآمُل ألاّ ينتشر...

٢– التَّبْصِرَة (أو التبصير)، لا: التَّوْعِية!

كثيرًا ما نقرأ ونسمع كلمة (التَّوعية) التي لا وجود لها في لغتنا، إذ ليس في العربية فِعل (وَعَّى يُوَعِّي) لتكون التوعية مصدرًا له! وفي لغتنا فعلٌ يؤدي المعنى المقصود تمامًا، هو «بَصَّر» . وهذا الفعل من الأفعال القليلة زِنة (فَعَّل) الصحيح اللام، التي جاء مصدرها على (تَفْعِلَة) أيضًا. يقال:

بَصَّر تبصيرًا وتَبْصِرةً؛ جرَّب تجريبًا وتجربةً (بكسر الراء!)؛ ذكَّر تذكيرًا وتذكِرةً؛ فرَّق تفريقًا وتفرقَةً؛ فكر تفكيرًا وتفكرةً؛ كرَّم تكريمًا وتكرِمةً؛ كمّل تكميلاً وتكملةً.

ومن معاني هذا الفعل: بَصَّرَ فلانًا الأمرَ وبه: فَهَّمَهُ إياه، ووضَّحَهُ له.

وفي التنزيل العزيز: ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ [ق:٨].

وفي الحديث، قال عليه الصلاة والسلام لِعَلِيِّ بن أبي طالب – كرَّم الله وجهه –: بَصِّرِ ابْنَ عَمِّك الوضوءَ والسُّنَّة.

وعلى هذا لا يصح أن يقال: «توعية المواطنين بكذا»، لأن الوجه أن يقال، مثلاً: تبصير (تبصرة) المواطنين ضرورةَ (بضرورة) الاقتصاد في استهلاك الماء والكهرباء!

ويمكن أيضًا أن يُقال: إرشاد المواطنين إلى مزايا الاقتصاد في استهلاك الماء والكهرباء، ومساوئ الإسراف في استهلاكها.

٣– مديرون، لا: مُدَراء!!

نَبَّه النُّقَّادُ كثيرًا على خطأ جمع كلمة (مُدير) على (مُدَراء)، ومع ذلك مازال هذا الخطأ فاشِيًا فُشُوًّا عجيبًا! وأظن أن مَنشأه قياسٌ فاسد: قياس جمع اسم الفاعل (مُدير) بضَمِّ الأول، على جمع الصفة المشبهة (كَريم، خَبير، فَصيح) بفَتح الأول!

ومن المعلوم أن الأصل في جمع الوصف (أي المشتقات) أن تُجمع جمعَ سلامة، وتكسيرها ضعيف إلا إذا غَلَبتْ عليها الاسميّة؛ فيُجمع المذكّر العاقل منها جمع المذكر السالم، ويُجمع المؤنث منها والمذكر غير العاقل جمعَ المؤنث السالم. لكنهم اتسعوا في تكسيرها [لاتساع ميدان البيان] كما كسَّروا الأسماء. بيد أنهم لم يُكسِّروا كل الصفات: **فامتنعوا من تكسير اسم الفاعل من فوق الثلاثي**، نحو: مدير (من أدار)، مشير (أشار)، مطيع (أطاع)، مقيم (أقام)... فَلَم يُسمع جمعها على مُشَرَاء، مُطَعَاء، مُقَمَاء...

وكذلك لم يُسمع «مُدَراء» ...

المكتبة السليمانية في إستانبول
أعظم مجمع لمخطوطات
التراث الثقافي العربي

د. عزة حسن(*)

إن مدينة إستانبول العظمى هي أكبر موطن وأحرز موئل في العالم لمخطوطات التراث الثقافي العربي القديم، بل هي الجنّة الغنّاء لهذا التراث الغني. ولا يساويها في هذه الميزة العُليا مدينة أخرى في الدنيا كلها. فيها ما يزيد على عشر مكتبات تزخر بالمخطوطات العربية في شتى فنون الآداب والعلوم.

والمكتبة السليمانية أعظم هذه المكتبات وأغناها. وهي أكبر مركز في العالم أجمعَ يحتفظ بأكبر عدد من مخطوطات التراث الثقافي العربي.

تقع هذه المكتبة في قلب مدينة إستانبول القديمة، إلى جانب الجامع السليماني الشهير. وهو أفخم جامع في العالم الإسلامي. وتشغل اليوم بناءَ المدرسة الأولى، وبناءَ المدرسة الثانية، في المجَمَّع الثقافي الكبير الذي أمر بإنشائه في سنة (١٥٤٩) السلطان سليمان القانوني العثماني. وهو أعظم سلاطين الدولة العثمانية. وهاتان المدرستان بناءان واسعان متقابلان، يفصل بينهما شارع صغير، يؤدّي إلى الجامع السليماني في الجهة الشرقية منهما.

(*) باحث ومحقق سوري ومدير دار الكتب الظاهرية سابقًا، مقيم في المملكة المغربية.

تشتمل المدرسة الأولى الجنوبية على خزائن مجموعات المخطوطات بأقسامها المختلفة. وفيها معرض صغير، عُرِض فيه بعض النفائس من مقتنيات المكتبة، من المخطوطات والخرائط والمصوَّرات وغيرها. أما المدرسة الثانية الشمالية ففيها قاعات البحث والمطالعة، وأدراج الفهارس المختلفة، وحجرة المدير العام، وحجرات الإدارة الأخرى، ومعمل التصوير، ومعمل الترميم.

وقد نُقلت إلى هذه المكتبة الكبرى مجموعات المخطوطات التي كانت محفوظة في المساجد والمدارس والمجامع والتكايا والتُّرَب القديمة، وغيرها من الأماكن في أنحاء إستانبول المختلفة، ومن مدن وبَلْدات وقرى خارج مدينة إستانبول. مثل مخطوطات مسجد السلطان محمد الفاتح في إستانبول. فقد تشقّقت القبّة التي كانت فيها خزائن المخطوطات، وتسرَّبت مياه الأمطار من الشقوق، وبلَّلت قسمًا من المخطوطات. فنُقلت المخطوطات كلها سريعًا إلى المكتبة السليمانية. وحُفظت هناك في حِرْز حريز. ونُقلت إليها كذلك مخطوطات مكتبة مسجد آيا صوفيا في إستانبول، حين بدأت فيه أعمال الإصلاح والترميم.

وضُمّت إلى السليمانية مجموعات أخرى من المخطوطات قدَّمها إليها بعض الأساتذة والعلماء، على سبيل الهدايا أو الصدقات، وبعض الرجال الفضلاء، على سبيل الوقف الدائم. ومجموعات عديدة من مكتبات خاصة لرجال الدولة العثمانية من الوزراء والقضاة والكتّاب وقادة العسكر وغيرهم.

وهكذا قارب عددُ ما اجتمع من المخطوطات في السليمانية (١٠٠) ألف مخطوط. فيها ما يقارب (٢٠٠) ألف كتاب. وذلك لأن بعض المخطوطات يحتوي على أكثرَ من كتاب. ومعظم هذه المخطوطات من التراث الثقافي العربي، في فنونه المختلفة من الآداب والعلوم. وأعداد قليلة منها مكتوبة باللغة التركية، وعدد أقلُّ منها مكتوب باللغة بالفارسية، أو بلغات أخرى. أخبرني بهذه الأمور كلها الصديق الدكتور نَوْذات قايا، المدير العام للمكتبة السليمانية.

ولا تمتاز السليمانية بهذا العدد الكبير من المخطوطات فحسب، بل هي تمتاز بقيمة أخرى ذات شأن وخطر. وتلك أنّ فيها مخطوطات كثيرة من النفائس الثمينة. بعضها مكتوب بخطوط المؤلِّفين، وبعضها مكتوب بخطوط مشاهير الخطاطين، وبعضها مخطوطات نادرة، وحيدة فريدة، لا أختَ لها في مكان آخَر، وبعضها مقروء على كبار العلماء، وعليها توقيعاتهم وإجازاتهم، وزياداتهم وحواشيهم. وبعض المخطوطات ذات قيمة فنية أثرية من جهة الخط والزخارف والنَّمْنَمات الملونة الجميلة، والتذهيب والتصوير والتجليد الفاخر. ويعدّ كل ذلك من فنون صناعة الكتاب العربي القديم خلال العصور الماضية.

وقد جُعلت مجموعات المخطوطات التي نُقلت إلى السليمانية في أقسام خاصة. كلّ قسم منها مستقل قائم بنفسه، ويحمل اسمَ المكتبة أو اسمَ المكان

الذي اجْتُلبت منه المخطوطات، أو اسمَ العالم الذي أهداها، أو اسمَ الشخص الذي وقفها. مثل قسم السلطان محمد الفاتح، وقسم الشهيد علي باشا، وقسم مكتبة آياصوفيا.

وتحمل مخطوطات كل قسم منها أرقامًا متسلسلة خاصة بها. واتُّبعت هذه الخطة الجميلة حِفاظًا على الكيان الأصيل للمخطوطات، وتقديرًا للعلماء والرجال الفضلاء الذين قدّموها للسليمانية في سبيل الله، وتخليدًا لذكرهم بسبب خدمتهم للعلم والعلماء.

ونذكر فيما يلي أشهر أقسام المخطوطات المخزونة في المكتبة السليمانية.

١- إبراهيم أفندي. وهو ملحق بقسم السلطان الفاتح.

٢- السلطان أحمد الأول.

٣- أَرْزِنْجان (مدينة في الأناضول).

٤- إزمير (مدينة).

٥- أسعد أفندي شيخ الإسلام.

٦- أسعد أفندي مَدْرَسَه سي.

٧- إسْمِخان (أسماء خان) سلطان.

٨- آياصوفيا. (مسجد آياصوفيا).

٩- أيّوب حاجي بشير آغا.

١٠- بَرْتَوْ باشا.

١١- بَرْتَوْ نِهالْ.

١٢- بغداد لي وَهْبي.
١٣- جار الله أفندي.
١٤- جلبي عبد الله.
١٥- جور ليلي علي باشا.
١٦- حاجي بشير آغا.
١٧- حاجي محمود أفندي.
١٨- حافظ أحمد باشا.
١٩- حالت أفندي.
٢٠- حسن حسني باشا.
٢١- حسن خيري - خوجه عبد الله.
٢٢- حضرة خالد. (مسجد أبي أيوب الأنصاري).
٢٣- حفيد أفندي.
٢٤- حكيم أوغلي علي باشا.
٢٥- حميدية.
٢٦- خربوط. (مدينة في الأناضول).
٢٧- خُسْرَو باشا.
٢٨- دار المِثْنَوي.
٢٩- داماد إبراهيم باشا.
٣٠- رئيس الكُتاب مصطفى أفندي.
٣١- رؤوف يَكْتا.
٣٢- رُسْتَم باشا.

٣٣- رشيد أفندي.

٣٤- زُهْدي بيك.

٣٥- سَرَزْ. (مدينة في تراكيا).

٣٦- سَرْوِيلي. (مدرسة).

٣٧- سليمانية. (مكتبة).

٣٨- سُوتْلُوجه. (دَرْكاه).

٣٩- سيد نظيف أفندي.

٤٠- شازلي تكيّه سي.

٤١- شاهْ زادَه محمد.

٤٢- شريف محيي الدين طَرْغان.

٤٣- شهيد علي باشا.

٤٤- صالحة خاتون.

٤٥- طارق كُوكْمَن.

٤٦- طاهر آغا تكيّه سي.

٤٧- طُرْخان والدَه سلطان.

٤٨- عبد الغني آغا.

٤٩- عاشر أفندي شيخ الإسلام.

٥٠- علي نِهاد طَرْلان.

٥١- عُشَّا قي تكيّه سي.

٥٢- عثمان خُلْدي أُزْتُرْكْلَر.

٥٣- عَمُوجه زاده حسين باشا.

٥٤- الفاتح (السلطان محمد الفاتح).

٥٥- فتحي سَزائي تركمان.

٥٦- فيض الله باشا.

٥٧- قاضي زاده برهان الدين.

٥٨- قاضي زاده محمد.

٥٩- قَرَه جَلَبي زاده حسام الدين.

٦٠- قصيدة جي زاده سليمان سِرّي.

٦١- قِيليج علي باشا.

٦٢- كِيرَسون. (مدينة في الأناضول).

٦٣- لالا إسماعيل.

٦٤- لالَه لي. (مسجد في إستانبول).

٦٥- محمد آغا.

٦٦- محمد حِلْمي - فتح الله فهمي.

٦٧- محمد مراد - محمد عارف.

٦٨- محمود باشا.

٦٩- مَسِيح باشا.

٧٠- مراد بخاري.

٧١- مراد مُلاّ.

٧٢- مُصَلّى مدرسه سي.

٧٣- مُلاّ جلبي.

٧٤- مِهْرِشاه سلطان.

٧٥- مُوغْلا خُوجه مصطفى أفندي.

٧٦- نافذ باشا.

٧٧- نصوحي دَرْكاه.

٧٨- نوري أرْلاسَز.

٧٩- نوري أفندي.

٨٠- يازْمَه باغِشْلَر.

٨١- يحيى توفيق أفندي.

٨٢- يَني جامع. (مسجد في إستانبول).

٨٣- يَني مدرسه.

٨٤- يُوزْغات (مدينة في الأناضول).

* * *

وهناك فهارس مطبوعة لعدد من الأقسام في السليمانية، وقد صنعها بعض العلماء العارفين بالتراث الثقافي العربي والإسلامي، في عهد السلطان عبد الحميد الثاني العثماني، أواخرَ القرن التاسع عشر وأوائلَ القرن العشرين. وطُبعت باللغة التركية العثمانية المكتوبة بالحروف العربية، وهي فهارس وجيزة مختصرة. يُذْكر فيها عنوان الكتاب المخطوط، واسم مؤلِّفه، ورقم تسجيله في قسمه، ومعلومات وفوائدُ قليلة تتعلق بالخط وحال المخطوط فحسب. وهي مع ذلك مفيدة جدًّا للباحثين وجمهور القرّاء المطالعين، على كونها مختصرة. وقد رُصِفت في خزانة خاصة بها، في إحدى زوايا قاعة المطالعة العامة، ليرجع إليها ويستفيد منها من يشاء من الباحثين وسائر القراء.

وهذه الفهارس المطبوعة هي:

١- دفتر كُتُبْخانه عَمُوجَه حسين باشا. ويحتوي القسمين:
- عموجه حسين باشا (ص ١- ٤٩).
- سيد نظيف أفندي (ص ٥٠- ٥٩).
٢- دفتر كتبخانه عاشر أفندي. ويحتوي الأقسام الأربعة:
- رئيس الكتّاب مصطفى أفندي (ص ١- ٩٧).
- عاشر أفندي شيخ الإسلام (ص ٩٨- ١٤٧).
- حفيد أفندي (ص ١٤٨- ١٨٩).
- ملحق حفيد أفندي (ص ١٨٩- ١٩٣).
٣- دفتركتبخانه آيا صوفيا. ويحتوي الأقسام الثلاثة:
- آيا صوفيا (ص ١- ٣٨٦).
- سعد الدين مبتغي (ص ٣٨٧- ٣٩٣).
- خوجه سعد الدين أفندي (ص ٣٩٤- ٣٩٧).
٤- دفتر كتبخانه بشير آغا. ويحتوي القسمين:
- بشير آغا (ص ١- ٥٨).
- نور الدين آغا (ص ٥٩- ٦٠).
٥- دفتر كتبخانه جَلَبي عبد الله أفندي (ص ١- ٤٥).
٦- دفتر كتبخانه جُورْلُولي علي باشا (ص ١- ٣٥).
٧- دفتر كتبخانه داماد إبراهيم باشا (ص ١- ٨٧).
٨- دفتر كتبخانه دوغوملي بابا (ص ١- ٤٧).
٩- دفتر كتبخانه أسعد أفندي (ص ١- ٣٤٢).
١٠- دفتر كتبخانه جامع أيوب (ص ١- ٢٣).

١١- دفتر كتبخانه الفاتح. ويحتوي القسمين:
- الفاتح (ص ١- ٣٨١).
- إبراهيم أفندي (ص ١- ٥٩).

١٢- دفتر كتبخانه فيض الله أفندي. ويحتوي الأقسام الثلاثة:
- فيض الله أفندي (ص ١- ٢٧).
- إسماعيل آغا (ص ٢٨- ٤١).
- شيخ مراد – دار المثنوي (ص ٤٢- ٧٩).

١٣- دفتر كتبخانه حالَتْ أفندي. ويحتوي القسمين:
- حالتْ أفندي (ص ١- ٧٠).
- ملحق حالت أفندي (ص ٧١- ٩٦).

١٤- دفتر كتبخانه حميديه. ويحتوي القسمين:
- حميديه (ص ١- ١٠٠).
- لالا إسماعيل (ص ١٠١- ١٥٢).

١٥- فهرست كتبخانه حسن حسني باشا (وزير البحرية العثمانية)، (ص ٥٠).

١٦- دفتر كتبخانه حكيم أوغلي علي باشا (ص ٧٢).

١٧- دفتر كتبخانه خُسْرَوْ باشا (ص ٧٨).

١٨- دفتر كتبخانه إسْمي خان سلطان (ص ٤٠).

١٩- دفتر كتبخانه حسام الدين أفندي. ويحتوي القسمين:
- قَرَه جِلبي زادَه حسام الدين أفندي.
- نَقْشِ دِلْ والِدَه سلطان.

٢٠- دفتر كتبخانه قِيليج علي باشا (ص ٩٢).

٢١- دفتر كتبخانه لالَلي (ص ٣٨٢).

٢٢- دفتر كتبخانه محمود باشا وكتبخانه رُسْتَمْ باشا.

ويحتوي الأقسام الأربعة:

- محمود باشا (ص ١- ٢٧).
- إزميري مصطفى أفندي (ص ٢٧- ٣٤).
- رُسْتَمْ باشا (ص ٣٥- ٤٧).
- يوسف آغا (ص ٤٨- ٧٢).

٢٣- دفتر كتبخانه مِهْرِشاهْ سلطان (ص ٧٦).

٢٤- دفتر كتبخانه سليمية (ص ٧٤).

٢٥- دفتر كتبخانه سَرْوِيلي (ص ٣٣).

٢٦- دفتر كتبخانه سليمانيه (ص ١١١).

٢٧- دفتر مدرسة شيخ الإسلام أسعد أفندي. ويحتوي الأقسام الثلاثة:

- شيخ الإسلام أسعد أفندي (ص ١- ١١).
- جامع محمد آغا (ص ١٢- ٢٠).
- يَنِي مدرسه (ص ٢١- ٣٠).

٢٨- دفتر كتبخانه جامع والدَه (ص ٦٩).

٢٩- دفتر كتبخانه يحيى أفندي (ص ٤٧).

٣٠- دفتر كتبخانه يَنِي جامع. ويحتوي الأقسام الثلاثة:

- يَني جامع (ص ١- ٧٦).

- طرخان والدَه سلطان (ص ٧٧- ١٠١).
- المعلم الحاج مصطفى أفندي (ص ١٠٢- ١٠٣).

٣١- دفتر كتبخانه داماڈ زادَه محمد مراد. ويحتوي الأقسام الأربعة:

- مُراد مُلاّ (ص ١- ١٤٨).
- محمد مراد (ص ١٥٠- ١٦١).
- محمد عارف (ص ١٦٢- ١٧٠).
- غَليبُولُلي طاهر (ص ١٧٢- ١٧٩).

٣٢- دفتر كتبخانه قَرَه مصطفى باشا. ويحتوي الأقسام الثلاثة:

- قَرَه مصطفى باشا (ص ١- ٣٦) [1].
- مُصَلّى مدرسه سي (ص ٣٧- ٥٤).
- جامع حكيم أوغلي (ص ٥٥- ٥٨).

* * *

وهناك فهارس أخرى، صُنعت وطُبعت حديثًا، بمبادرة من المديرية العامة للمكتبات في وزارة الثقافة. وصدرت باللغة التركية المكتوبة بالحروف الأجنبية (اللاتينية). وعناوين الكتب مكتوبة بالحروف العربية.

وهذه الفهارس الحديثة هي[٢]:

(1) هذا القسم محفوظ في مكتبة بايزيد. وليس في السليمانية.

١- فهرس المخطوطات العربية في قسم بغداد لي وهبي أفندي في المكتبة السليمانية. تصنيف نائل بَيْرَقْدار. طبعة إستانبول ١٩٨٤م. (ص ١٢٦. وثلاث صور).

٢- فهرس مخطوطات قسم نوري أَرْلاسَنْ في المكتبة السليمانية. منشورات المديرية العامة للمكتبات في وزارة الثقافة. طبعة إستانبول ١٩٩١م. (ص ٣٢).

٣- مخطوطات متحف آنطاليا، ومتحف آلانيا، وآق سَكي يَكن محمد باشا، ومكتبة ألمالي، وتَكيه لي أوغلي. منشورات المديرية العامة للمكتبات في وزارة الثقافة، ٥ مجلدات من سلسلة الفهرس العام للمخطوطلت في تركيا. طبعة إستانبول ١٩٨٢- ١٩٨٤م. (ص ٣٢٠- ٤٨٠- ٤٨٠- ٣٢٠- ٣٦٧).

٤- مخطوطات كِيرَسُونْ، و رِيزه، و أُورْدُو. منشورات المديرية العامة للمكتبات في وزارة الثقافة، من سلسلة الفهرس العام للمخطوطات في تركيا. طبعة آنقره ١٩٨٠م.

٥- مخطوطات قسم علي نِهاد طَرْلان في المكتبة السليمانية. منشورات المديرية العامة للمكتبات في وزارة الثقافة، من سلسلة الفهرس العام للمخطوطات في تركيا. طبعة آنقرة ١٩٨١م.

---

(2) العناوين المذكورة مترجمة عن اللغة التركية.

٦- مخطوطات قسم عَمُوجه زاده حسين باشا، وقسم حكيم باشي موسى نظيف أفندي. منشورات المديرية العامة للمكتبات في وزارة الثقافة، من سلسلة الفهرس العام للمخطوطات في تركيا. طبعة أنقرة ١٩٨٧م.

٧- مخطوطات قسم مصطفى عاشر أفندي في المكتبة السليمانية. منشورات المديرية العامة للمكتبات في وزارة الثقافة، من سلسلة الفهرس العام للمخطوطات في تركيا. طبعة أنقرة ١٩٩٤م.

* * *

وتوجد إلى جانب الفهارس القديمة المطبوعة بالحروف العربية، والفهارس الجديدة المطبوعة بالحروف الأجنبية، فهارسُ أخرى مخطوطة لبعض أقسام المخطوطات. وهي قليلة معدودة. أشهرها وأهمها الفهرس الذي صنعه الأستاذ محمد الصفائحي لنفسه، وهو عالم تونسي الأصل، كان يعمل في فَهْرَسَة المخطوطات في المكتبة السليمانية، وفي غيرها من مكتبات إستانبول. ويضم هذا الفهرس المخطوط عناوينَ مخطوطات عربية، لكتب قيِّمة مشهورة من التراث الثقافي العربي في شتى فنونه من الآداب والعلوم. وقد اختارها العالم الصفائحي، رحمه الله، من محتويات السليمانية، ومن غيرها في مكتبات إستانبول. ورتَّبها على حروف المعجم، حسب أسماء الكتب، وكتبها بخط يده. وهو فهرس قيّم، مفيد جدًا في كشف وتَعَرُّف النوادر والنفائس من مخطوطات التراث العربي في مكتبات إستانبول، ومكتبات سائر مدن تركيا.

ولا يفوتنا أن نذكر الفهرس العام الذي يشمل كل المخطوطات المحفوظة في المكتبة السليمانية. ونعني فهرس الجُذَاذات المطبوعة على الورق. وهو فهرس مرتَّب على عناوين الكتب، حسب حروف الهجاء التركية. ولكل مخطوط جُذَاذة واحدة خاصة به. فيها عنوان الكتاب، واسم المؤلف، واسم الناسخ الكاتب، وتاريخ النسخ والكتابة، ومعلومات أخرى عن نوع الخط والورق، وعدد الصفحات وأشياء غير ذلك. ثم تسجيل الرقم الذي يحمله المخطوط في القسم المحفوظ فيه.

* * *

وقد أُسِّس في السليمانية معمل للتصوير سنة (١٩٥٠م) وجُهِّز بكل الآلات والأدوات اللازمة للتصوير على شرائط الأفلام الصغيرة (المكروفيلم) وعلى الورق والأقراص المدْمَجة. ويجري تصوير المواد حسب أحكام قانون سَنَّته وزارة الثقافة للفائدة العامة، في التبادل الثقافي على المستوى العالمي، أو في مقابل أداء تكلفة تصوير المواد المطلوبة.

وتمتلك السليمانية، إلى جانب محتوياتها من المخطوطات، أرشيفًا غنيًّا، يضم عددًا كبيرًا من شرائط الأفلام لمخطوطات نادرة كثيرة من مكتبات تركيا، ومن مكتبات أخرى في العالم.

* * *

وتستقبل السليمانية رُوَّادها من العلماء والباحثين وطلبة العلم كل يوم، ابتداء من الساعة التاسعة صباحًا، إلى الساعة الخامسة مساء. وتقدِّم لهم المخطوطات التي يودّون الاطلاع عليها، من غير استثناء، ومن دون أي قيد أو شرط.

وما أكثرَ الأيامَ، وما أجملَها، التي قضيتها من عمري، في قاعة المطالعة الجميلة، في السليمانية العامرة، وأنا أنعم بأريج المخطوطات التي أنظر فيها، غائبًا عن الوجود، مسحورًا بأَلَق آثار تراثنا العربي المجيد.

وتمرّ الأيام، وتدور السِّنونَ، وصَرْح السليمانية العريق قائم وسط مدينة إستانبول العظمى، يشعّ نورًا وخيرًا، ويفيض علمًا وعرفانًا، لِمَواكب العلماء والباحثين. وهم يُقبلون إليه، ويؤمّون حِماه من كل حدب وصوب، في الشرق والغرب، ومن كل الأعراق والأقوام. ينهلون من موارده أعذَب المَعْطَيات، ويجتنون من جَناه أطيبَ الثمرات. فبارك الله بالسليمانية، وحَماها من عَوادي الزمان. ورحم الله الرجالَ الأفذاذ الأمجاد الذين أقاموها، والرجالَ الأفاضل الذين شاركوا في إغنائها، وأجزل لهم الثوابَ في جنات النعيم. وأعان الله الناس القائمين عليها والعاملين فيها. وقوّاهم على جميل الأعمال. وجزاهم خيرًا وإحسانًا. اللهم آمين. والحمد لله رب العالمين على ما أفاد وأعان.

مواقف مختارة من كتب التراث

د. عبد الكريم الأشتر(*)

-١-

في أدب السّفسطة

(من كتاب «البخلاء» للجاحظ)

شاعت في العصر العباسي نزعة السفسطة(١). وهي تعني، في مواطن الجدل، تمويه الحقيقة وتضليل الخصم عنها بالاستدلال الموجّه أو القياس الباطل. وتنصرف غالبًا إلى إنكار البديهيات أو التلاعب بما تقرّه الحواس، أقوى طرق المعرفة المباشرة، إذ يمكن أن تقع المماراة في ما يمسك به العقل أو يستدلّ عليه، ولكنها لا تقع في ما تراه العين أم تمسك به اليد، مما لا تقصّر الحواس في إدراكه.

فإذا أراد صاحب السفسطة، أو من يذهب مذهبه من الكتّاب والمفكرين، أن يدلّ على قدرته الفكرية أو البيانية، قصد إلى ما اجتمع الناس على الإقرار بصحته حتى صار في مرتبة الحقيقة الشائعة، فأخذ ينقضه ويرتّب أدلته في نقضه ترتيبًا يوقع في الظن الارتياب فيه أول الأمر، حتى ينتهي إلى ردّه، أو إلى الإقرار بضده. وقد يستقوي، فيما يذهب إليه، بحوادث ومواقف

(*) باحث ومحقق سوري، وأستاذ الأدب الحديث والنقد في جامعة دمشق سابقًا، وعضو مراسل في مجمع اللغة العربية بدمشق.

(١) قياس مموَّه يُركّب من الوهميات، لإفحام الخصم وإسكاته (من اليونانية).

وصيغ وأقوال، ينتزعها من الحياة أو من التاريخ أو من اللغة وتراثها، ويفسرها تفسيرًا يخلِب العقل ويعطّل قدرته على التمييز الدقيق.

* * *

وقد ذهب الجاحظ هذا المذهب في بعض رسائله وكتبه. ويُنسب إليه كتاب اسمه (المحاسن والأضداد)، يقوم كله على إثبات بعض الحقائق الفكرية أو الاجتماعية أو النفسية، ثم العمل على نقضها بما يشبه الرياضة الفكرية، يريد أن يدلّ على ما بلغ من قوة العارضة وسطوة الذهن وقدرة البيان. ذهب هذا المذهب في بعض صفحات كتابه (البخلاء)، فوضع رسائل على ألسنة كبار الكتّاب أو المفكرين في عصره، ممن شاعت عنهم شائعة البخل (وهم في لغتهم يسمونه: الإصلاح أو الاقتصاد)، في نقض ما اتفق الناس على امتداحه من معاني البذل والكرم والجود والعطاء والإنفاق، والاستدلال على صحة ما اتفقوا على مدحه من صفات البخل والشُّح والمنع والإمساك والتقتير. وبلغ، في قدرته على قلب الحقائق وتلبيسها، مبلغًا يثير العجب، حتى ظن بعض الناس به البخل، وقالوا: إنه يصعب أن يعرف الإنسان من مسالك البخل وحجج البخلاء ما عرفه الجاحظ، ثم لا يكون منهم!

ثم إنه وضع، في أول الكتاب، على لسان أستاذه سهل بن هارون[٢]، كلامًا ينصح فيه بالتزام منهجه في «الإصلاح»، ويحتج له احتجاجًا طريفًا، يسوقه على النحو التالي: «عبتموني حين قلت للغلام: إذا زدتَ في المرَق فزِدْ

(٢) من كبار كتّاب العصر العباسي (ت٢١٥هـ). من أصل فارسي. كان يتعصب على العرب. أصبح قيّم بيت الحكمة في عهد المأمون. وكان يملك حسًا فنيًّا جعله يضع كلامًا على ألسنة الحيوانات. له كتاب منظوم سمّاه «مُثلة وعُفرة»، على مثال (كليلة ودمنة) لابن المقفع، وكتب أخرى ضاعت كلها وبقيت منها نُقول في كتب الأدب.

في إنضاج اللحم،لنجمع بين التأدم باللحم والمرق. وقد قال النبي ﷺ: «إذا طبختم لحمًا فزيدوا من الماء، فإن لم يُصِبْ أحدكم لحمًا أصاب مَرَقًا».

«وعبتموني بخصف النعال وبترقيع القميص، وحين زعمتُ أن النعل المخصوفة أبقى وأوقى، وأنفى للكِبْر وأشبه بالنّسك، وأن الترقيع من الحزم. وقد كان النبي ﷺ يخصِف نعله ويرقع ثوبه. وقد لفَقتْ سُعدى ابنة عوف[٣]، إزار طلحة[٤]، وهو (جواد قريش)، وهو (طلحة الفيّاض). وكان في ثوب عمر بن الخطاب رقاع جلد. فترقيع الثوب يجمع مع الإصلاح التواضع، وخلاف ذلك يجمع مع الإشراف التكبر. وقد زعموا أن الإصلاح أحد الكسْبين، كما زعموا أن قلة العيال أحد اليسارين. وقد جبَر الأحنف[٥] يد عنز. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «من أكل بيضة فقد أكل دجاجة». «وإن للغنى سكرًا وإن للمال لنَزوة». فمن لم يحفظ المال من سكر الغنى فقد أضاعه. وقال زيد بن جَبَلة[٦]: «سُكْر الغنى أشدّ من سكر الخمر»!

«وقد قيل لرئيس الحكماء: العلماء أفضل أم الأغنياء؟ قال: بل العلماء. قيل فما بال العلماء يأتون أبواب الأغنياء أكثر مما يأتي الأغنياء أبواب

(٣) يُفهم من النص أنها من أزواج طلحة بن عبيد الله (أخت عبد الرحمن بن عوف؟).

(٤) طلحة بن عبيد الله. من العَشَرة المبشّرين، ومن أغنياء قريش. يضرب بسخائه المثل. قُتل في وقعة الجَمَل (٣٦هـ).

(٥) الأحنف بن قيسبن معاوية المرّي التميميّ، سيد تميم، وأحد العظماء الدهاة الفصحاء الشجعان الفاتحين. ولد في البصرة، ووفد على عمر حين آلت الخلافة إليه، وشهد الفتوح في خراسان، واعتزل الفتنة يوم الجمل، وشهد صفّين مع علي.

(٦) شخصية كبيرة مرموقة من شخصيات البصرة في زمن تمصيرها. وفد فيهم على عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

العلماء؟ قال: لمعرفة العلماء بفضل الغنى، ولجهل الأغنياء بفضل العلم»!... «وكيف يستوي شيء ترى توجّه الجميع إليه (يعني: المال)، وشيء يُغني بعضهم فيه عن بعض (يعني: العلم)، فأنا أقدّم المال على العلم، أرى المال به يُغاث العالِم وبه تقوم النفوس»!

– ٢ –

صوت الإنسان الحق
(من كتاب «المكافأة وحسن العقبى»)
لأحمد بن يوسف

كتاب فريد من كتب الحكايات والأسمار، سماه صاحبه «كتاب المكافأة وحسن العقبى»[٧]، وقصَره على أخبار مختارة، فعل أصحابها الخير فكُوفئوا بالخير، وفعل بعضهم الشر فجوزوا بالشر. وكان صاحبه (واسمه: أحمد بن يوسف)[٨]، من كتّاب الدولة الطولونية التي قامت في مصر، في

(٧) المطبعة الأميرية ببولاق – القاهرة ١٩٤١. نهض بتحقيقه وجلاء غوامضه: أحمد أمين وعلي الجارم.

(٨) أبو جعفر أحمد بن أبي يعقوب يوسف، الكاتب المعروف بابن الداية (ت بعد ٣٣٠هـ). عُرف بالأدب وأخذ بحظ من الفلسفة والطب والحساب والفلك، وله ديوان شعر لم يصل إلينا. أصله من العراق. وانتقل به أبوه إلى مصر. مثقف أدنته خبرته بالحياة العملية من فهم صلات الناس بعضهم ببعض، في مرحلة مضطربة من حياة الدولة الإسلامية (ظلم وفساد ومصادرات واغتيال). فهذا الذي مكّنه من رصد بعض المواقف الإنسانية النبيلة، في غمار هذه الأحداث، لفته إليها تكوينه في ظل أب ذي مروءة تامة (كما يقول ياقوت)، فجمع حكاياتها في الكتاب (وعددها إحدى وسبعون)، وعرضها بلغته

القرن الثالث للهجرة[٩].

ويمكن أن نعدّ الكتاب من كتب التربية العملية، يجري على أسلوب آبائنا في تقويم الإنسان، عن طريق العبرة والاقتداء بأصحاب الفطرة السليمة والنفوس الصالحة.

وقد لفت نظري أن وزارة المعارف (كما كانت تسمى آنذاك) في مصر، فرضت قراءته على طلاب الشهادة الثانوية (التوجيهية). وحجة الوزارة، في أغلب الظن، أن الكتاب يقع في الطبقة الأولى من كتب النثر العربي: عالي البيان، قوي التعبير عن النفس الإنسانية وهي تتضور في المحن والأزمات، وتنتظر الخلاص، أو هي تشرق بمعاني الخير وبفعل الجميل والأنس به وبأهله. ثم إنه، في معنى من معانيه، يمكن أن يعدّ من تراث مصر الأدبي في العصور المتقدمة، لأن صاحبه – كما قدَّمنا – كان من كتّاب الدولة الطولونية. وفي الكتاب حكايات ترد فيها أسماء قرىً، ماتزال مواضعها معروفة، إلى اليوم في مصر، وتتردد على ألسنة الناس.

الرصينة المحكمة الواضحة الدلالات. كتب كتابًا آخر عن أحمد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية في مصر وابنه خُمارويه بن طولون.

(٩) حكمت مصر أقل من أربعين سنة (٢٥٤– ٢٩٢هـ). أعلنت استقلالها عن الدولة العباسية سنة ٢٦٤هـ. بعد أن ولّى الخليفةُ العباسي مؤسسَها أحمد بن طولان على مصر (٢٥٥هـ)، فضبط أمورها وضمّ إليها سورية. ثم تتابع عليها أولاده إلى أن انتهى أمرها، زمن المكتفي بالله سنة ٢٩٢هـ، فمجموع حياتها يقل عن أربعين سنة.

فمن جِماع هذه المعاني التي ترفع من قيمة الكتاب التربوية والأدبية والتاريخية، كان ميل الوزارة في مصر إلى تسميته «كتاب مطالعة لطلاب الشهادة الثانوية».

ولم تكن «وزارة المعارف» في سورية يومذاك بعيدة عن هذا التقليد. فإني أذكر أن كتابًا في المطالعة كان يسمى «الطُرَف»[١٠]، ويضم مجموعة من الحكايات والأسمار القديمة، تولت جمعه لجنة من كبار أدباء الشام، كان مقررًا في المرحلة الإعدادية.

فحين أعود إلى الكتابين اليوم (المكافأة والطُرَف) ينتابني عجب شديد من قدرة طلابنا، في مصر والشام، منذ ما يقرب من نصف القرن، على مطالعة هذا النمط العالي من التعبير الحي، وفهمه والاستمتاع به.

* * *

نعود إلى كتاب المكافأة، فإني قرأت فيه هذه الحكاية اللطيفة التي تصوِّر الإنسان في المرتبة الإنسانية العالية: فقد سخِط الخليفة الموفق على أحد كتّابه، وطالبه بمال جسيم يرده إليه، ووكَّل بمقاضاته رجلاً من رجاله. فلما اشتد هذا الرجل في مقاضاة الكاتب أجابه الكاتب، وهو في العذاب:

– «والله ما بقي لي شيء، وما ملكتُ قطُّ ما هو أحب إليّ من نفسي! فقل لأمير المؤمنين: «يا سيدي! والله ما أملك على الأرض ولا فيها دينارًا ولا درهمًا ولا جوهرًا، وأنتَ أولى بالتطوّل[١١] على خادمك».

(١٠) الطُرْفة: كل شيء مستحدث عجيب، والجمع: طُرَف.

(١١) يعني: الإحسان.

فانصرف الرجل عنه بهذه الرسالة إلى الخليفة. وفي الطريق أغرته نفسه أن يدسّ في الرسالة اسم رجل في الديوان كان يكرهه، فنقل إلى الخليفة الرسالة على الوجه التالي: «يقول لك الكاتب: يا سيدي! ما أملك على وجه الأرض ولا بطنها غير مئة ألف هي لي عند الطائي»!

فأمر الموفق بإحضار الطائي. فلما سمع الطائي هذا الكلام أقرّ به وقال:

– «نعم! هي له في ذمتي، وهي في بغداد. وأنا أحضرها»!

وكتب خطًّا[١٢] بها وسلّمه إلى الموفق. وانصرف الطائي. ثم أخذ الرجل الذي زوّر الرسالة يعاني من عذاب الضمير، وكبر في عينه صنيع الطائي، وصغُر هو في عين نفسه، فباح للموفق بما فعل في الرسالة. ثم قال له:

– «وسيدي الأمير[١٣] مخيّر بين الصفح عنه والعقوبة عليه».

فحسُن اعترافه في عين الموفق، واستدعى الطائي مرة أخرى، فاستحلفه أن يصدقه الحديث عن هذا المال. فقال الطائي:

«وحق رأس الأمير: ماله عندي درهم واحد. ولكني لما رأيته قد عاذ بي، تيقنت أنه لم تبق له حيلة في المدافعة عن نفسه، فتحملتُ هذا المال عنه. ووالله ما أملكه، ولكني رجوت أن أصل إليه بجاهي ولطيف حيلتي»!

وهذا مثَل آخر من أمثلة الكتاب، أنقل مقاطع منه، مع بعض التصرف الذي لا يقلل من جمال بيان الكاتب.

---

(١٢) يريد: الإقرار، بمعنى الصكّ اليوم.

(١٣) أمير المؤمنين.

«كان بمصر رجل من الفقهاء مشهور الاسم، وله حلقة عظيمة بالجامع[١٤]، فبينما هو في صدْر الحلقة إذ وافى علاّن بن المغيرة[١٥]. فلما رآه مقبلاً نحوه، قام إليه على رجليه، ثم خطا إليه حتى لقيه»!

واستكثر طلاب الفقيه قيام شيخهم وحفاوته بالرجل، على هذه الصورة، مع حداثة سِنِّه. وأحسّ الشيخ بما أضمر الطلبة، فقال لهم:

«ما أعلَمَني بما أضمرتم! ولكنني أريكم عذري فيما فعلت: كانت عندي ألف دينار وديعة لرجل بالمغرب. وطالب زوج ابنتي بإدخال امرأته عليه. فقالت لي أمها:

– ما الذي تراه فيما قد ألحّ فيه هذا الرجل؟

فقلت لها: نستعمل فيه التجوز[١٦].

فقالت لي: لنا حسّاد نخاف شماتتهم، ولابد أن تعينني على التجمل»!

وظلت المرأة تداور زوجها الفقيه، وأغرته بشراء جهاز يمكن أن يباع في أي وقت، ودفعته إلى استعمال الوديعة التي في حوزته.

«فجَهَّزتْ ابنتها بجميع المال، وأدخلتها على زوجها». وجاء صاحب الوديعة، ورفض زوج البنت أن يَخرج شيء من الجهاز خارج البيت!

(١٤) جامع عمرو بن العاص. ومايزال قائمًا فيما يسمى اليوم «مصر القديمة».

(١٥) يبدو أنه كان عظيم المال، معروفًا بالغنى، على حداثة سنّه.

(١٦) التقليل من نفقات العرس والجهاز. والتقليد في مصر أن يتحملها أهل العروس.

يقول الفقيه: «وسُقط في يدي، ورأيت الفضيحة في الدارين متصديةً لي. واعتراني ما خِفت منه على عقلي، وبتُّ بليلة ما بتّ بمثلها، ثم انتبهت قبل الفجر، فصِحت بالغلام:

– أسرج لي[١٧].

وركبت وسرت بطَوْع عِناني[١٨]، فلم يزل بغلي يسير حتى دخلتُ زُقاق علاّن بن المغيرة، فدخلت عليه. فلما رآني قام إليّ، وأقبل عليّ فقال:

– والله لو بعثتَ إليّ لسرتُ إليك، فاشرح لي أمرك.

فغلبتني العَبرة وحالت بيني وبين الكلام»!

ثم حكى له الفقيه حكاية الوديعة، ومقدارها، فضحك علاّن، وطلب من غلامه أن يأتيه بالمال. وقال:

– هذه ألف وخمسمئة دينار: ألف للوديعة وخمسمئة تصلح بها شأنك.

ثم قال:

«متى أشكر إفرادك إياي بعد الله، بتأميلي في حادثة حدثت عليك، فأعانني الله على مكافأتك»!

فقال الطلبة: «قد سمعنا عذرك، وعلينا عهد الله إن لقيناه إلا قيامًا»!

---

(١٧) للركوب.

(١٨) أسلم قيادته لعنان الدابة، لاستيلاء الحيرة عليه.

– ٣ –

جلال المُلْك ومعانيه

(من كتاب «التاج في أخلاق الملوك»)

أخذت أقلّب، في يدي «كتاب التاج»[١٩]، الذي يُنسَب إلى الجاحظ، أريد أن أسعى إلى التحقق من نسبته إليه. وكنت مشغولاً، بهذا الخاطر، عن تملّي ما في الكتاب من حقائق النفس البشرية حين تكون في مرتبة القدرة على من حولها من الناس، والتحكم في أنفسهم وأموالهم ومصائرهم، لا يردعها في ذلك إلا رادع الضمير الذي يصحو وينام.

تركت أمر نسبة الكتاب إلى صاحبه وتتبعت هذا المعنى، فعجبت للنفس البشرية: كيف كانت تُمتحن بتجربة المُلْك وتحترق بنارها، ثم هي – بما هي فيه – لا تكفيها عِبَر الحياة ووقائع التاريخ ولا سِيَر رجاله ولا تجاربهم! هذا كله وفي الحياة نواميس لا مفر من الخضوع لها، وأولها الموت الذي يطوي الناس ومنازلهم وما اقتنوه أو سلبوه. فكيف إذن كانت الحال تكون لو أنهم مُنحوا الخلود على الأرض؟

---

(١٩) كتاب «التاج في أخلاق الملوك» نسب إلى الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، وماتزال الشكوك تعتور نسبته إليه. حققه أحمد زكي باشا (المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩١٤)، ورأى أن كلمة (التاج) أضيفت إلى اسمه «في أخلاق الملوك» بعد القرن الثامن الهجري، إذ كان ياقوت (ت٦٨٩هـ) ذكر للجاحظ كتابًا باسم «أخلاق الملوك» .

ثم إنا لو تركنا هذا كله، وبقينا في قيد الحياة: فما الذي يتبقى لهم من معاني الحياة العميقة التي تدفنها أبّهة الملك ومظاهرها الخادعة وصورها البراقة وتبعاتها الباهظة؟ وأين يصير معها، دفء الأسرة والبيت، واجتماع الشمل، وألفة الود، وجمال العِشْرة، وراحة المباسطة؟

لقد كان معاوية – وأنا أنقل الأخبار دائمًا عن هذا الكتاب – يُقيم بينه وبين ولده بابًا لا يفتحه إلا الحاجب! وقد أحب بعض ولد المأمون أن يراه حين اشتد به وجع الموت، فرده الحاجب بقوله: «لا والله!... ما إلى ذلك سبيل. ولكن إن شئت أن تراه من حيث لا يراك، فاطّلع عليه من ثقب في ذلك الباب... فجاء الولد حتى اطّلع عليه وتأمله، ثم انصرف»!

وكان بعض ملوك العجم لا يُعرف لهم مَبيت، إمعانًا في الحذر، فكان يُفرش للملك منهم أربعون فراشًا في أربعين موضعًا، ثم لعله لا ينام في واحد منها على الإطلاق!

وكانت حكاية الملِك مع من يحيط به، من أعوانه وحواشيه، تدخل في هذا الباب: فهم، بحكم موضعهم منه، قادرون على أن يسلبوه إنسانيته ويُبدلوه بتاجها الذي هو من صنع الله، تاجًا من صنع أنفسهم. وهم لا يدرون أنهم، في آخر الأمر، يمسخونها بأيديهم.

فقد غضب بعض ملوك الأعاجم على واحد من سُمَّاره، فلم يجد هذا بدًا، لإرضائه، من أن يتعلم «نُباح الكلاب، وعواء الذئاب، ونهيق الحمير، وصياح الديوك، وشحيج البغال، وصهيل الخيل»، ويَكمُنَ للملك، قريبًا من مجلسه، ويُخفي نفسه.

فحين نبح – يقول الكتاب – «لم يشكَّ الملك أنه كلب وابن كلب»! فتلفت يسأل مَن حوله:

– انظروا ما هذا؟

فعوى الرجل حينئذ عِواء الذئاب، فنزل المِلك عن سريره. فنهق الرجل نهيق الحمار، فغادر الملك المجلس. وجاء الغلمان يتتبعون الصوت، فصاح صياح الدِّيكة، فارتدوا عنه. ثم اجتمعوا فاقتحموا عليه فأخرجوه وهو عُريان مختبئ...! وقالوا للملك:

– «هذا مازيار المضحك»!

فضحك الملك حتى تبسَّط، وقال:

– «ويلك: ما حملك على هذا»؟

قال: «إن الله مسخني كلبًا وذئبًا وحمارًا، لما غضب عليّ الملك»!

* * *

على أن في الكتاب، إلى جانب هذا، صورًا أخرى تصوّر جلال النفس البشرية وهي في محنة المُلْك، وقدرتَها على النهوض بما يكتنفها من أثقاله وتقاليده وأعبائه وحواشيه، وعلى الحفاظ على سموّ مكان الإنسان فيه.

فهذه هي النفوس العظيمة التي تألقت في بهاء المُلْك كرمًا على المحتاجين، وعفوًا عن المسيئين، وتغافلاً عن الهفوات، وتكريمًا لمن يستحقون التكريم، وعدلاً بين الناس خاصتِهم وعامتهم، وقريبهم وبعيدهم على السواء، فتركت الدنيا خيرًا مما كانت عليه قبلها.

«فمما يُحكى عن بَهرام جور[٢٠]، أنه خرج يومًا لطلب الصيد، فعارَ[٢١] به فرسه حتى وقع إلى راع تحت شجرة، وهو حاقن[٢٢]. فقال للراعي:

– «احفظ عليّ عِنان دابتي، حتى أبول».

فأخذ بركابه حتى نزل، وأمسك عنان الفرس، وكان لجامه ملبَّسًا ذهبًا. فوجد الراعي غفلة من بهرام، فأخرج من خُفّه سكّينًا، فقطع بعض أطراف اللجام. فرفع بهرام رأسه فنظر إليه فاستحيا[٢٣]، ورمى بطرْفه إلى الأرض، وأطال الاستبراء ليأخذ الراعي حاجته من اللجام. وجعل الراعي يفرح بإبطائه عنه، حتى إذا ظن[٢٤] أنه[٢٥] قد أخذ حاجته من اللجام، قام[٢٦] فقال:

– «يا راعي! قدّم إليّ فرسي، فإنه قد دخل في عينيّ ممّا في هذه الريح، فما أقدر على فتحهما»!

وغمَّض عينيه لئلا يوهمه أنه يتفقد حلية اللجام. فقرّب الراعي فرسه، فركبه. فلما ولّى، قال له الراعي:

– «أيها العظيم! كيف آخذ إلى موضع كذا وكذا»؟

---

(٢٠) من ملوك الفرس، وهو بَهرام جور الخامس ابن يزدجرد (حكم من سنة ٤٢٠–٤٣٨م). عُرف بالرفق والعدل، حتى تحول في التاريخ، إلى شخصية أسطورية. – (جعله الفردوسي، في الشاهنامة، يحكم ٨٣ سنة).

(٢١) تاه به وانصرف في كل اتجاه.

(٢٢) من لا يملك أن يحفظ بوله.

(٢٣) الملك بَهرام.

(٢٤) الملك بَهرام.

(٢٥) يريد: الراعي.

(٢٦) الملك بَهرام.

قال بَهرام: «وما سؤالك عن هذا الموضع»؟

قال: «هناك منزلي، وما وطئتُ هذه الناحية قط غير يومي هذا، ولا أراني أعود إليه ثانية[٢٧]»!

فضحك بَهرام، وفطن لما أراد، فقال:

– «وأنا رجل مسافر، وأنا أحقّ بألا أعود إلى ههنا أبدًا[٢٨]»!

ثم مضى. فلما نزل عن فرسه، قال لصاحب دوابّه ومراكبه:

– «إن معاليق اللجام قد وهبتها لسائلٍ مرّ بي، فلا تتهمنّ بها أحدًا»!

ومثله أنو شروان، وسليمان بن عبد الملك، ومعاوية بن أبي سفيان، وأبو جعفر المنصور[٢٩]: وَسِعُوا رعاياهم، وتغاضَوا عنهم، وواسَوْهم في أموالهم، وحفظوهم في خلَفهم وعيالهم. «وهذه أخلاق الملوك معروفة في سيرهم وكتبهم، وإنما يتفقد مثل هذا[٣٠] من هو دون المِلك. فأما الملك فيجِلّ عن كل شيء، ويصغُر عنده كل شيء».

(٢٧) خوفًا من أن يمسك به.

(٢٨) يرمي إلى طمأنة الرجل.

(٢٩) وفي الكتاب المذكور حكايات عنهم ص (١٠٧) وما بعدها (طبعة الشركة اللبنانية للكتاب).

(٣٠) يُشير إلى لجام بهرام جور.

المستهتر والاستهتار حديثًا وقديمًا

د. عباس علي السوسوة(*)

ليس الغرض من بحثنا في تاريخ هذين اللفظين صيغةً ودلالةً تحريم استعمالهما، ولا إيجاد مسوغات لإجازتهما؛ فنحن نعتقد أن هذا خارج عن مهمة اللغوي، أي دراسة الظاهرة اللغوية بحياد كامل، وتحليلها، وذكر الأسباب التي أدَّت إلى أن تكون ما هي عليه. وهذا ما سنحاول أن نقوم به في هذا البحث المتواضع .

(١)

بدأنا العنوان بـ(حديثًا) وأتبعناه بـ(قديمًا)؛ ولسنا نستبعد وجود جذور للظاهرة مطمورة في معاجمنا القديمة، تحتاج أن يُنظر فيها بدقة؛ كي تُستخرج من بين تلال المعاني المتداخلة والمتضاربة والمتضادة، فضلاً عن مداخل المادة المختلطة في المعجم الواحد . على أن أكثر هذه الأصول المختفية – حسب خبرتنا المتواضعة – إنما تُوجد في غير كتب اللغة؛ يجدها الباحث عند المؤلِّفين في التاريخ والجغرافية والرحلات والحسبة والتراجم وعلم الكلام ...إلخ.

كنت أسأل طلابي الجدد، منذ عام ١٩٩١م وحتى الآن:

– ما معنى فلان مستهتِر ؟ فكانت الأجوبة – على خلافات طفيفة – أنه متحلِّل من قيود الأخلاق والعادات والمواضعات الاجتماعية والدين .

– وإذا صاحبت الباء الكلمة في مثل (فلان **مستهتر بالمذاكرة**، أو

(*) باحث وأستاذ في جامعة تعز في اليمن.

بالعمل أو بالدين ...إلخ)؟ اتفقت الإجابات أن المعنى: أنه **مستهين** بكل ما جاء بعد الباء، أو أنه لا يبالي بها.

– وإذن ما مصدر الكلمة ؟ أجابوا: (الاستهتار) في جميع الأحوال .

– وكيف يأتي الفعل منه ؟ أجابوا: استَهتَر (بفتح التاءين في الماضي) ويستَهتِر (بفتح التاء الأولى وكسر الثانية في المضارع) .

وسّعتُ الدائرة فانتقلت أسأل الصحفيين والشعراء والقصّاصين فكان الجواب كما تقدَّم صيغةً ومعنى . ثم كنت أسأل بعض الزملاء الدكاترة المختصين بالعربية لغة وأدبًا – وهم من أقطار عربية شتى– فلم تختلف إجاباتهم عن إجابات الدوائر السابقة .

وفي العربية الفصحى المعاصرة، مكتوبة ومنطوقًا بها، لا يختلف الأمر سواء في استعمال صيغة الكلمة: اسم الفاعل والمصدر والفعلين المضارع والماضي، أو في معنى الاستهانة بالشيء .

وهذه بعض الشواهد الدالة على ما قلناه، لن نعلِّق عليها بشيء بادئين بأقدم المحدثين، الشدياق (ت ١٨٨٧م): «ولعلك تهتدي إلى الرشاد إذا أفقتَ من خُمارك، وتبيّن لك فظاعة **هُترك واستهتارك** »[(١)].

وفي موضع آخر يقول: «وكان خليعًا ماجنًا **فحّاشًا مستهترًا**، منهمكًا في اللذات وهوى النفس»[(٢)]. ومن الحق أنه أيضًا استعمل المستهتر بالمعنى القديم؛ أي المتعلِّق بالشيء تعلُّقًا جنونيًا[(٣)].

(١) أحمد فارس الشدياق: الساق على الساق فيما هو الفارياق، ط٣ بيروت: مكتبة الحياة ١٩٦٦م، ص ١٢٢.

(٢) الساق على الساق، ص ١٩٠، وانظر ص ٤٠٠، ٤٧٧، ٥٥٧، ٦٣٥.

(٣) أحمد فارس الشدياق: الواسطة في أحوال مالطة، القسطنطينية ١٢٩٩هـ، ص ٢٧.

ومثله في استعمال المعنيين طه حسين (ت ١٩٧٣م) في كتاب واحد، وفي الحديث عن شخص واحد هو يزيد بن معاوية، قال في الموضع الأول: «كان قبل ولاية العهد لأبيه مسرفًا على نفسه في طلب اللذة **والعكوف عليها والاستهتار بها**»(٤).

وفي الموضع الثاني: «وكان يزيد فتى من فتيان قريش صاحب لهو وعبث، محبًا للصيد، مسرفًا على نفسه في لذاته **مستهترًا لا يتحفظ وكان ربما أضاع الصلاة**»(٥).

وقد ألمح إلى ذلك المرحوم محمد الأنطاكي عندما ذكر «أن بعض الكتَّاب اليوم يستعمل كلمة (استهتر) للمعنيين معًا، وأذكر أنني قرأت مرة كتابًا استعمل فيه صاحبه كلمة (استهتر) للمعنيين كليهما في صفحة واحدة [!] . ومن المؤسف أن الذاكرة لا تسعفني لذكر اسم هذا الكتاب»(٦).

ثم نجد الظاهرة عند أمير الشعراء (ت١٩٣٢هـ)، جاء بها على لسان ليلى حبيبة قيس:

«صنتُ منذ الحداثة الحبَّ جهدي وهو **مستهتِر الهوى لم يصنّي**
قد تغنّى بليلة الغيل، ماذا كان بالغيل بين قيسٍ وبيني»(٧)

(٤) طه حسين: الفتنة الكبرى، ج٢، علي وبنوه، القاهرة: دار المعارف ط١١، ١٩٨٢م، ص ١٣٦ [الطبعة الأولى ١٩٤٦] .

(٥) المرجع نفسه: ص ٢٢٥.

(٦) محمد الأنطاكي: الوجيز في فقه اللغة، بيروت: دار الشرق العربي . د. ت، ص ١٣٣ وقد تجرأ الناشر بعد وفاة المؤلِّف فغيَّر عنوان الكتاب إلى «دراسات في فقه اللغة»!!

(٧) أحمد شوقي: مسرحية مجنون ليلى، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦، ص ١٨.

ونجدها كثيرة عند أحمد أمين (ت١٩٥٤م): «بلطجي: للشخص القوي الذي يأكل مال الناس **ويستهتر** ويعيش عيش بوهيمية»(٨).

ونجدها عند أبي القاسم الشابي (ت١٩٣٤م) في أعماله النثرية، ففي (الخيال الشعري عند العرب): «وكان الأدب الأندلسي **مستهتِرًا** مسرفًا في اللذة والمجون؛ لأن الأمة الأندلسية كانت صبية لاعبة تمرح بين الرياض والجداول»(٩). وفي (الدموع الحائرة): «حتى إن ابن أبي ربيعة وامرأ القيس، وهما في الأدب العربي مثلان فريدان **للنزعة المستهترة** المتهالكة على الشهوة واللذة، ليبدوان في الدرجة الثانية بعد بشّار»(١٠).

ونجدها عند نجيب محفوظ «... على **استهتار وجسارة** يقشعر لهما البدن »(١١).

ثم نجدها عند المؤرِّخ الأدبي الشهير شوقي ضيف (ت٢٠٠٥م): «ويكفي أن نتصفح ديوان شاعر كالفرزدق الذي اشتهر **بفسقه واستهتاره**، لنعرف أنه لم ينفصل من الإسلام، وأنه تأثر به ... **فالفرزدق المستهتِر** لم يكن الإسلام بعيدًا عنه »(١٢).

وفي كتاب خُصِّص للشاعر أبي نواس، كتبه مجموعة من الباحثين، نجد

(٨) أحمد أمين: قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، ط٢. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٩م، ص ١٦٩ وانظر ٢٣٦، ٢٦٥، ٢٧٥، ٣٣٣، ٣٥٩، ٤٢٧ وانظر له: فيض الخاطر، القاهرة ١٩٤٨م، ج ٥ /١١٤.

(٩) أبو القاسم الشابي: الأعمال الكاملة، تونس: الدار التونسية للنشر ١٩٨٥، ج ١/١٠٥.

(١٠) المصدر نفسه: ج ٢ /٧٩.

(١١) نجيب محفوظ: السراب رواية ، القاهرة: مكتبة مصر ١٩٤٨م، ص٢١٩.

(١٢) شوقي ضيف: التطور والتجديد في الشعر الأموي، ط٨، القاهرة: دار المعارف ١٩٨٧م، ص٦٢، وانظر ص٦٣ [الطبعة الأولى ١٩٥١].

الجميع يستعملون الصيغة الحديثة والدلالة الحديثة . فعبد العزيز البِشري (ت ١٩٤٣م) في مقال (المفتن أبو نواس) يقول: «إذ هو إلى ذلك رجل **مستهتر** ... تحلل من كل ما يأخذ الناس به نفوسهم في هذا المجتمع »[١٣].

وفي مقال (هل كان أبو نواس مجنونًا ؟) لمحمد زكي شافعي بك (ص٣٣- ٣٤): «...أمّه كانت **مستهترة بالأخلاق** .أي إنه كان يعيش في جو لا يمتُّ للفضيلة بصلة ... فأبو نواس، لو صحَّ ما كُتب عن أمه — يكون **استهتاره** ناشئًا عن بيئة طفولية غالبًا».

وفي مقال (بين شوقي وأبي نواس) لكامل كيلاني (ت١٩٥٩م)، (ص٦٦): «وكان من الطبيعي أن نرى أبا نواس **مستهترًا جريئًا لا يبالي بالنقد**».

وفي مقال سيد إبراهيم (أبو نواس بين المعري والخيّام)، (ص٧٥): «قضى أبو نواس شبابه شاعرًا **مستهترًا** سكيرًا عربيدًا في عصبة من قرنائه».

ونجد أحمد زكي أبو شادي (ت١٩٥٥م) يستعملها في (الدعابة في شعر أبي نواس) (ص٨٣): «فهو بودلير الشرق إلى حد كبير، وقد كان ذلك الشاعر الغربي **المستهتر** طيب القلب مثله، صريحًا غاية الصراحة ».

وفي مقال محمد عرفة (المناقضة في شعر أبي نواس بين ابن هاني وشعراء عصره) (ص٨٩): «الذي تقفنا عليه دراسة مناقضات أبي نواس أنه **كان خليعًا ماجنًا مستهترًا شعوبيًا**».

وفي مقال خيري سعيد (أبو نواس السياسي) (ص١٢٧): «ولولا خُرق قائده علي بن عيسى بن ماهان **واستهتاره بقائد المأمون** طاهر بن الحسين، لانتصر الأمين واندحر المأمون».

---

(١٣) أبو نواس حياته وشعره، بيروت: المكتبة الحديثة للطباعة والنشر. د. ت. وسنضع أرقام صفحات الكتاب في المتن، تخفيفًا على الهوامش .

وخارج نطاق الكتاب إليك هذه الشواهد منسوقةً نسقًا تاريخيًا:

- «وانطلق مع عصابة المجّان **مستهترين بكل شيء** في مجتمعهم، يتحدّونه جهارًا، ولا يستحون من ارتكاب المحرمات»(١٤).

- «وتُفتح أبواب أغلقها التضييق والإعنات، بمفاتيح الحذر والحرص الذي لا تدانيه إباحة، ولا **يفسده قصور أو استهتار**»(١٥).

- «الشاعر اليمني الوحيد الذي خرج عن حدود الأدب والأخلاق في شعره هو الأديب أحمد بن فُليتة، الذي نجد له قطعًا ماجنة في الغزل بالمذكر، **والاستهتار بالأخلاق**»(١٦).

- «... إلا أن الأساس في هذا يرجع إلى أسلوب سيدانشا **المستهتر** المملوء بالهزل ومخالطته للعامة من الناس طالحهم قبل صالحهم »(١٧).

- «أما ما كان بعد ذلك، ومن ساهم في تصحيح الحدث أو سيرته، أو تصرف في توجيه تياراته ورياحه بلباقة أو برعونة، بإخلاص أو بمكر وخداع من

(١٤) محمد مصطفى هدارة: اتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري، ط٣، القاهرة: دار المعارف ١٩٩٧، ص ٦٢٠، وانظر ٢٩، ٢٤٦، ٣١٥ [الطبعة الأولى ١٩٦٣].

(١٥) عباس حسن: اللغة والنحو بين القديم والحديث، القاهرة: دار المعارف ١٩٦٦م، ص ٢٦٥.

(١٦) عبد الله بن محمد الحبشي: حياة الأدب في عصر بني رسول، صنعاء: وزارة الإعلام ١٩٨٠م، ص١٢٣، وانظر ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٨. ومثل ذلك في: واجدة مجيد الأطرقجي: المرأة في أدب العصر العباسي، بغداد: الرشيد للنشر ١٩٨١، ص ٤٨، ١٢٢، ٣٨٥.

(١٧) سمير عبد الحميد إبراهيم: اللغة العربية وقضية التنمية اللغوية في باكستان، القاهرة: دار المعارف ١٩٨٢، ص ١٦١.

نوع آخر، بنزاهة أو بجشع **واستهتار** فلذلك حديث آخر»[١٨].

- «... مستخدمين في ذلك نبرة الاستعداء ضد بعض الممثِّلين الذين يتقاضون أجورًا مرتفعة وينفقون في **بذخٍ واستهتار**»[١٩].

- «نجد هؤلاء **المستهترين** أقل الناس وفاء بالعهد وأضعفهم أمام المغريات»[٢٠].

- «إني أرى سيارةً تسير في اضطراب قائدها **مستهترٌ** أفرط في الشراب »[٢١]

- «عاش سيف **حياةً مستهترة**، يقضي شهرًا في الخرطوم وشهرًا في القاهرة وشهرًا في أسمرة ولا يجيء البلد إلا ليبيع أرضًا أو يتخلَّص من ثمر»[٢٢].

- «لقد بزغت إذن إرادة التحدي في أفق حياتي بمفهومها المتنور لا المتهور، والمتزن لا **المستهتر** »[٢٣].

---

(١٨) أحمد بن محمد الشامي: رياح التغيير في اليمن، جدة: منشورات تهامة ١٩٨٤، ص ٤٢٦.

(١٩) رؤوف توفيق: «٣ تساؤلات تواجه السينما العربية» الدوحة، العدد (١٢٤)، نيسان ١٩٨٦، ص١٣٤.

(٢٠) محمد علي رزق الخفاجي: ظاهرة الابتذال في اللغة والنقد، القاهرة: الدار الفنية ١٩٨٦، ص٦٣.

(٢١) أحمد مطر: لافتات ٢، لندن ١٩٨٧، ص٥٦.

(٢٢) أحمد شمس الدين الحجّاجي: الطيب صالح صانع الأسطورة، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٩٠م، ص٤٩، وانظر للمؤلِّف نفسه: الأسطورة في المسرح العربي، القاهرة: كتاب الهلال ١٩٨٣، ص١٥٧ ومولد البطل في السيرة الشعبية، القاهرة: كتاب الهلال ١٩٩١م، ص١٧٤.

(٢٣) خالد محمد خالد: قصتي مع الحياة، القاهرة: دار أخبار اليوم ١٩٩٣م، ص١٩٢ وانظر ٦٢، ١٣٩، ٢٨٨، ٣٣٥، ٣٨٢.

- «وكانت امرأة خليعة ماجنة، غرارة **مستهترة**، سلطت نزواتها الطاغية بإحكام على الملك »[٢٤].

(٢)

والآن نرجع إلى معاجمنا العربية القديمة للنظر في مادة (هـ ت ر) خصوصًا ما يتعلَّق بالفعل (استهتر) أهو بفتح التاءين أم بضم أولهما وكسر الثاني، ثم ننظر في صيغة (مستهتر) أهي على اسم الفاعل بكسر التاء الثانية أم بفتحها ؟ وننظر في دلالة اللفظ أيدل على شدة التعلُّق بالشيء أم يدل على الاستهانة، أم على التعلُّق بالشيء الذي لا يبالي صاحبه بلوم فيه ؟ مع الأخذ في الاعتبار أن معاجمنا – على تعدد أزمان مؤلِّفيها- إنما تهتم بدلالات الألفاظ في عصر الاحتجاج باللغة، لا بالدلالات في أزمان التأليف، فاللاحق يأخذ عن السابق . ولنبدأ بالعين للخليل (ت١٧٠هـ) «الهتر: مزق العِرض . رجل **مستهتَر: لا يبالي ما قيل فيه وما شُتم به**.وأهتر الرجل: فقد عقله من الكبر فهو المهتَر»[٢٥].

وفي (الصحاح) «أُهتِر الرجلُ فهو مهتَر، أي صار خَرِفا من الكبر . وفلان **مستهتَر بالشراب، أي مولع به لا يبالي ما قيل فيه** ... وتهاتر الرجلان إذا ادعى كل منهما على صاحبه باطلاً...»[٢٦].

أما ابن فارس الرازي (ت٣٩٥هـ) فجاءت الكلمة بضبطين في كتابيه .

(٢٤) أحمد علي المجدوب: العادات الجنسية لدى المجتمعات الغربيَّة مقارنة بالمجتمعات الإسلامية، ط٢ القاهرة: الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٨، ص٢٣٠ وانظر ١١٣، ٢٢٩، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٤٧ ... إلخ .

(٢٥) الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، بغداد: الرشيد للنشر ١٩٨٢م، ج ٤ /٣٢.

(٢٦) الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين .

ففي مقاييس اللغة ضبطها بالكسر «الهاء والتاء والراء، أُصَيل يدل على باطل وسيئ من القول؛ وأهتِر الرجل خرِف من الكبر، ومعنى هذا أنه يتكلم بالهِتر وهو السقَط من القول . والأصل فيه هذا، ثم يُقال رجل **مستهتِر لا يبالي ما قيل له،** أي كل الكلام عنده ساقط...»[٢٧].

وفي (مجمل اللغة) جاءت مضبوطة بالفتح: «... أهتَر الرجل: إذا خرف من الكبر، **ورجل مُهتِر** . والهتر: مزق العرض . **ورجل مستهتَر لا يبالي ما قيل له** .وليست الكلمة من الباب »[٢٨].

وفي أساس البلاغة للزمخشري: «جاء بهتِر من القول: بسقط (...) ومن المجاز: هو مهتَر به ومستهتَر به: مفتون به ذاهب العقل . وقد أُهتِر بفلانة واستهتِر بها ». وفي الفائق : «ابن عمر رضي الله عنهما — أعوذ بك أن أكون من **المستهتَرين** .هم السُقّاط الذين لا يبالون ما قيل لهم وما شُتموا به .(...) ويُقال: استهتِر فلان؛ إذا ذهب عقلُه بالشيء وانصرفت همّته إليه حتى أكثر القول فيه وأولع به، أراد المستهتَرين بالدنيا»[٢٩].

وفي (المحيط في اللغة) للصاحب إسماعيل بن عبّاد (ت٣٨٥هـ): **ورجلٌ مستهتِر لا يبالي بما قيل فيه،** ومثل ذلك في (العباب الزاخر) لرضي الدين الصغّاني (ت٦٥٠هـ). وللأمانة فإننا لم نجد ذلك في مطبوعَتي (المحيط)

(٢٧) أحمد بن فارس الرازي: مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة ط٢: مصطفى الحلبي ١٩٧١م، ج ٦/ ٣٢.

(٢٨) أحمد بن فارس الرازي، مجمل اللغة، تحقيق هادي حسن حمّودي؛ الكويت: معهد المخطوطات العربية ١٩٨٥م، ج ٤ /٤٦٥.

(٢٩) الزمخشري: الفائق في غريب الحديث، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، ط٢، القاهرة: عيسى الحلبي ١٩٧١م، ج٤ / ٩١.

و(العباب)، بل كان ذلك في قرص حاسوبي يضم – إلى جوار الموسوعة الشعرية – مجموعة من المعاجم القديمة .

وفي المصباح المنير للفيومي (ت٧٧٠هـ):... واستهتِر: **اتبع هواه فلا يبالي بما يفعل.اهـ** .

وفي لسان العرب لابن منظور (ت٧١١هـ) نجد مداخل المادة التسعة على صفحتين، وفي الصفحة الواحدة ثلاثة أنهر من الكتابة، ومداخل المادة مختلطة غير مرتبة، فضلاً عن التكرار الناتج عن النقل من مصادر متعددة. المهم أن يعلم القارئ الكريم أننا نقلنا ما يتعلق بموضوع البحث واستبعدنا سواه.

«... رجل مستهتَر: **لا يبالي ما قيل فيه ولا ما قيل له ولا ما شُتم به** .

... أما الاستهتار فهو الولوع بالشيء والإفراط فيه حتى كأنه أُهتِر .

... فلان مستهتَر بالشراب: أي **مولع به لا يبالي ما قيل فيه** .

... أهتِر الرجل فهو مهتَر، إذا أولع بالقول في الشيء .

... واستهتِر فلان فهو مستهتَر، إذا ذهب عقله فيه وانصرفت همته إليه، حتى أكثر القول فيه بالباطل ....

... أعوذ بك أن أكون من المستهتَرين (...) المبطلين في القول والمسقطين في الكلام . وقيل: **الذين لا يبالون ما قيل لهم وما شتموا به**» **اهـ** (٣٠).

أما (المعجم الوسيط) فيُفترض أنه حديث، أو أنه يجمع القديم والحديث؛ غير أنه في هذه المادة كان قديمًا؛ فقد ضمّ ما كان متفرقًا في المعاجم القديمة، ورتبها في خمسة عشر مدخلاً، لبعض المداخل أكثر من معنى، بحسب النظام

(٣٠) ابن منظور: لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرين، القاهرة: دار المعارف ٧٧-١٩٨١م، ص٤٦١١- ٤٦١٢. ولا جديد في القاموس ولا في تاج العروس بل ما فيهما يقل كثيرًا عما في اللسان .

الذي ارتضاه ونص عليه في مقدمته، ولم تخرج لغة الشرح عن شروح المعاجم القديمة بنصها، وسنكتفي منه بما له صلة مباشرة ببحثنا . جاء في الوسيط:

- «استهتِر فلان: ذهب عقله وخرِف من كبر ونحوه .

و ـ : كان كثير الأباطيل .

و ـ بالشيء: فُتن به ولزمه غير مبال بنقد ولا موعظة يُقال: استهتِر بالشراب، واستهتِر بفلانة ... »[٣١].

وإذا جئنا إلى (محيط المحيط) الذي ألَّفه صاحبه في القرن التاسع عشر، وجدناه يغترف من السابقين، ولكنه يُضيف «... والعامة تقول: **استَهتَرَ بالشيء: لم يبالِ به ولا يهتم به**»[٣٢].

وفي معجم دوزي المؤلَّف باللغة الفرنسية والعربية في القرن التاسع عشر، بعد تأليف البستاني معجمه، نجد عنده الدلالات الحديثة للفظ، مع الدلالات القديمة، مستفيدًا من كتب المؤلِّفين المغاربة، ومن المعاجم التي أُلِّفت قريبًا من زمنه . جاء فيه «تهاترت البينات: في (محيط المحيط): إذا تساقطت وبطلت.

– استهتر بالنساء [بغير ضبط]: أُولع بهن (حيان ٢٢، ٢٩)

– استهتر في [بغير ضبط] (المقدمة ٢٨/١): أحوال الفسّاق المستهترين في التطواف بالليل . وفي (٣٥٥/٢) المستهتر في المحبة. (٠٠٠).

– استهتَر بفلان: تحدّاه (بقطر) . استهتَر به: استخف به، تلاعب به، سخر منه . وفي (محيط المحيط) والعامة تقول ... إلخ »[٣٣].

---

(٣١) مجمع اللغة العربية بالقاهرة: المعجم الوسيط، ط٢، ١٩٧٣ مادة (هـ ت ر).

(٣٢) بطرس البستاني: محيط المحيط، بيروت: مكتبة لبنان ١٩٩٣، ص٩٢٩.

(٣٣) رينهارت دوزي: تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية محمد سليم النعيمي، أكمله جمال الخياط، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠٠١م، ج ٢٣/١١.

ونحن نرجِّح، من خلال شواهده أن ما نقله المترجم غير مضبوط إنما هو مفتوح التاءين في الماضي، وأن المستهتر بكسر التاء الثانية . وأما دلالات الاستهانة والاستخفاف فواضحة .

(٣)

حسب علمنا القاصر نعتقد أن ابن الجوزي أول من أشار إلى لحن (استهتَر) «استُهتِر فلان بكذا، والعامة تفتح التاءين»[٣٤]. ونقله الصفدي عنه فقال: «ولا يقال: استهتَر الرجل فهو مستهتِر »[٣٥]، وكلاهما لم يُشر إلى دلالة الصيغة . وقد تلقَّف هذه التخطئة بعض المصححين اللغويين في العصر الحديث فقال: «... ولا تقل: استهتَر فلانٌ، ولا فلان مستهتِر؛ لأنه من الأفعال المبينة للمجهول، المجهول فاعلوها»[٣٦]. ونحن لا نرى هذا، بل نزعم أن الكلمة صالحة لأن تُسند إلى الفاعل أو لنائب الفاعل . وقد مرّ بنا في المعاجم القديمة ما ضبطها بالبناء للفاعل .

وهناك رسالة عن الفعل المبني لغير الفاعل، جمعها صاحبها من كتاب الأفعال للسرقسطي أولاً ثم من مصادر قليلة . والمتأمِّل فيها سيجد أن أكثر من نصف الأفعال التي زعمها المؤلِّف مبنية للمجهول، جاءت في العربية أيضًا مبنية للفاعل، زد على ذلك أن المؤلِّف أورد قسمًا منها وهي مبنية للفاعل أيضًا . المهم

(٣٤) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي: تقويم اللسان، تحقيق عبد العزيز مطر، القاهرة: دار المعرفة ١٩٦٦، ص٧٧.

(٣٥) صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي: تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، تحقيق السيد الشرقاوي، القاهرة: مكتبة الخانجي ١٩٨٧، ص١٠٢، وعلى ذلك تكون هذه الصيغة شائعة في القرن السادس الهجري .

(٣٦) مصطفى جواد: قل ولا تقل، ط٢، بغداد: مطبعة أسعد ١٩٧٠، ١/٦٣-٦٤.

جاء في الرسالة: «استهتِر بكذا بالفوقية والهاء والفوقية والراء مبني للمجهول، كما في القاموس، والمستهتر بالشيء المولع به لا يبالي بما فعل »[٣٧]. وعلَّق المحقق في الحاشية «ويستعملها عامة زماننا بمعنى تهاون بالشيء، وهو خطأ»[٣٨].

وهو قد غرب عن ذهنه معنى اللامبالاة في المعاجم القديمة نفسها، أما عامة زماننا فهم لا يختلفون في هذا عن علماء زماننا وكتابهم بشتى اتجاهاتهم . ولو كنا في مجال الاستحسان الشخصي لقلنا: إن صيغتي اسم الفاعل والماضي المبني للفاعل أقيس . فما بالك وقد وردت في بعض تصاريف المادة هكذا، وقد ضبطها بعض المعاجم على القياس .

أضف إلى ذلك ورودها في (المفضَّليات)، في عينية الشاعر المخضرم عبدة بن الطبيب التي يرثي فيها نفسه، جاء في البيت الثامن والعشرين:

«يسعى ويجمع جاهدًا **مستهتِرًا** جدًا، وليس بآكلٍ ما يجمعُ »[٣٩]

وعلَّق المحققان في الحاشية: «المستهتر: المولع بالشيء الذاهب عقله فيه من حرصه عليه . وضبط بكسر التاء على وزن اسم الفاعل في أصول المتن والشرح أربع مرات . والذي في المعاجم ضبطها بفتحها بوزن اسم المفعول وضبط فعله (استهتر) بالبناء للمفعول فما ثبت هنا لغة لم ينص عليها »[٤٠].

(٤)

(٣٧) محمد بن علي بن علاّن الصدّيقي: إتحاف الفاضل بالفعل المبني لغير الفاعل، تحقيق حسن شاذلي فرهود، مجلة الدراسات اللغوية، مج٣، العدد٤، شوال — ذي الحجة ١٤٢٢هـ = يناير — مارس ٢٠٠٤م، ص٢٧.

(٣٨) المصدر نفسه، حاشية ٥ للمحقق !

(٣٩) المفضَّل بن محمد الضبي: المفضَّليات، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، القاهرة: دار المعارف ١٩٧٤م، ص١٤٨.

(٤٠) المصدر نفسه: الحاشية .

تساءل المرحوم الأنطاكي عن سرِّ تغير دلالة الكلمة من شدة التعلق بالشيء إلى اللامبالاة به، فعلَّل ذلك بأنها «كانت لا تُقال إلا إذا أحب إنسانٌ شيئًا أو شخصًا حبًّا لا يبالي معه ما يقوله الناس فيه . فكانوا إذا قالوا: (استهتر زيد بالسفر) عَنوا أن زيدًا مولع بالسفر ولوعًا شديدًا يجعله لا يبالي ما يقوله الناس فيه في هذا الشأن، ثم انتقل معنى عدم المبالاة هذا من قول الناس إلى المحبوب ذاته، فصرنا إذا قلنا اليوم (استهتر سعيد بالسفر) نفهم من ذلك أنه لا يبالي السفر ولا يهتم له... »[٤١].

وهذا الرأي على وجاهته لا نسلِّم به؛ فنحن نرى:

١– أنه كان للكلمة معانٍ عدة من بينها الاستهانة واللامبالاة، كما هو واضح في المعاجم، ونرجِّح أن الاستهانة متعلقة بصيغة (مُهتِر) دون غيرها . غاية ما في الأمر أن المعربين استعملوا صيغة الاستفعال منها .

٢– لو جاريناه في انتقال المعنى إلى النقيض فإننا لا نذهب مذهبه في التعليل، بل نرى أن دلالة التعلق بالشيء قد تكون بشيء حسن أو بشيء قبيح على السواء . وبمرور الزمن صار استعمالها في التعلق بالقبيح أكثر، فتحوَّل المعنى إلى النقيض .

فمن التعلق بالأشياء الطيبة قول الإمام علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه– في صفة الملائكة: «ولا يرجع بهم الاستهتار بلزوم طاعته»[٤٢].

وأما الاستهتار بالنبيذ والشراب والقيان وما ذلك سبيله فيكفي أن نشير إلى المصادر في الحاشية لمن أراد التأكد، وقد وقفنا بها عند حدود القرن الخامس

---

(٤١) محمد الأنطاكي: الوجيز في فقه اللغة، ص٣١٣. ويُلاحظ أنه ضبط الصيغة بالبناء للمجهول . وهذا غير حاصل إطلاقًا في العربية الفصحى المعاصرة.

(٤٢) ابن أبي الحديد المدائني: شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، القاهرة: عيسى الحلبي ١٩٦٨، ج ١ / ٤٧٧ وانظر ج ٣٦/٢.

الهجري [٤٣].

على أن الذي يحتاج إلى شواهد إنما هي دلالة الاستهانة والاستخفاف واللامبالاة، وسيرى القارئ الكريم أن ذلك لم يحدث طفرةً في القرن العشرين الميلادي:

١- لعل أقدم الشواهد على ذلك ما جاء في شعر الأندلسي ابن الأبّار (ت٤٣٣هـ)، في وصف الدولاب الذي يسقي له:

«وكأنه مما شدا **مستهتِرٌ** وكأنه مما بكى أوّابُ »[٤٤]

فالدولاب بين حالتين: حالة الأوّاب الباكي، وحالة المستهتر المرح . وهما حالتان متناقضتان، فالمستهتر — لا شك — لا يبالي ببكاء الأواب .

٢- والشنتريني (ت٥٤٢هـ) يتحدث عن شاعر أدت به استهانته بكبار أهل زمانه إلى الهاوية. قال: «جذبت البطالة **والاستهتار** أذياله . واستفرص بلسانه أعيانَ أهل زمانه»[٤٥].

٣- ونجد دلالة المستهين عند سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ) يصف به

(٤٣) الجاحظ: الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٢، القاهرة: مصطفى الحلبي ١٩٦٥، ج ١٠٥/٢. والمحسن بن علي التنوخي: نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق عبود الشالجي، بيروت: دار صادر ١٩٧٢، ج ٢ /٢٧٠-٢٧١، والشريف المرتضى: أمالي المرتضى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: عيسى الحلبي ١٩٦٧، ج ٣٨٤/١ وج ١٨٧/٢. الثعالبي: يتيمة الدهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة: التجارية ١٩٤٩، ج ٩١/٣، وأبو الطيب الوشاء: كتاب الموشى أو الظرف والظرفاء، بيروت: دار صادر ١٩٦٥م، ج ١٢٤/١.

(٤٤) علي بن سعيد المغربي: المغرب في حُلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة: دار المعارف ١٩٦٤، ج ٣١٠/٢.

(٤٥) علي بن بسّام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، تونس: الدار العربية للكتاب ١٩٨١م، ج ٧٥٨/٣.

القاضي عبد العزيز بن عبد الواحد: «كان فاسد العقيدة دُهريًا **مستهترًا** بأمور الشريعة»(٤٦).

٤- ونجدها في وصف شهاب الدين السهروردي المقتول عام ٥٨٦هـ ، على لسان فخر الدين الماردِيني، نقل ذلك ابن أبي أُصيبعة (ت٦٦٨هـ): «ما أذكى هذا الشاب وما أفصحه! ولم أجد أحدًا مثله في زماني . إلا أني أخشى عليه؛ لكثرة **تهوره واستهتاره وقلة تحفظه**، أن يكون ذلك سببًا لتلافه»(٤٧) .

٥- ونجدها عند الكتبي (ت٧٦٤هـ) في ترجمة السلطان الأشرف خليل ابن قلاوون المقتول عام ٦٩٣هـ . فذكر أن أحد المشتركين في اغتياله «شرع يعدِّد ذنوبه وإهماله أمور المسلمين **واستهتاره بالأمراء** »(٤٨).

٦- ونجدها عند الصفدي (ت٧٦٤هـ) في وصف أحمد بن محمد البَقَّقي (ت٧٥٢هـ): «كان **يستخف بالشرع** الذي شهدت العقول بحسن وصفه، **ويستهتر بالقرآن** الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه»(٤٩).

٧- واللفظ يحمل دلالة سيئة عند ابن كثير (ت٧٧٤هـ) في حديثه عن

---

(٤٦) سبط ابن الجوزي يوسف بن قزأوغلي: مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، حيدر آباد الدكن: جمعية دائرة المعارف العثمانية ١٩٥١، ج ٧٥١/٨.

(٤٧) ابن أبي أُصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، بيروت: مكتبة الحياة ١٩٦٥م، ص٦٤٢. وراجع: مصطفى جواد: المباحث اللغوية في العراق، القاهرة: معهد الدراسات العربية ١٩٥٤م، ص٤٠.

(٤٨) محمد بن شاكر الكتبي: فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار صادر ج ٤٠٨/١.

(٤٩) صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق علي أبو زيد ونبيل أبو عمشة، ومحمد موعد ومحمود سالم محمد، أبو ظبي: مركز جمعة الماجد ١٩٩٧، ج ١/ ٣٥٦.

ابن الراوندي الملحد: «وقد أسند إليه حكايات من المسخرة **والاستهتار** والكفر والكبائر، منها ما هو صحيح عنه، ومنها ما هو مفتعل عليه »[٥٠].

٨- ويقول عن المعري: «أورد ابن الجوزي من أشعاره الدالة على **استهتاره بدين الإسلام** أشياء كثيرة . فمن ذلك قوله:

اثنان أهل الأرض: ذو عقل بلا دينٍ وآخر ديّنٌ لا عقلَ له»[٥١]

٩- ونجدها في تاريخ ابن الفرات (ت٨٠٧ هـ)، في وصف مقتل الأشرف خليل: «... ثم شرع يعدد مساوئ السلطان الأشرف ومخازيه **واستهتاره بالأمراء ومماليك أبيه**، وإهماله أمور المسلمين »[٥٢].

١٠- ونجدها عن ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)؛ ففي ترجمته لطوغان الشمسي المتوفى ٧٤١هـ : «ويُنسب إليه **استهتار** زائد وكلمات مؤذنة بالزندقة والانحلال »[٥٣].

١١- وفي موضع آخر ينقل عن ابن رافع أن مُغلطاي بن قليج أنشده «لنفسه في (الواضح المبين) شعرًا يدل على **استهتار** وضعف في الدين »[٥٤].

١٢- ونجدها عند الغَزّي (ت٩٨٤هـ): «فالعاقل يربأ بنفسه عن سفساف الأمور وعن مخالطة السفلة ومزاحهم مطلقًا (...) ولا بأس به بين

(٥٠) إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي: البداية والنهاية، بيروت: مكتبة المعارف ١٩٧٧م، ج ١١ / ١١٣.

(٥١) البداية والنهاية ج ١٢ / ٧٥.

(٥٢) ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات: تاريخ ابن الفرات، مج ٨ تحقيق قسطنطين زريق ونجلاء عز الدين، بيروت: الجامعة الأمريكية ١٩٣٩م، ص١٧٠.

(٥٣) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، حيدر آباد الدكن: جمعية دائرة المعارف العثمانية ١٣٤٩هـ، ج ٢ /٢٢٨ .

(٥٤) الدرر الكامنة ج ٤ /٣٥٣.

الإخوان بما لا أذى فيه ولا ضرر ولا غيبة ولا شين في عِرض أو دين؛ قاصدًا به حُسن العشرة والتواضع للإخوان والانبساط معهم، ورفع **الحشمة بينهم من غير استهتار ولا إخلال بمروءة**»[٥٥].

١٣- ونجد اللفظ بمعنى السلوك السيئ عند المقَّري (ت١٠٤١هـ). فبعد أن نقل قصصًا عن سلوك الخليفة المعتمد بن عبّاد، وتبذيره الأموال في صرعات عجيبة؛ منها عمل عجين من أخلاط الطيب تمشي فيه زوجته تشبّهًا بالفلاّحات، أورد على لسان يوسف بن تاشفين في وصفه أنه «... مضيِّع لما في يده من الملك؛ لأن هذه الأموال الكثيرة التي تُصرف في مثل هذه الأحوال لا بد أن يكون لها أرباب؛ لا يمكن أخذ هذا القدر منهم على وجه العدل أبدًا . فأخْذه بالظلم، وإخراجُه في هذه الترّهات **من أفحش الاستهتار**»[٥٦].

* * *

وهكذا تتبعنا دلالة هاتين الكلمتين وصيغهما تتبعًا تاريخيًا، وحاولنا التعليل لهما. نرجو أن نكون قد وفِّقنا إلى ذلك .

(٥٥) بدر الدين الغزّي: المراح في المزاح، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية ١٩٨٦م، ص ٤٧.

(٥٦) أحمد بن محمد المقّري التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار صادر٦٨-١٩٧٢م، ج ٣٧٥/٤.

رأي في رسم تنوين النصب

أ. مروان البواب(*)

خلاصة الرأي:

يرسم تنوين النصب فوق الحرف المنون به، لا فوق الألف التي تلي هذا الحرف.

المؤيدات:

١ – تنوين النصب شأنه شأن تنوين الرفع والجر، وشأن الحركات الأخرى (الفتحة والضمة والكسرة)، جميع ذلك يرسم فوق الحرف، وذلك لأن الحرف هو المعنِيُّ بالتنوين أو الحركة؛ نحو: (بدرٌ، بدرًا، بدرٍ، بدرُ، بدرَ، بدرِ، سدٌّ، سدًّا، سدٍّ).

٢ – الألفُ التي تلي الحرفَ المنون بتنوين النصب، إنما جُعلتْ ليُنطق بهذا الحرف المنون مفتوحًا عند الوقف، لا ليُرسم فوقها تنوين النصب. مثال ذلك أننا نلفظ كلمة (قَمَرًا) عند الوقف هكذا: (قَمَرًا = ق ـَ م ـَ ر ـَ ا)

والدليل على هذا الذي قلناه:

أ– أنه إذا كان الحرف المنون بتنوين النصب **يوقَف عليه بالسكون** (حالة التاء المربوطة)، فإن الألف لا تليه، لانتفاء الحاجة إلى إثباتها، وأما تنوين النصب فيُرسم فوق الحرف المنون، كتنوين الرفع والجر؛ فمثلاً نلفظ التاء المربوطة في كلمة (جُمْلَة) هاءً ساكنة عند الوقف عليها، سواء أكانت منونة بتنوين الرفع أم النصب أم الجر، هكذا:

(جُمْلَةٌ = ج ـُ م ـْ ل ـَ ه ـْ)

(*) عضو مراسل في مجمع اللغة العربية بدمشق.

(جُمْلَةً = ج –ُ م –ْ ل –َ ه –ْ)

(جُمْلَةٍ = ج –ُ م –ْ ل –َ ه –ْ)

ب- أنه لما كان الحرف المنون بتنوين الرفع أو الجر يُسكَّن **عند الوقف**؛ [نحو: (قَمَرٌ = ق –َ م –َ ر –ْ)، و(قَمَرٍ = ق –َ م –َ ر –ْ)] **لم يَحتاجا إلى أن يليهما حرف مد** (الواو في حالة تنوين الرفع، والياء في تنوين الجر).

٣- إذا كان الحرف المنون بتنوين النصب يوقف عليه مفتوحًا، ويمتنع أن تَلِيَه الألف خطًّا، فإن تنوين النصب يرسم فوق هذا الحرف المنون، تمامًا كتنوين الرفع والجر؛ نحو:

(سَمَاءً = س –َ م –َ ا ء –ْ)، (سَمَاءً = س –َ م –َ ا ء –َ ا)، (سَمَاءٍ = س –َ م –َ ا ء –ْ)

ونحو:

(مَلْجَأً = م –َ ل –ْ ج –َ أ –ْ)، (مَلْجَأً = م –َ ل –ْ ج –َ أ –َ ا)، (مَلْجَإٍ = م –َ ل –ْ ج –َ أ –ْ)

ونحو:

(هذا هُدًى = ه –ُ د –َ ا)، (وجعلناه هُدًى = ه –ُ د –َ ا)، (على هُدًى = ه –ُ د –َ ا)

ونحو:

(هذه عَصًا = ع –َ ص –َ ا)، (رأيتُ عَصًا = ع –َ ص –َ ا)، (على عَصًا = ع –َ ص –َ ا)

ونحو:

(هذه دُرًا = ذ —ُ ر —َ ا)، (رأيتُ دُرًا = ذ —ُ ر —َ ا)، (على دُرًا = ذ —ُ ر —َ ا)

وهذا يدل على أن الأصل في رسم التنوين هو أن يكون فوق الحرف المنون.

٤- أن الألف التي تلي الحرف المنون بتنوين النصب هي من الصوائت (أي الحركات)، لا من الصوامت - لأنها هنا حرف مدّ - ومن ثم فهي لا تحتمل الحركات. ولما كان تنوين النصب في حقيقته فتحةً ونونًا ساكنة؛ نحو: (خُبْزًا = خ —ُ ب —ْ ز —َ ن —ْ وصلاً لا وقفًا)، لَمْ يصِحَّ رسم تنوين النصب فوق الألف.

ومما يؤيد كون تنوين النصب فتحةً ونونًا ساكنة، كون تنوين الرفع ضمةً ونونًا ساكنة؛ نحو:

(خُبْزٌ = خ —ُ ب —ْ ز —ُ ن —ْْ وصلاً لا وقفًا)

وأن تنوين الجر هو كسرة ونون ساكنة؛ نحو:

(خُبْزٍ = خ —ُ ب —ْ ز —ِ ن —ْ وصلاً لا وقفًا)

فكيف نضع حركةً على الألف التي هي حرف مد؟!

٥- لو سَلَّمنا برسم تنوين النصب فوق الألف التي تلي الحرف المنون بتنوين النصب، (نحو: شجراً)، فَبِمَ نَشْكُل هذا الحرف (أي حرف الراء في هذا المثال)؟

فإن قيل: بالفتحة (أي هكذا: شَجَرَاً)، قلنا: إن تنوين النصب هو فتحة ونون ساكنة، كما ذكرنا آنفًا، وهذا يعني أن فتحة الحرف المنون (الراء هنا) تكررت مرتين؛ الأولى فوق الراء، والثانية في تنوين النصب. وهذا لا يصح.

وإن قيل: لا نَشْكله، بل نتركه غُفْلاً من الحركة (أي هكذا: شَجَراً)، قلنا: هذا لا يستقيم؛ إذ كيف ننطق بهذا الحرف وهو غير مشكول، والشكل إنما جُعِلَ

ليبيِّن كيفية النطق بالحرف (مفتوحًا أو مضمومًا أو مكسورًا أو ساكنًا)؟! فإن قيل: لا نَشكله لأن الألف التي بعده هي حركة هذا الحرف. قلنا: وهذا لا يستقيم أيضًا، لأن الألف التي تكون بعد الحرف المحرَّك بالفتحة لا تمنع إثباتَ الفتحة على الحرف؛ (نحو: مُقَام)، فالألف بعد القاف المحركة بالفتحة هي للنطق بهذا الحرف بفتحة طويلة، ومع ذلك فإن هذه الألف لم تمنع إثباتَ الفتحة على القاف. ومثل ذلك الضمة قبل الواو المدية؛ (نحو: غَفُور)، والكسرة قبل الياء المدية؛ (نحو: رَحِيم)، فلا الواو في (غفُور) مَنعتْ إثباتَ ضمة الفاء، ولا الياء في (رحِيم) مَنعت إثبات كسرة الحاء.

٦- لو سلَّمنا ثانيةً برسم تنوين النصب فوق الألف التي تلي الحرف المنون بتنوين النصب، وكان هذا الحرف مشددًا (نحو: عِزّاً)، فَبِمَ نَشْكل هذا الحرف (أي الزاي هنا)؟

فإن قيل: بالشدة المفتوحة (أي هكذا: عِزَّاً)، قلنا: هاهنا مسألتان: الأولى أن الفتحة تكررت مرتين، كما ذكرنا قبل قليل، وهذا لا يصح. والثانية أن إثبات الشدة المفتوحة فوق الحرف المنون يعني **إسقاط الشدة المنونة بتنوين النصب** (ـًّ) من جملة الحركات. وهذا لا يكون، لأن الشدة المنونة بتنوين النصب شأنها في الاستعمال والوجود شأن الشدة المنونة بتنوين الرفع (ـٌّ) والشدة المنونة بتنوين الجر (ـٍّ)؛ نحو: (حُبٌّ، حُبًّا، حُبٍّ)، و(عَرَبِيٌّ، عَرَبِيًّا، عَرَبِيٍّ)...

وإن قيل: بالشدة دون فتحة (أي هكذا: عِزّاً)، قلنا: لا يستقيم النطق

بهذا الحرف، لأن الشدة وحدها تعني النطق بالحرف المشدد مرتين: الأولى ساكنًا، وأما الثانية فلا يُعْلَم كيف يُنطَق به (بالفتح أم بالضم أم بالكسر)، وذلك لعدم وجود حركة فوق الشدة، خلافًا للشدة المفتوحة التي تعني النطق بالحرف المشدد مرتين: مرة ساكنًا ومرة محركًا بالفتحة، والشدة المضمومة التي تعني النطق بالحرف المشدد مرتين: مرة ساكنًا ومرة محركًا بالضمة، والشدة المكسورة التي تعني النطق بالحرف المشدد مرتين: مرة ساكنًا ومرة محركًا بالكسرة.

٧- يرسم تنوين النصب في المصاحف فوق الحرف المنون لا فوق الألف التي تليه. (وقد ذكرنا هذا لأنه موافق لما أوردنا من المؤيدات، لا لأن هذا الرسم هو أحد هذه المؤيدات).

تنبيه:

هناك من دعا إلى إسقاط تنوين النصب في **النصوص غير المشكولة** اكتفاء بالألف المبدلة منه، وحجته في ذلك:

- أن هذا التنوين لا يُثْبَت في سائر الكلمات؛ ففي مثل: (رأيت سيارة مسرعة نهارًا)، أثبتنا تنوين النصب في كلمة (نهارًا)، وأغفلناها من كلمتي (سيارة) و(مسرعة).
- وأن السياق يدل على هذا التنوين، فوجوده وعدمه سواء.
- وأن عدم إثباته يخفف من عبء تنضيد النصوص؛ إذ ليس في لوحة ملامس الحاسوب مفتاح للألف وفوقها تنوين النصب، بل للألف

مفتاح ولتنوين النصب مفتاحان. وهذا يعني أنه يلزم الضغط على ثلاثة مفاتيح في لوحة الملامس لتنضيد الألف وفوقها تنوين النصب.

وفي الجواب أقول: إن هذه الدعوى لا تَثْبت على نظر. وقبل عرض البيان، يحسن أن نمثِّل للحالات التي تلتبس فيها ألف تنوين النصب بغيرها من الألفات:

١- تلتبس ألف تنوين النصب بألف التثنية؛

مثال ذلك: (فقد فعلا ما هو أعظم من ذلك). هذه الجملة تقرأ بوجهين؛ الأول: (فقد فَعَلا ما هو أعظم من ذلك)، والآخر: (فُقِد فعلاً ما هو أعظم من ذلك).

مثال ثانٍ: (عملا بما ورد في الدليل). وهذه الجملة تقرأ بوجهين؛ الأول: (عَمِلا بما ورد في الدليل)، والآخر: (عملاً بما ورد في الدليل).

مثال ثالث: (فقلت لهما قولا حقا وانصرفا). وهذه الجملة تقرأ بوجهين؛ الأول: (فقلت لهما قُولا حقًّا وانصرِفا)، والآخر: (فقلت لهما قَوْلاً حقًّا وانصرَفا).

ومثل ذلك: (كتبا: كَتَبَا وكُتُبًا)، (جزعا: جَزِعَا وجَزَعًا)، (كذبا: كَذَّبا وكَذِبًا)، (حسنا: حَسَّنَا وحَسَنًا)، (حملا: حَمَلا وحَمْلاً)، (بالغا: بَالَغَا وبَالِغًا)، (عينا: عَيَّنَا وعَيْنًا)...

٢- تلتبس ألف تنوين النصب بألف (نا) الفاعلين؛

مثال ذلك: (وهذا يقينا من أعظم الآفات). هذه الجملة تقرأ بوجهين؛ الأول: (وهذا يَقِينَا من أعظم الآفات)، والآخر: (وهذا يقينًا من أعظم الآفات).

مثال ثانٍ: (وبعضهم يسكن حينا ولا يطيل الإقامة). وهذه الجملة تقرأ بوجهين؛ الأول: (وبعضهم يسكن حيَّنا ولا يطيل الإقامة)، والآخر: (وبعضهم يسكن حِينًا ولا يطيل الإقامة).

مثال ثالث: (فمن منا لا يقام له وزن). وهذه الجملة تقرأ بوجهين؛ الأول: (فمَنْ مِنَّا لا يقام له وزن؟)، والآخر: (فمَنَّ منَّا لا يقام له وزن).

ومثل ذلك: (حسبانا: حَسِبَانَا وحُسْبَانًا)، (آمنا: آمَنَّا وآمِنًا)، (أشجانا: أَشْجَانَا وأَشْجانًا)، (لونا: لَوَّنَّا ولَوْنًا)...

٣- تلتبس ألف تنوين النصب بالألف الفارقة؛

مثال ذلك: (فالتفت إلينا وقال: عفوا، وتابع كلامه). هذه الجملة تقرأ بوجهين؛ الأول: (فالتفت إلينا وقال: عفوًا، وتابع كلامه)، والثاني: (فالتفت إلينا وقال: عفُّوا، وتابع كلامه).

ومثل ذلك: (عدوا: عَدُّوا وعَدْوًا)، (سهوا: سَهَوْا وسَهْوًا)، (عضوا: عَضُّوا وعُضْوًا)، (حلوا: حَلُّوا حُلْوًا)، (كفوا: كَفُّوا وكُفْوًا)...

٤) تلتبس ألف تنوين النصب بألف الأفعال الناقصة في صيغة الماضي؛

مثل: (غدا: غَدَا وغَدًا)، (بدا: بَدَا وبُدًّا)، (خطا: خَطَا وخُطًا)، (صبا: صَبَا وصِبًا)، (عزا: عَزَا وعِزًّا)، (أسا: أَسَا وأَسًا)...

وأمثلة غيرها كثيرة، لا مجال لاستقصائها هنا.

رَجَعَ الحديثُ إلى دعوى إسقاط تنوين النصب. أقول:

أولاً: إن هذا التنوين هو مما تضمنه نظام الكتابة في اللغة العربية، وقد

حافظنا على هذا النظام قرونًا عديدة. ألا ترى أننا حافظنا على رسم كلمات حُذف منها حرف الألف نحو: لكن، وهذا، وذلك... والأصل إثباتها (لاكن، وهاذا، وذالك...)! أو حُذف منها حرف اللام نحو: الذي، التي... والأصل إثباتها (اللذي، اللتي...)! وكذلك حافظنا على رسم كلمات زيد فيها حرف نحو: أولئك، أولو... والأصل حذفها (أُلائك، أُلو...)! فما بالنا لا نحافظ على هذا التنوين الذي سنرى أن **إثباته ينفع ولا يضر**، على عكس حذفه الذي يضر ولا ينفع.

ثانيًا: إن السياق وإن كان يزيل في نهاية المطاف اللَّبْس الذي يقع في بعض الكلمات، فإن القارئ يجد نفسه مضطرًّا أحيانًا كثيرة إلى إعادة قراءة الجملة مرتين (أو أكثر) ليهتديَ إلى الوجه الصحيح لشكل كلماتها، ومن ثَم قراءتها. والحكمة تقتضي ألا نُعْنِتَ القارئَ في التفكير في الوجوه المختلفة للكلمات الملْبِسة (غير المضبوطة بالشكل) للوصول إلى مراد الكاتب ومقصوده. ولذلك نجد أن الكتّاب يلجؤون غالبًا إلى إثبات بعض الحركات التي تزيل اللبس – وإن كان السياق يدل على مرادهم – ذلك أن إثبات هذه الحركات في المواضع الملبسة يسهل على القارئ قراءة النص، ويساعده على الوصول إلى المقصود من أقرب سبيل.

خذ مثالاً على ذلك الجملةَ الآتية من كتاب صيد الخاطر (الصفحة ١٣٥): «فإن عمت نعمة علم من أهداها، وإن مر مر حلا مذاقه في فيه لمعرفته بالمبتلي»، تَرَ أن القارئ يتوقف قليلاً (أو طويلاً)، تبعًا لسرعته في المحاكمة، حتى يتبين له

وجه قراءتها. على حين أننا لو شكّلنا بعض حروف هذه الجملة هكذا: «فإن عمَّتْ نعمةٌ علِم مَن أهداها، وإنْ مَرَّ مُرٌّ حلا مذاقُه في فيه لمعرفته بالمبتلي»، لاستطاع القارئ أن يفهم معناها من غير أن يحتاج إلى طويل تفكير.

ومن هذا الباب تراهم يضعون فتحةً فوق الميم للتمييز بين (مِن) و(مَن)، وفوق الثاء للتمييز بين (ثُم) و(ثَم)، وفوق الخاء للتمييز بين (خَلقية) و(خُلقية)، وفوق الراء للتمييز بين (رَجل) و(رِجل)... وشدةً فوق التاء للتمييز بين (كتاب) و(كتّاب)، وفوق الياء للتمييز بين (والدِي) و(والدَيّ)... وضمةً فوق التاء المربوطة في (هذه فلانةُ) للدلالة على أنها ممنوعة من الصرف... وغيرها وغيرها مما يصعب حصره في هذه العجالة.

ثم إن السياق لا يزيل اللبس الحاصل في تنوين النصب فحسب، بل يزيله من مواضع أخرى كهمزة الوصل والقطع، فهل يجيز لنا الأخذُ بهذه الحجة التخليَ عن رسم همزة القطع فوق الألف نحو: (أن)، أو تحتها نحو: (إن)، وأن نرسمهما في الحالتين هكذا: (ان)؟ وهل يجيز لنا أيضًا أن نعامل الألف الممدودة نحو: (مآل)، معاملة الألف اللينة نحو: (مال)، وأن نرسمهما في الحالتين هكذا: (مال)، وأن ندع للسياق تحديد المعنى واللفظ؟

ثالثًا: لقد تلقت الأمة هذا التنوين بقبول حسن، ولا تجد كتابًا مطبوعًا – فيما أعلم – إلا وقد أثبت فيه تنوين النصب، وصار من المألوف لدى القارئ أن تقع عينه على هذا التنوين، فإذا لم يجده افتقده، وتساءل عن سبب

إسقاطه!!

رابعًا: إن حجة تخفيف عبء تنضيد النصوص تُوهِيها الإحصائية الآتية:

اسم الكتاب	عدد حروفه	عدد مرات ورود تنوين النصب	النسبة المئوية لورود تنوين النصب
القرآن الكريم	٧٠٨,٠٥٣	٣,٠٤٦	% ٠.٤٣
لسان العرب	٢٠,٢١٣,٦٧٨	٧٩,٠٠٤	% ٠.٣٩
الكفاف	١,٣٦٣,٥٦٣	٧,٦٤٨	% ٠.٦١
معجم أخطاء الكتاب	١,٥٣٥,٧٨٢	٧,٣٥٦	% ٠.٤٨
المجموع	٢٣,٧٢١,٠٧٦	٩٧,٠٥٤	% ٠.٤١

تبين هذه الإحصائية أن النسبة المئوية لدوران تنوين النصب في النصوص لا تتجاوز ٠.٤١ %. أي إنه يرد أربع مرات تقريبًا في كل ألف حرف، فما هو هذا العبء الذي نخففه بحذف التنوين؟!.

(مجموع الأثبات الحديثية لآل الكزبري الدمشقيين وسيرهم وإجازاتهم) تحقيق: عمر بن موفق النشوقاتي

عرض: خير الله الشريف(*)

ورد إلى مكتبة مجمع اللغة العربية بأَخَرَة[1] كتاب (مجموع الأثبات الحديثية لآل الكزبري الدمشقيين وسيرهم وإجازاتهم) بتحقيق الأستاذ عمر بن موفق النشوقاتي أمين مكتبة الفتح الإسلامي بدمشق، والكتاب هو السابع في سلسلة (الأثبات والمشيخات والإجازات والمسلسلات) التي تنشرها مكتبة الشيخ نظام يعقوبي الخاصة في البحرين، بالتعاون مع دار البشائر الإسلامية في بيروت، وقد جاء هذا الكتاب بإسهام من دار النوادر بدمشق أيضًا؛ فصدرت طبعته الأولى سنة ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م عن ثلاثة ناشرين. والسلسلة المذكورة إحدى سلاسل خمس في إصدارات يعقوبي، فهو يصدر معها: (سلسلة دفائن الخزائن)، و(سلسلة دراسات وبحوث)، و(سلسلة أعلام وأقلام)، و(سلسلة لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام)، والأخيرة تقترب عدتها من مئة كتاب.

(*) مدير المخطوطات في مكتبة الأسد بدمشق.

(١) كان ذلك في أثناء عملي أمينًا لمكتبة المجمع.

أما الثَّبَت فَسُنَّة درج على وضعها علماء الحديث، يحافظون فيها على بقاء سلسلة الإسناد – وهم حلقة فيها – متصلة بنبعها الأول رسول الله ﷺ، فيذكرون مروياتهم من دواوين الحديث الكبرى وغيرها، كالكتب الستة، وكتب السنن، والجوامع، والزوائد، والمستخرجات، والمستدركات، ويذكرون أسانيدهم ابتداء بشيوخهم، ثم الطبقة السابقة لهم، وهكذا إلى نهاية السند. ولا تقتصر المرويات على كتب الحديث، بل تتعداها إلى سائر العلوم كالفقه والتراجم والتفسير والقراءات والسيرة والعقيدة واللغة والأدب وغيرها. وقد تتناول الأسانيد كتب عَلَم واحد مشهور كالسيوطي وابن حجر وغيرهما، وقد يرد في الثبت ذكر تراجم الشيوخ الذين أخذ عنهم صاحب الثبت، ويعتني المثْبِت بذكر سلسلة سنده لأحاديث مشهورة بأعيانها؛ كالحديث المسلسل بالأولية، وهو حديث الرحمة المشهور: (الراحمون يرحمهم الرحمن...)، أو الحديث المسلسل بالدمشقيين، أو المسلسل بالأذان، أو غير ذلك. وفي الثبت فوائد لغوية وأدبية وبلدانية وفقهية كثيرة أخرى.

يشتمل (مجموع الأثبات الحديثية لآل الكزبري..) المتناول بالعرض أثبات نفر من أسرة دمشقية عريقة تولَّت التدريس تحت قبة النسر في جامع بني أمية بدمشق (١٣٧) مئة وسبعة وثلاثين عامًا من سنة ١١٩٦هـ إلى سنة ١٣٣٣هـ، قدَّم الأستاذ النشوقاتي للمجموع بإيجاز، ثم عرَّف بآل الكزبري، وذكر أقوال المؤرِّخين فيهم، ثم أورد تراجم علمائهم مرتبة حسب وفياتهم، فبلغ بهم ستة عشر عالما، ثم ساق أسانيده – أي أسانيد الشيخ النشوقاتي نفسه –

المتصلة بأصحاب هذه الأثبات، هذا وقد احتوى المجموع المحقق على الكتب الآتية:

١- ثبت العلامة علي بن أحمد كزبر خال الأسرة الكزبرية (١١٠٠- ١١٦٥هـ).

٢- ثبت العلامة عبد الرحمن بن محمد الكزبري الكبير (١١٠٠- ١١٨٥هـ).

٣- ثبت العلامة محمد بن عبد الرحمن الكزبري الأوسط (١١٤٠- ١٢٢١هـ).

٤- ثبت العلامة عبد الرحمن بن محمد الكزبري الصغير (١١٨٤- ١٢٦٢هـ).

٥- مجموع إجازات بني الكزبري.

وكان آخر كتب المجموع صور لمخطوطات إجازات بني الكزبري للعلماء الآخرين، وفيها بعض الإجازات التي كتبها الآخرون لهم، جمعها المحقِّق وأعدَّها للنشر بخطوط العلماء أنفسهم، ثم ذيل عمله باستدراكات، ثم بفهارس شاملة أعدَّها الدكتور رياض عبد الحميد مراد، تضمَّنت تسعة أنواع هي: (الآيات، والأحاديث، والأشعار، والأعلام، والأماكن، والكتب، والمرويات، والمصادر والمراجع، والفوائد، والموضوعات).

ولعل مما يفيد الباحث والمحقِّق أن يعلم بالإضافات، التي تمخض عنها

التنقير في مخطوطات مكتبة الأسد الوطنية بدمشق، إلى تآليف آل الكزبري، وهي زيادات لم ترد في تحقيق الأستاذ النشوقاتي، وسأذكرها تباعًا:

١- وجدت في مؤلفات علي كزبر الخال رسالة في سبع ورقات بعنوان: (فتوى في مسألة المسح على الخفين)، وهي في الظاهرية برقم (١١٣٣٧ت)، لم ترد في مقدمة تحقيق ثبت المذكور.

٢- وجدت خمس نسخ أخرى من ثبت الكزبري الأوسط المسمَّى بـ: (القول السديد الحري بأسانيد الكزبري) غير النسخ المذكورة في مقدمة تحقيق ثبت المذكور، وهي:

أ- مخطوط الظاهرية ذو الرقم (٣٨٧٠ ت٢)، ويقع في (٢٤ ورقة): [٢١- ٤٤]، نُصَّ فيه على تسمية: (القول السديد..).

ب – مخطوط الظاهرية ذو الرقم (٥١٠٠)، ويقع في (١٢ ورقة).

ج – مخطوط الظاهرية ذو الرقم (٣٨٧٠ ت٣)، ويقع في (١١ ورقة): [٤٥- ٥٥].

د- مخطوط الظاهرية ذو الرقم (١٠٦٧٣ت)، ويقع في ورقتين: [١- ٢].

هـ- مخطوط مصوَّر من مكتبة الأستاذ محمد نور الدين الخطيب برقم (م ف/ م/ ٢٧٨٤ ت١)، ويقع في (١١ لقطة): [٢٥- ٣٥].

٣- وجدت ثلاث نسخ أخرى من رسالة الكزبري الصغير: تحرير المقال فيما ورد على التعارض في حق الآل) غير النسخ المذكورة في مقدمة تحقيق ثبت المذكور، وهي:

أ – مخطوط الظاهرية ذو الرقم (٢٤٠ ت٢)، ويقع في (٤ ورقات): [٢٣- ٢٦].

ب – مخطوط الظاهرية ذو الرقم (٨١٠٤ ت١٠)، ويقع في (٣ ورقات): [١٢٧- ١٢٩].

ج- مخطوط مصوَّر من مكتبة مجمع اللغة العربية برقم (م ف /م/ ٥٣١٤ت٢)، ويقع في (٣ لقطات): [٢٥- ٢٧].

٤- وجدت في مؤلَّفات الكزبري الصغير كتابًا في خمس وعشرين لقطة: [١- ٢٥] بعنوان: (الإيجاز في أسانيد وأثبات محدِّثي الشام والحجاز)، مصوَّر من مكتبة الأستاذ محمد نور الدين الخطيب، وهو برقم (م ف /م/ ٢٧٨٤)، لم يرد في مقدمة تحقيق ثبت المذكور.

٥- وجدت ثماني نسخ أخرى من ثبت الكزبري الصغير غير النسخ المذكورة في مقدمة تحقيق ثبتة، هي:

أ- مخطوط الظاهرية ذو الرقم (٣٨٧٧ ت٩)، ويقع في (١٠ ورقات): [١١٠- ١١٩].

ب- مخطوط الظاهرية ذو الرقم (٩٣٩٤)، ويقع في (١٥ ورقة).

ج- مخطوط الظاهرية ذو الرقم (٨٢٢١)، ويقع في (٩ ورقات).

د – مخطوط الظاهرية ذو الرقم (٩٣٧٥)، ويقع في (١٩ ورقة).

هـ- مخطوط الظاهرية ذو الرقم (١١٢٤٠ ت١)، ويقع في (١٣ ورقة): [١٨- ٣٠].

و - مخطوط الظاهرية ذو الرقم (١١٢١٧ ت٦)، ويقع في (١١ ورقة): [٧٧- ٨٨].

ز- مخطوط الظاهرية ذو الرقم (٣٧٢٢ت)، ويقع في (١٢ ورقة): [١- ١٢].

ح- مخطوط مصوَّر من مكتبة الأستاذ محمد نور الدين الخطيب برقم (م ف /م/ ٢٧٨٤ ت٢)، ويقع في (٣٠- لقطة): [٣٦- ٦٥].

٦- وجدت لأحمد بن علي بن عبد القادر الكزبري كتابًا في (٧٨ ورقة) بعنوان: (أخبار بناء الكعبة)، وهو في الظاهرية برقم (٤٨٠٥)، مخروم الآخر، لم يرد ذكر مؤلفه في الحديث عن علماء الأسرة الكزبرية.

وبعد فالكتاب المعروض من الأسفار النافعة، وجهد محققه واضح للعيان، والله ولي التوفيق.

(أنباء مجمعية وثقافية)

الكتب والمجلات المهداة

إلى مكتبة مجمع اللغة العربية

في الربع الأول من عام ٢٠٠٨م

أ – الكتب العربية

أ. سعد الدين المصطفى(*)

- **آغازنامه فهرست آغاز نسخة**/ محمد حسين أمين، قم: مكتبة آية الله العظمى، ٢٠٠٦م.
- **آفاق النثر العربي واتجاهاته الخاصة في القرن الخامس عشر**/ د. قدور إبراهيم المهاجي، الجزائر: ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.
- **أبحاث لسانية**/ مجموعة باحثين، الرباط: منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، ٢٠٠٦م.
- **أبحاث لسانية**/ مجموعة باحثين، الرباط: جامعة محمد الخامس، السويسي، ٢٠٠٥م.
- **أبنية المصدر في القرآن الكريم (الربع الأول) دراسة لغة**/ عزيزة سلولة، الجزائر: جامعة الأمير عبد القادر، ١٩٩٨م.
- **أبيات سلطان باهو**/ أ. د. ظهور أحمد أظهر، لاهور: مكتب الرابطة الباكستاني، د.ت.

(*) عضو الهيئة الفنية في مجمع اللغة العربية.

- **أساليب المعاني في القرآن**/ جعفر السيد باقر الحسيني، قم: مؤسسة بوستان كتاب، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
- **أسلوب التمييز في العربية دراسة تحليلية إحصائية**/ د. حليمة أحمد عمايرة، جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي، الرسالة: ٢٦٦، الحولية: ٢٨، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
- **أسلوب الشرط في سورة البقرة (دراسة بلاغية نحوية)**/ عبد الناصر طنّاش، الجزائر: جامعة الأمير عبد القادر، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
- **إسرائيليات: المجلد (٨) الأجزاء (٢٦ + ٢٧ + ٢٨)**/ اللجنة الشعبية لدعم الانتفاضة، ومقاومة المشروع الصهيوني، مجموعة باحثين، دمشق: ٢٠٠٧م.
- **الأصفهاني المؤرخ الأدبي**/ د. حازم سليمان الحليّ، هولندا: روتردام، ٢٠٠٤م.
- **أصول التلاوة**/ د. حازم سليمان الحليّ، العراق: بغداد، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.
- **أصول النحو عند البغدادي**/ د. فاطمة راشد الراجحي، جامعة الكويت: مجلس النشر العلمي، الرسالة: ٢٢٥، الحولية: ٢٥، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
- **الاغتراب الأسري وأثره في تنمية أفراد الأسرة الكويتية**/ د. خالد أحمد الشلال، جامعة الكويت: مجلس النشر العلمي، الرسالة: ٢٦٤، الحولية: ٢٨، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
- **أطوار المعجم العربي**/ د. حازم سليمان الحليّ، بيروت: ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

- **أمثال القرآن**/ أبو القاسم محمد بن حبيب النيسابوري، قرأه وحققه: د. زكريا سعيد علي، القاهرة: كلية دار العلوم، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
- **الأمم المتحدة، لماذا؟**/ د. محمد عزيز شكري وإبراهيم درّاجي، دمشق: هيئة الموسوعة العربية، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
- **أوان الرحيل**/ د. علي القاسمي، القاهرة: دار ميريت، ٢٠٠٧م.
- **بحوث ودراسات في اللسانيات**/ د. عبد الرحمن الحاج صالح، الجزائر: مجمع الجزائر، ٢٠٠٧م.
- **بحوث ودراسات في عِلم اللسان**/ د. عبد الرحمن الحاج صالح، الجزائر: مجمع الجزائر، ٢٠٠٧م.
- **بحوث ندوة أسماء الأماكن الجغرافية في المملكة العربية السعودية**/ مجموعة باحثين، الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ٢٠٠٧م - ١٤٢٨هـ.
- **البرق المتألق في محاسن جِلّق**/ محمد بن مصطفى الراعي، تحقيق: محمد أديب الجادر، دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٧م.
- **بوح الذكريات**/ عيسى فتوح، دمشق دار كيوان، ط١، ٢٠٠٧م.
- **تاريخ إمهاجة بين المدلول اللغوي والرسوخ الجغرافي**/ د. قدور إبراهيم المهاجي، الجزائر: ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.
- **تاريخ الدولة السعودية الأولى وحملات محمد علي على الجزيرة**/ فيلكس مانجان، ترجمة: د. محمد خير البقاعي، الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٤هـ.
- **التواصل التاريخي والعلمي بين دول الخليج ودول المغرب العربي**/ مجموعة باحثين، الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ٢٠٠٦م.

- **التنوين والدلالة ودراسة في ضوء اللسانيات العربية المعاصرة**/ د. خالد إسماعيل حسّان، جامعة الكويت: مجلس النشر العلمي، الرسالة: ٢٦٥، الحولية: ٢٨، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
- **جامع بيان العلم**/ يوسف بن عبد البر النمري، تقديم: محمد حسين الجلالي، شيكاغو: الجامعة المفتوحة، ١٤٢٣هـ.
- **جمر تحت الرماد (فاتح المدرّس رحلة الحياة والفن)**/ محمد جمعة حمّادة، دمشق: دار بعل للطباعة، ٢٠٠٨م.
- **الحبُّ والإبداع والجنون**/ د. علي القاسمي، الرباط، دار الثقافة، د. ت.
- **الحنيفية في الشعر الجاهلي**/ د. فضل بن عمّار العمّاري، جامعة الكويت: مجلس النشر العلمي، الرسالة: ٢٧٠ الحولية: ٢٨، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
- **دُر تاريخ واندیشه إسلامي**/ د. فتحيّة فتاحي زاده، قم: مؤسسة بوستان كتاب، ٢٠٠٦م.
- **دراسات في الأدب العربي قبل الإسلام**/ د. قدور إبراهيم المهاجي، الجزائر: المطبعة الجهوية، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
- **دوائر الأحزان**/ د. علي القاسمي، بيروت: دار ميريت، ط١، ٢٠٠٥م.
- **الدليل المصوّر الثاني للكتب المترجمة الصادرة عن مركز الترجمة**/ جامعة الملك سعود، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
- **رابعة الشامية**/ أحمد الفضل إبراهيم عيد، دمشق: حي القابون:

١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

- **الرحلة إلى حرف الألف الهجائي**/ أحمد الفضل عيد، دمشق: مطبعة الزرعي، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
- **رسالة إلى حبيبتي**/ د. علي القاسمي، الدار البيضاء: دار الثقافة، ٢٠٠٣م.
- **الرصيد اللغوي العربي لتلاميذ الصفوف الأخيرة**/ المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون، تونس، ١٩٩٠.
- **رصد لأزمنة فصول السنة**/ د. زيد عبد الله الزيد، جامعة الكويت: مجلس النشر العلمي، الرسالة: ٢٦٨، الحولية: ٢٨، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
- **رؤية الهلال**/ رضا مختار ومحسن نوروزي، إيران: مؤسسة بوستان كتاب، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
- **سفر السعادة** / محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تقديم: محمد حسين الجلالي، شيكاغو: الجامعة المفتوحة، ١٤٢٤هـ.
- **السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة**/ د. عبد الرحمن الحاج صالح، الجزائر: منشورات المجمع الجزائري، ٢٠٠٧م.
- **السنة الشمسية والقمرية**/ أحمد الفضل عيد، دمشق: مطبعة عكرمة، ط١، ١٩٩٥م.
- **سورية سنوات التحدي (٢٠٠٠- ٢٠٠٧م)**/ مجموعة باحثين، دمشق: العربي للنشر والطباعة، ٢٠٠٧م.
- **السيد حيدر الحلي شاعر عصره**/ د. حازم سليمان الحليّ، العراق: ١٤١٠هـ- ١٩٩١م.
- **شعراء أمويون**/ د. نوري حمّودي القيسي، بيروت، عالم الكتب، ط٢،

١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

- **شعر الشيخ فريد الدين مسعود**/ د. ظهور أحمد أظهر، لاهور: مكتب الرابطة الباكستانية، ط١، د.ت.
- **الشيخ الطيب المهاجي، سيرة وجهاد**/ د. قدور إبراهيم المهاجي، الجزائر، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
- **صمت البحر**/ د. علي القاسمي، المغرب: دار الثقافة، ٢٠٠٣م.
- **ضيعة القابون**/ أحمد الفضل عيد، دمشق: حي القابون، ٢٠٠٥م.
- **الطريق الأوفى لتجهيز المتوفَّى**/ أحمد الفضل عيد، دمشق: دار عكرمة، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.
- **العبد العالم المنهج والحياة**/ عماد الهلالي، قم: مؤسسة بوستان كتاب، ١٣٨٦هـ.
- **العهد القديم بين القرآن والإنجيل**/ حسن حدّة، دمشق: العربي للنشر والطباعة، د.ت.
- **العقل**/ جون جوزيف، ترجمة: د. عبد النور الخرافي، الكويت، ٢٠٠٧م.
- **علوم القرآن عند المفسرين**/ مركز الثقافة والمعارف القرآنية، مؤسسة بوستان كتاب، قم: ١٤٢٨هـ.
- **الفتح العميم في كيفية قراءة فواتح أو أوائل سور القرآن الكريم**/ أحمد الفضل عيد، دمشق: دار المكتبي، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.
- **الفصول المئة في حياة أبي الأئمة علي بن أبي طالب**/ أصغر الناظم زاده القمّي، قم: مؤسسة بوستان كتاب، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

- **فلسفة الموت في قصيدة الرثاء عند شعراء هُذيل**/ د. عاطف محمد كنعان، جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي، الرسالة: ٢٧١، الحولية: ٢٨، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
- **في الهوية الوطنية**/ د. صالح بلعيد، الجزائر: دار الأمل، ط١، ٢٠٠٧م.
- **قائمة مكّة للمفردات الشائعة**/ جامعة أم القرى، معهد اللغة العربية: مطابع الصفا، د.ت.
- **كتاب الدارة (الترويح في المجتمع السعودي)**/ د. عبد الله بن ناصر السرحان، الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٨.
- **كتاب الدارة (النشاط العلمي في مكة المكرمة والمدينة المنورة)**/ د.إبراهيم بن عبد العزيز الجميح، الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٧هـ.
- **كتاب مصادر الأدب العربي**/ د. قدور إبراهيم المهاجي، ود. جاسم البيّاتي، الجزائر: ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.
- **كتاب الوافي بالوفيات**/ صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي، اعتناء: أحمد حطيط، بيروت: دار كلاس، ٢٠٠٦م.
- **اللغة والهوية (عالم المعرفة)**/ جون جوزيف، ت: د. عبد النور الخرافي، الكويت: ٢٠٠٧م.
- **مباهج الفيزياء الكونية**/ اختيار العماد أول مصطفى طلاس، دمشق: دار طلاس، ٢٠٠٥م.
- **محفوظات أحمد الفضل عيد الشعرية**/ أحمد الفضل عيد، دمشق:

حي القابون، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

- **مخمس الكواكب الدرية**/ شرف الدين محمد سعيد البوصيري، تقديم: محمد حسين الجلالي، ١٤٢٧هـ.
- **مختارات من الشعر العالمي**/ عيسى فتوح، دمشق: دار كيوان، ط١، ٢٠٠٧م.
- **المدخل إلى نظرية المصوغات والأثول**/ د. جورج بوهاس، ترجمة: عبد الرحيم الساكر، ط١، أغادير: ٢٠٠٧م.
- **معجم الكلمات المصطلحية في لسان العرب**/ د. ممدوح خسارة، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٨م.
- **معارف**/ ضياء الدين إصلاحي، باكستان، لاهور: بنجاب، ٢٠٠٤م- ١٤٢٤هـ.
- **المعالجة الآلية للغة العربية**/ مجموعة باحثين، المدرسة الوطنية للمعلوماتية، ٢٠٠٧م.
- **المقصور والممدود**/ ابن ولاّد، تحقيق: د. إبراهيم محمد عبد الله، دمشق: مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٧م.
- **المعالجة الآلية للغة العربية**/ إشراف: عبد الفتاح حمداني، خالد الأشهب، الرباط: ٢٠٠٦م.
- **من قضايا النظرة اللغوية العربية**/ د. عبد الرحمن بودرع، جامعة الكويت: مجلس النشر العلمي، الرسالة: ٢٦٧، الحولية: ٢٨، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
- **من مشاهير أعلام الحلة إلى القرن العاشر**/ د. ثامر كاظم الخفاجي،

قم: مكتبة المرعشي النجفي، ط١، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٨م.

- **المفردات الشائعة في اللغة العربية**/ داوود عطية عبده، جامعة الرياض: معهد اللغة العربية، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
- **ندوة اللغة العربية والتعليم**/ مجمع اللغة العربية بدمشق بالتعاون مع وزارتي التعليم العالي والتربية، دمشق: ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
- **ندوة التعليم العالي، أنماط التعليم غير التقليدية**/ مجموعة باحثين، وزارة التعليم العالي، ٢٠٠٣م.
- **ندوة التعليم العالي ودوره في الارتقاء بخطط التنمية**/ وزارة التعليم العالي، (١+٢)، ٢٠٠٣م.
- **ندوة التعريب في التعليم العالي**/ مجموعة باحثين، وزارة التعليم العالي، ٢٠٠٣م.
- **نظرة في قرينة الإعراب في الدراسات النحوية القديمة والحديثة**/ د. محمد صلاح الدين بكر، جامعة الكويت: مجلس النشر العلمي، الرسالة: ٢٦٤، الحولية: ٢٨، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
- **نهر يزيد، نهر القابون**/ أحمد الفضل عيد، دمشق: حي القابون، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

ب– المجلات العربية

أ.ماجد الفندي(*)

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
– الأسبوع الأدبي	١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠	٢٠٠٧م	سورية
– التراث العربي:	السنة (٢٦) العدد (١٠٤)	٢٠٠٧م	سورية
– صوت فلسطين	الأعداد٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦	٢٠٠٧م	سورية
– الحياة التشكيلية	(٧٥)	٢٠٠٦م	سورية
– الحياة المسرحية	٥٨، ٥٩، ٦٠	٢٠٠٦م	سورية
– الحياة الموسيقية	٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣،	٢٠٠٦، ٢٠٠٧م	سورية
– الضاد	السنة (٧٧) العددان (٥، ٦)	٢٠٠٧م	سورية
– مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية	العددان (٣، ٤) مج (٢٢)	٢٠٠٦م	سورية
– مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية	مج (٢٣) العدد (١)	٢٠٠٧م	سورية
– مجلة جامعة تشرين	مج ٢٩ العدد (١) علوم بيولوجية مج ٢٩ العدد (١) علوم هندسية مج ٢٩ العدد (١) علوم صحية مج ٢٩ العدد (١) علوم اقتصادية وقانونية مج ٢٩ العدد (١) علوم أساسية	٢٠٠٧م	سورية

(*) إجازة في المكتبات من جامعة دمشق.

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
– المجلة البطريركية	العددان (٢٥٩، ٢٦٠،)	٢٠٠٦م	سورية
–المجلة المعلوماتية	السنة (٢) العدد (١٦)	٢٠٠٧م	سورية
– إدارة الأعمال	العدد (٢) مج (٣)	٢٠٠٧م	الأردن
– دراسات: علوم إنسانية	العدد (١) مج (٣٤)	٢٠٠٧م	الأردن
علوم تربوية	العدد (١) مج (٣٤)	٢٠٠٧	الأردن
العربية	السنة (١+٢) الأعداد (١–٢٢)	٢٠٠٥، ٢٠٠٦، ٢٠٠٧	الإمارات
– أخبار الألكسو	العددان (٣١، ٣٢)	٢٠٠٧م	تونس
– مجلة المجمع الجزائري للغة العربية	السنة (٢) العدد (٥)	٢٠٠٧م	الجزائر
– الأمن والحياة	السنة (٢٦) الأعداد (٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١)	٢٠٠٧م	السعودية
– الحج والعمرة	السنة (٦٢) العدد (٦)	٢٠٠٧م	السعودية
– الفيصل	العددان ٣٧٣، ٣٧٤	٢٠٠٧م	السعودية
– المجلة العربية	السنة (٣٢) الأعداد (٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧)	٢٠٠٧م	السعودية
البيان	الأعداد ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥	٢٠٠٧م	الكويت
التقدم العلمي	من العدد (٢٢ حتى ٤٦)	١٩٩٩–٢٠٠٦م	الكويت
العلوم	الأعداد (٥، ٦) مج (٢٣)	٢٠٠٧م	الكويت
الدراسات الفلسطينية	العدد (٧٠)	٢٠٠٧م	لبنان
المستقبل العربي	السنة (٣٠) العدد (٣٣٩)	٢٠٠٧م	لبنان
مجلة كلية دار العلوم	العدد (٤٣)	٢٠٠٧م	مصر
صوت الأمة	العدد (٦، ٧) مج ٣٩	٢٠٠٧م	الهند

ج– الكتب والمجلات الأجنبية

أ. ربى معدني(*)

١- Books:

- Tout sur l'Afghanistan /Anne yelen.
- Expérience de l'amour moderne/ Oswalt kolle.
- Les principes de la philosophie/ V. Afanassiev.
- Bakchich/ Michel clerc.
- La revolution scientifique et technique.
- Maigret/ Simenon.
- How it works the motor car.
- Abridge to spoken English/ L. A. Almozova.
- L'Avare/ Molière.

٢ – Periodicals:

- Population and Development Review, vol. ٣٣, No. ٢ (٢٠٠٧).
- Le Muséon, Tome ١٢٠- fasc.١-٢ (٢٠٠٧).
- IBLA: Revue de l' institut des belles- lettres Arabes, N. ١٩٨ (٢٠٠٦).
- Korea Focus, Vol. ١٥, No. ٢ (٢٠٠٧).
- News letter from Islamic world academy of sciences, Vol. ٢٠, N. ٣٣- ٣٤ (٢٠٠٦)- vol. ٢١, No. ٣٥ (٢٠٠٧).

(*) إجازة في الأدب الفرنسي من جامعة دمشق.

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٣

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٤٣، تحقيق سكينة الشهابي
- حفل تأبين الأستاذ المهندس وجيه السمان ١٩١٣ ـ ١٩٩٢م

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٤

- محاضرات المجمع في الدورة المجمعية (١٩٩٢ ـ ١٩٩٣)

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٥

- كشف المشكلات وإيضاح المعضلات للباقولي، تحقيق د. محمد أحمد الدالي (أربعة أجزاء)
- النجوم الزواهر في معرفة الأواخر لابن اللبودي، تحقيق مأمون الصاغرجي ومحمد أديب الجادر
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر المجلد ٤٤ تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٦

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر المجلد ٤٥ تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٧

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٤٧، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي
- علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب ج٢، دراسة وتحقيق د. مراياتي، د.ميرعلم، د. الطيان
- محاضرات المجمع في الدورة المجمعية ١٩٩٤ ـ ١٩٩٥م
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٣٥ ـ ٣٦، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٨

- محاضرات المجمع في الدورة المجمعية ١٩٩٥ – ١٩٩٦
- كتاب بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين السيوطي، تأليف عبد القادر الشاذلي، تحقيق الدكتور عبد الإله نبهان

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٩

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر المجلد (٤٨)، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي.
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر المجلد (٤٩)، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي.

مطبوعات المجمع في عام ٢٠٠٠

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر المجلد (٥١)، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي.
- رسائل الأستاذ الرئيس محمد كرد علي إلى الأب أنستاس ماري الكرملي، تحقيق حسين محمد عجيل.

مطبوعات المجمع في عام ٢٠٠١

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر المجلد (٥٢)، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي.
- كتاب «كتب الأنساب العربية» تأليف الدكتور إحسان النص.

مطبوعات المجمع في عام ٢٠٠٢

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر المجلد (٥٩)، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي.
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر المجلد (٦٠)، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي.
- الأسماء والأفعال والحروف (أبنية كتاب سيبويه)، تأليف أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي، تحقيق الدكتور أحمد راتب حموش
- فهرس مجلة مجمع اللغة العربية للمجلدات (٦١-٧٥)، الجزء (٧) (١٩٨٦ – ٢٠٠٠م) صنعة مأمون الصاغرجي.

مطبوعات المجمع في عام ٢٠٠٣

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر المجلد (٦١) تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي.

- استدراك الغلط الواقع في كتاب العين، لأبي بكر الزبيدي، تح: د. صلاح مهدي الفرطوسي.

مطبوعات المجمع في عام ٢٠٠٤

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي الجزء ٦٢.
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي الجزء ٦٣.

مطبوعات المجمع في عام ٢٠٠٥

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي الجزء ٦٤.
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي الجزء ٦٥.
- قواعد الإملاء
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي الجزء ٦٦
- كتاب الأنواء، لأبي إسحاق الزجَّاج، الدكتور عزة حسن.

مطبوعات المجمع في عام ٢٠٠٦

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي الجزء ٦٧.
- معجم أسماء الأفعال، الدكتور أيمن عبد الرزاق الشوا.
- الدر النثير والعذب النمير، للمالقي، الدكتور محمد حسان الطيان.
- ديوان أبو النجم العجلي، جمعه وشرحه وحققه الدكتور محمد أديب عبد الواحد جمران.

مطبوعات المجمع في عام ٢٠٠٧

- البرق المتألق في محاسن جلق، لابن الراعي (ت١١٩٥ هـ) ، تحقيق الأستاذ محمد أديب الجادر.
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي الجزء ٦٨.
- ديوان ابن سنان الخفاجي (ت٤٦٦ هـ)، تحقيق الدكتور مختار الأحمدي نويوات والدكتور نسيب النشاوي.
- معجم الكلمات المصطلحية في لسان العرب، للدكتور ممدوح خسارة.
- المقصور والممدود، لابن ولاد (ت ٣٣٢ هـ)، تحقيق الدكتور إبراهيم محمد عبد الله.

فهرس الجزء الثاني
من المجلد الثالث والثمانين

(البحوث والدراسات)

الطعام وشجونه التراثية	د. عبد الكريم اليافي	٢٣٧
كلام في الشعر وماهيته	د. إحسان النص	٢٥٥
المدرسة الفارسية في دمشق (ق٢)	د. ليلى الصباغ	٢٧٧
التمكين للغة العربية: آفاق وحلول	د. محمود السيد	٣٠١
من مسالك اللغة في التذكير والتأنيث	د. مازن المبارك	٣٢٩
أبو طالب محمد بن علي بن الخيمي	أ. هلال ناجي	٣٥٥
فوضى المصطلح اللساني	د. وليد السراقبي	٣٧٧

(المقالات والآراء)

صفحة لغة عن: الإذاعة والتلفزة	د. محمد مكي الحسني الجزائري	٤٠٥
المكتبة السليمانية	د. عزة حسن	٤٠٩
مواقف مختارة من كتب التراث	د. عبد الكريم الأشتر	٤٢٥
المستهتر والاستهتار حديثًا وقديمًا	د. عباس علي السوسوة	٤٣٩
رأي في رسم تنوين النصب	أ. مروان البواب	٤٥٧
مجموع الأثبات الحديثية لآل الكزبري الدمشقيين	أ. خير الله الشريف	٤٦٧

(أنباء مجمعية وثقافية)

الكتب المهداة في الربع الأول من عام ٢٠٠٨	٤٧٣
من مطبوعات المجمع	٤٨٥
الفهرس	٤٨٨